459

HARLEQUIN

روايات أحلام

حلم المساء الأخير

هيلين بروكس

www.elromancia.com

مرمورية

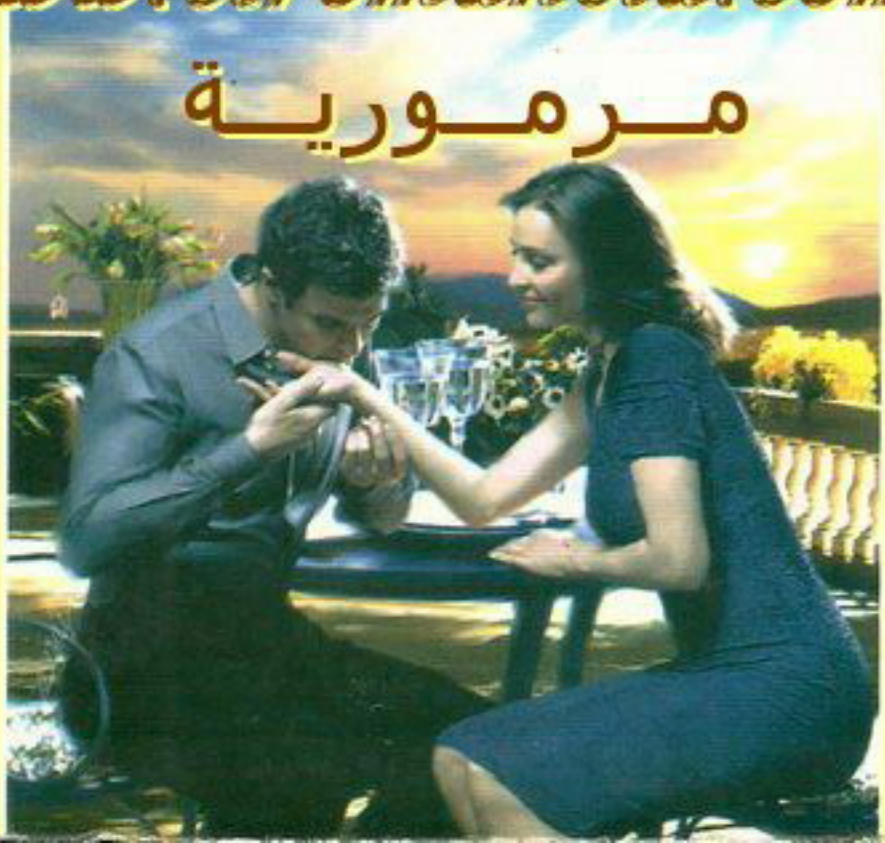

حلم المساء الأخير

رجل الأعمال هاري بريدون ثري جدا ووسيم بشكل خيالي. لكنه لم يظهر أي اهتمام خارج عن إطار العمل بجينا ليتون السكرتيرة الكفوءة التي يمكن الاعتماد عليها دائما. لم تراه يفعل أي شيء فنظرا لبساطة مظهرها وامتلاء جسدها، تعرف جينا أنها لا تمثل صورة الحبيبة المرغوب فيها.

لكن ما لا تعرفه جينا هو أن هاري مهتم بها فعلا. والآن، حصلت جينا على وظيفة رائعة في لندن وقريبا سوف ترحل. لذا بات عليه أن يتحرك بسرعة. هذا المليونير الوسيم مصمم على إغوائها لكي تبقى بقربه حتى لو اضطره ذلك إلى فعل أي شيء!

لبنان:	3000 ل.ل	البحرين:	1 دينار
سوريا:	100 ل.س	السعودية:	10 ريال
الأردن:	1.5 دينار	مصر:	8 جنيه
الكويت:	750 فلس	المغرب:	15 درهم
الإمارات:	10 دراهم	تونس:	2.50 دينار
قطر:	10 ريال	عمان:	1 ريال

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The Billionaire Boss's secretary bride
First published in Great Britain 2008
Harlequin Mills & Boon Limited
© Helen Brooks 2008
Translation © Dar El-Farasha - 2009
ISBN 978 - 9953 - 15 - 470 -1

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 961-1-450950- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

هيلين بروكس

تعيش هيلين بروكس في (نورثامبتون شير) وهي متزوجة وأم لثلاثة أولاد. أوقات فراغها نادرة جداً، فهي متدينة ملتزمة وربة منزل منهمكة وأم مثالية. لكن هواياتها تشمل القراءة والسباحة والاهتمام بالحديقة والسير مع كلابها الصغيرة النشيطة التي تحبها كثيراً. حققت حلمها بالكتابة في سن الأربعين، وأرسلت أول إنتاج لها إلى (ميلز أند بونز).

١ - فرار

- ما زلت لا أصدق أنك راحلة فعلاً، وأن هذا هو آخر يوم عمل لك. لطالما اعتقدت أنك سوف تغيرين رأيك. أعني، إنك تعملين هنا منذ الأزل، جينا.

لم تقدر جينا لايتون إلا أن تبتسم لزميلتها في المكتب بسبب صوتها الكئيب. قالت لها بهدوء: «لعل هذا هو سبب رحيلي، ناتالي... لأنني أعمل هنا منذ الأزل، كما قلت».

حسناً! «منذ الأزل» تعني في الواقع السنوات الإحدى عشرة الأخيرة، منذ أن تخرجت جينا من الجامعة وهي في الحادية والعشرين من عمرها. لكن من الواضح أنها بالنسبة إلى ناتالي تمثل جزءاً من شركة «بريدون وابنه». هذا ما يشعر به جميع العاملين في الشركة على الأرجح.

حدقت بها ناتالي بأسى: «أعلم أنني لن أتفق مع سوزان، فهي ليست مثلك».

ردت جينا مشجعة: «سوف تكونين على ما يرام».

إلا أنها في الواقع لم تشعر بذلك حقاً، فخلال الأسابيع الأربعة المنصرمة، كانت جينا تعلّم سوزان ريتشاردز - بديلتها - مهام العمل. وأدركت في خضم ذلك أن هذه الأخيرة لا تحتمل الأغبياء. صحيح أن ناتالي ليست غبية، لكنها تبدو بطيئة الاستيعاب أحياناً، ويجب أن يشرح لها المرء الأمر مرتين حتى تستوعبه. أما سوزان فعبّرت لناتالي مسبقاً عن قلّة صبرها بعبارات واضحة لا مجال للشك فيها. لكن هذه ليست مشكلتها. بعد ساعات قليلة من الآن سوف تسير خارج شركة «بريدون وابنه» للمرة

www.elromancia.com

الأخيرة. بل إنها ستغادر بلدة يوركشاير حيث ولدت وتربت مع كل أصدقائها وأفراد عائلتها، فتنتقل للإقامة في لندن خلال عطلة نهاية الأسبوع. ستحصل على عمل جديد، شقة جديدة، أسلوب حياة جديد...

لوحت جينا باتجاه الأوراق الموضوعة على مكتبها وقالت: «أنا بحاجة إلى إنهاء بعض الأعمال ناتالي قبل موعد الحفلة».

سيقيم مديرها حفلة وداع مصغرة على شرفها بعد الظهر، لذلك فهي تريد إنهاء بعض المسائل العالقة قبل مغادرتها. حالما خرجت ناتالي أجالت جينا بصرها في أرجاء المكتب الواسع المريح الذي كان مكان عملها خلال السنوات الأربع الأخيرة، وذلك منذ أن وصلت إلى منصب السكرتيرة الشخصية لمؤسس معمل المعدات الزراعية. هذا المنصب جعلها تشعر بالرضى فقد ارتفع راتبها وتضاعف إحساسها بقيمة نفسها، أما دايف بريدون فهو رئيس جيد ورجل دمث يتمتع بروح مرِحة تتلاءم مع روحها المرحة: لذلك فهو ليس سبب رحيلها...

- ألن تغيري رأيك في اللحظة الأخيرة؟

سمعت جينا الصوت الرجولي العميق من مدخل الباب، فرفعت بصرها نحوه.

ردّت برباطة جأش تكذبها دقات قلبها المتسارعة: «بالطبع لا».

إنها ماهرة في إخفاء حقيقة شعورها تجاه هاري بريدون، فهو الابن الوحيد لرئيسها ويده اليمنى في العمل. حدقت جينا بوجه هاري الأسمر الصارم بوسامته، ولم تكشف عيناها الزرقاوان الغامقتان أي شيء. قالت: «أنت حتماً لم تفكر جدياً أن هنالك أي احتمال لحصول ذلك؟».

هز كتفيه قائلاً: «أملت بذلك. لعلها الكلمة الأفضل لوصف الأمر».

يا له من أمر مضحك! منذ وقت طويل تقبلت جينا مغازلات هاري على أنها لا تعني شيئاً البتة، لكن وتيرة تنفسها أخذت تتسارع رغماً عنها. قالت بنبرة صوت سطحية: «آسفة. لكنني وضعت حقائبي مسبقاً».

- يشعر والدي بالحزن لرحيلك، كما تعلمين.

تمشى هاري داخل الغرفة، فربض على حافة مكتبها وثبّت عليها نظرات عينين رماديتين بلون الدخان. حاولت جينا أن تتجاهل ضربات قلبها التي تسارعت بجنون لدى اقترابه منها، لكنها فشلت. قالت بحدة: «من الجميل أن أعرف أنه آسف لرؤيتي أرحل، لكنني أعتقد أن هذا كل ما في الأمر، هاري. لأن سوزان برهنت عن جدارتها للقيام بالعمل، كما تعلم».

سوزان ريتشاردز. إنها شقراء جذابة، وتمتلك جسداً تتمنى أي عارضة أزياء الحصول عليه. إنها في الواقع، تناسب ذوق هاري تماماً. عاد هاري إلى المملكة المتحدة بعد تعرض والده لأزمة قلبية، فاستلم المزيد من أعباء أعمال دايف برايدون خلال الاثني عشر شهراً الماضية. أما جينا فسمعت كل ما يتم تداوله من شائعات في الشركة حول صديقاته الحميمات المتعددات واللواتي يقال إنهن شقراوات نحيلات. أما هي فصهباء، ولطالما سخر منها زملاؤها في المدرسة وأطلقوا عليها لقب «رأس الجزرة». لكن جينا تحب خصلات شعرها المائلة إلى اللون الأحمر القرمزي. ومع أن شكل جسدها الممتلئ الشبيه بشكل الساعة الرملية كان رائجاً في زمن مارلين مونرو، إلا أنه لم يعد كذلك الآن. سألت نفسها بصمت، لماذا إذاً وقعت في حبه وأنت تعلمين ذلك؟ هي تعلم أيضاً أنه زير نساء فهو يحب النساء إلّا أنه يتخلى عنهنّ بسهولة. طرحت هذا السؤال على نفسها مئات المرات خلال السنة الماضية لكنها لم تهتدِ البتة إلى الجواب المنطقي. مهما يكن، فالحب لا يعمل حسب المنطق العقلاني. جل ما تعلمه هو أن هذا الشعور الذي بدأ بإعجاب بسيط قلب كيانها رأساً على عقب أما بالنسبة إلى هاري فهي بكل بساطة ليست أكثر من سكرتيرة يتشارك فيها مع والده. أقرت بأنها شخص يحب هاري تبادل الأحاديث والثرثرة معه، كما أنه يلاطفها أحياناً، لكن هذا ما يفعله مع أي امرأة غيرها في النهاية.

- ظننت أنك لم تحبي لندن حين ارتدت الجامعة هناك. أذكر قولك إنك لم تطيقي صبراً حتى عدتِ إلى ديارك.

غبست جينا وصححت له بهدوء: «قلت إنني سررت لعودتي إلى الديار، لكن ذلك لا يعني أنني لم أعجب بالمدينة».

حدّق هاري بها للحظة قبل أن ينهض عن مكتبها ويهب واقفاً. قال لها بنبرة منطقية جعلتها ترغب في ضربه: «حسناً! إنها حياتكِ أنت. أنا فقط آمل ألّا تندمي على ذلك. هذا كل ما في الأمر. فالمدن الكبرى تجعلك تشعرين بالوحدة».

أومأت جينا برأسها وقالت: «أتعني ذاك القول المعروف حول كونك محاطاً بالكثير من الأشخاص لكنك لا تعرف أياً منهم؟ الكثير من الأصدقاء الذين تعرفت إليهم أيام الجامعة يقيمون في لندن، فلا مشكلة لدي بهذا الخصوص. على أي حال أنا أتشارك شقتي مع فتاة أخرى. لن أعيش بمفردي».

لم تضف جينا أنها تشعر بالكثير من الذعر حيال ذلك الأمر. فقد اعتادت العيش في منزلها الخاص خلال السنوات الست الأخيرة، وهي شقة صغيرة ذات موقع جميل استراتيجي في الطابق العلوي من منزل كبير يقع على حدود البلدة، ويطل على منظر النهر الجاري فيها. بعد أن كانت تقيم مع والديها فكرت في امتلاك منزل خاص بها كي لا تبقى مضطرة إلى الرد على أسئلتهما وتبرير تصرفاتها أمامهما. فضلاً عن ذلك يمكنها أن تمتع نفسها خلال عطلات نهاية الأسبوع فتستيقظ حين ترغب، وتأكل الطعام حين تشعر بالرغبة في ذلك. لكن استئجار منزل في لندن هو أمر مختلف تماماً عن استئجار منزل في يوركشاير. مع أن وظيفتها الجديدة تدر عليها راتباً جيداً، لكنها لا تستطيع تحمل نفقات منزل خاص بها.

سار هاري متجهاً نحو الباب وهو يقول: «لا تنسي أن تتركي لي عنوانك الجديد. فقد أتصل بك في المرة المقبلة التي أذهب فيها إلى العاصمة. ولعلني سأنام على أريكتك لليلة واحدة».

عليك أن تقتلني أولاً! لكن جينا استنشقت نفساً عميقاً وأخرجت الكلام بشكل عادي قائلة له بغير اكتراث: «حسناً!».

تمنت لو أن بمقدورها أن تكرهه فذلك سيجعل كل شيء أسهل بالنسبة إليها، ولن تضطر إلى اقتلاع نفسها من جذورها بسببه. مع ذلك، لا! هذا ليس عدلاً. فحتى قبل أن تقع في غرام هاري، كانت قد اكتشفت أنها تعيش حياة رتيبة، وهي لذلك تحتاج إلى إحداث تغيير ما في حياتها. إن شقيقتيها وغالبية صديقاتها تزوجن وأصبح لديهن أطفال، لذلك فالخروج مع أي منهن لم يعد متاحاً كما كان في السابق. قبل ظهور هاري على الساحة بحوالى الاثني عشر شهراً لم تكن جينا قد خرجت إلا في موعدين غراميين فقط. الرجال الوحيدون الموجودون حولها هم إما مملين جداً أو مقتنعين بأنهم هبة الله على الأرض للنساء. إنها تكاد تنظر إلى نفسها كما لو أنها امرأة عانس مكرسة لأجل وظيفتها ومنزلها، وهي فقط تلعب دور العرّابة تجاه أولاد الآخرين. لطالما قال لها أصدقاؤها إنها انتقائية جداً وصعبة الإرضاء. حدقت جينا باتجاه الباب الذي أغلقه هاري للتو خلفه، وفكرت أنها ربما تكون كذلك. تسنت لها العديد من الفرص لكنها تهربت من فكرة محاولة الإعجاب بشخص ما. فضلاً عن ذلك، إن ما تتوق إليه جينا بشدة هو الحصول على حياة مثيرة للاهتمام ومشوقة. هذا يشمل النوادي الليلية، المسرح، المطاعم الجيدة والرفقة الجميلة. بحق السماء! إنها في الثانية والثلاثين من عمرها!

هذا هو الخيار الصائب. أومأت جينا مفكرة بذلك. بالطبع، لو أن هاري أبدى أي اهتمام تجاهها... لكنه لم يفعل. لذلك لن تحقق أمنيتها بالحصول على الورود من خلف الباب والأمسيات الحميمة أمام نار الموقد، ولا بالحصول على الفطور في السرير وهما يحملان صحيفة نهار الأحد...

ابتلعت كتلة أحست أنها تسد حلقها وهي تقول لنفسها إنها ذرفت ما يكفي من الدموع لأجله. مهما كان رحيلها صعباً إلا أن بقاءها هو بمثابة الانتحار العاطفي. ذلك العناق المختصر خلال عيد الميلاد أعلمها بذلك. عندما تمنى لها هاري ميلاداً مجيداً عانقها عناقاً خفيفاً ودوداً مع نقرة لطيفة على خدها فقط. لكن لمسته ودنوها الشديد منه ورائحة عطر ما بعد الحلاقة

التي فاحت منه . . . أمور جعلتها تشعر بالدوار، فظل دماغها يشعر بالخدر لعدة ساعات حتى بدا عيد الميلاد مشوباً بالمرارة بالنسبة إليها. قررت جينا أن تعذيب الذات ليس أسلوبها. كما أنها حصلت على التأكيد الإضافي الذي كانت بحاجة إليه، فقد أخذت كلبي والديها في نزهتهما المعتادة في الحقول المغطاة بالثلوج المحيطة بالبلدة، وهناك رأت هاري عن بعد برفقة شقراء فاتنة. اختبأت جينا خلف شجرة كي لا يرياها، لكن ما إن أدركت زوال الخطر وتابعت سيرها بأمان حتى أدركت أن عليها مغادرة شركة «بريدون وابنه». والآن حل شهر نيسان. إنه يوم الرحيل. كان الربيع في الخارج قد نشر بساطه بقوة خلال الأيام القليلة الماضية. تفتحت أزهار الزعفران والنرجس البري الأصفر اللون بكثافة، فيما انشغلت الطيور ببناء أعشاشها. إنها فرصة للحصول على حياة جديدة. لا جدوى من أن تشعر كما لو أن عالمها وصل إلى نهايته. لا جدوى البتة. . .

بالرغم من ذلك، انضمت جينا إلى بقية الموظفين في مطعم الشركة خلال وقت لاحق من بعد ظهر ذلك اليوم. تأثرت عندما رأت معظم موظفي شركة «بريدون وابنه». إنهم يزيدون عن المائة إذا ما احتسبت أولئك الموجودين في المصنع، وقد اجتمعوا كلهم لتوديعها. تضاعف تأثرها عندما قدموا لها جهازاً لسيارتها ذو نظام ملاحقة متصل بالأقمار الصناعية ساهم الجميع بشرائه لها. قال بيل دنت رئيس المحاسبة في الشركة ممازحاً وهو يقدم لها الهدية: «هكذا يمكنك أن تجدي الطريق لدى عودتك لزيارتنا من حين إلى آخر».

يعرف الجميع أنها لا تتمتع أبداً بحس الاتجاهات ومهارات الملاحة. وخلال الأسابيع القليلة الماضية تحملت الكثير من الممازحات حول إمكانية ضياعها في شوارع المدينة.

- أشكر الجميع شكراً جزيلاً.

ألقت جينا خطاباً صغيراً مؤثراً فيما أبقت نظراتها بعيداً عن ذلك الرجل الطويل الأسمر الذي يقف بعيداً قليلاً عن بقية الحشد، إلا أنها ظلت مدركة

جداً لكل حركة يقوم بها هاري. انتبهت في أي لحظة بالتحديد شقت سوزان ريتشاردز طريقها متجهة نحوه، وكيف أن المرأة الأخرى تطاولت برأسها واقفة على أطراف أصابعها لكي تهمس شيئاً ما في أذنه. أحست بالسرور عندما بدأ الموظفون يندفعون راحلين إلى منازلهم بعد حوالى ساعة من الزمن. إنه أمر سيء بما يكفي أن يغرم المرء بشخص لا يبادله هذا الشعور، فما بالك إن كان عليه أن يبدو مشرقاً وسعيداً طيلة الوقت؟ جاهدت كي تكبح سيل الدموع المتدفق من عينيها، ولم يسهّل عليها الأمر رؤية موضوع عواطفها وهو يتلقى رفرفة أهداب امرأة شقراء لا شك في جاذبيتها وجمالها. شقت جينا طريقها إلى مكتبها لتأخذ ما تبقى من أغراضها وهي تشعر أنها أشبه بخرقة مبللة. جلست على كرسيها ونظرت في أرجاء الغرفة فيما انتابتها عواطف وأحاسيس لا تحتمل.

دخل دايف بعد لحظة وكان هاري في أعقابه. قال دايف وهو يهز رأسه: «قلت لك إنه ما كان عليك أن تتركينا. الجميع يقدرونك كثيراً هنا».

أجبرت جينا نفسها على الابتسام، وهي تقول: «إن العالم الكبير الواسع يوميء لي بالقدوم، إما الآن أو أبداً. وسيصعب علي قول الوداع دوماً».

مد دايف يده داخل جيبه، فأخرج علبة صغيرة مستطيلة الشكل مغلفة كهدية، ثم قال: «بما أننا نتكلم عن الموضوع. . . هذه هدية شخصية لأشكرك، عزيزتي. أنا لا أتملقك حين أقول لك إنك كنت أفضل سكرتيرة حظيت بها على الإطلاق. إنها الحقيقة. إذا وجدت أن لندن ليست ممتازة كما يجب أن تكون عليه تذكري أنك دوماً ستجدين لنفسك عملاً في شركة «بريدون وابنه».

بعد أن فتحت جينا غلاف الهدية حدقت مذهولة مفتونة بالساعة الذهبية الصغيرة الموجودة في العلبة، فقالت: «آه! إنها جميلة. أشكرك كثيراً. أنا لم أتوقع. . .».

منعتها الكتلة الموجودة في حلقها من متابعة الحديث.

تكلم دايف وقد بدا متزعجاً بسبب إظهارها لمشاعرها فقال: «هاري

اختارها».

دايف رجل فظ متواضع جداً من يوركشاير وهو يفتخر بذلك. قال: «فكرت أن أعطيك شيكاً فهو خيار عملي أكثر برأيي، لكن هاري اعتقد أنك ستحبين شيئاً يذكرك بالوقت الذي أمضيته هنا، وهو لاحظ أنك ما كنت ترتدين ساعة يدك خلال الأسابيع القليلة الماضية».

همست جينا: «ساعتي انكسرت».

وهو لاحظ ذلك! من الواضح أن دايف رغب بإنهاء ما اعتبره عدة لحظات محرجة بالنسبة له، فقال: «حسناً! ها نحن إذاً. لا تنسي أن تأتي بحثاً عنا عندما تعودين لزيارة والديك. اتفقنا عزيزتي؟ سوف أغادر الآن، فالسيدة برايتون وأنا خارجان لتناول العشاء هذه الليلة».

أضاف وهو ينظر إلى ابنه: «هلّا أقفلت المكاتب، هاري؟ أنا توليت أمر المصنع قبل قليل».

- إلى اللقاء سيد بريدون.

نهضت جينا لتصافح رئيسها. إنه رجل من الطراز القديم ولا يحبذ اللياقات الاجتماعية كالتقبيل والمعانقة، لكنها بفعل الاندفاع الآني طبعت قبلة سريعة على خده المتجعد قبل أن تجلس من جديد. سعل دايف لينقي حلقه، ثم قال بعبوس قبل أن يختفي خارجاً من الباب: «إلى اللقاء، عزيزتي. اعتني بنفسك».

ساد السكون للحظات قليلة فيما رتبت جينا الأوراق القليلة المتبقية على مكتبها. أحست أن أعصابها وعضلاتها تصرخ مستغيثة، وأن الدماء تتسارع في عروقها. تصرفي ببرود! حافظي على هدوئك وطبعك العملي! لا تحرقي نفسك سدى. كنت تعلمين أن هذه اللحظة ستأتي. هذا صحيح، لكنها لم تتوقع أن يكونا بمفردهما عندما ستضطر إلى قول كلمات الوداع الأخير.

- لم أرَ سيارتك في موقعها العادي في موقف السيارات هذا الصباح.

رفعت جينا رأسها متفاجئة، فنظرت إليه بشكل مباشر لأول مرة منذ دخوله إلى الغرفة. نظر إليها هاري وهو يضع يديه في جيبي سرواله فيما فتح

عينيه الرماديتين جزئياً فبدت تعابيرهما مبهمة. كانت جينا قد لاحظت مسبقاً قدرته على إخفاء ما يفكر به. لعل ذلك جزءاً لا يتجزأ من شخصيته التي جعلته ناجحاً جداً بقدراته الخاصة منذ أن غادر الجامعة ليعمل خارج البلاد. في البداية عمل هاري في ألمانيا ثم في النمسا وأخيراً في الولايات المتحدة قبل أن يعود إلى هنا، بعد أن ترك مركزاً رفيعاً جداً ذا راتب خيالي في سلسلة ضخمة من الشركات المنتجة للمواد الطبية في أميركا. وذلك حين عاد لمساعدة والده. علمت جينا هذا من دايف، أما هاري فلم يتحدث أبداً عن ماضيه. حاولت أن تستجمع أفكارها فصعب عليها ذلك فيما بدا هاري واقفاً أمامها وقد بدا رائعاً وسيماً إلى حد الخطيئة. قالت: «سيارتي؟ علمت أنني سأبدو متأثرة لمغادرتي اليوم فقررت القدوم بسيارة الأجرة».

لم يكن ذلك إلا جزءاً من الحقيقة. في الواقع هي لم تكن تعلم ما الذي ستشعر به حين تصبح معرفتها أنها لن تراه مجدداً حقيقة واقعية. استقام هاري في وقفته وقال: «ما من داع لذلك. سأوصلك إلى منزلك».

لا! لا! لا! رأت جينا سيارته من قبل، إنها سيارة رياضية رائعة. ستشعر أن الأمر إغواء ذو إطارات، لذا قالت: «شكراً. لكن ذلك ليس ضرورياً. نحن لن نذهب في الاتجاه نفسه كي توصلني».

ابتسم هاري، فتساءلت جينا إن كان يعلم أن تأثير ابتسامته مدمر على الجنس الآخر. على الأرجح أنه يعلم. فكرت بذلك بسخرية أليمة. تشدق هاري بتكاسل: «إنها أمسية ربيعية جميلة، ليس لدي ما أفعله، فأنا أملك كل الوقت الموجود في العالم».

- لا! حقاً. سأشعر بالسوء لجعلك تتحمل مثل هذا العناء.

قال: «أنا مصر».

- وأنا أصر على أن أستقل سيارة أجرة.

يمكنها أن تكون مصرة على رأيها مثله تماماً.

- لا تكوني سخيفة.

مشى هاري متجهاً نحوها، فجلس على مكتبها كعادته، ثم رفع ذقنها فنظر

إلى عينيها وقال برقة: «أنت تشعرين بالتوتر لمغادرتك، ولا عجب في ذلك. عملت هنا منذ الأزل، فمن غير الممكن أن أتخلى عنك لسيارة أجرة مجهولة الهوية».

لم تعجبها عبارة «منذ الأزل» مطلقاً. كما أنها مقتت نفسها بسبب انقباض كيانها بأكمله تحت وقع لمسته. قالت له بتصلب: «أنت لا تتخلى عني. إنه خياري أنا».

- إنه خيار سيء.

انزلق هاري بعيداً عن المكتب، فمشى نحو الباب وفتحه قبل أن يستدير نحوها ويتابع: «وبالتالي هذا يبرر لي بالكامل أن أرفض خيارك. سوف أحضر معطفي».

صرخت جينا فيما اختفى خلف الباب: «هاري!».

عاد وأبرز رأسه من الباب مبتسماً ليجيب: «نعم، جينا؟».

استسلمت وتذمرت بغير لباقة: «هذا سخيف!».

- ارتدي معطفك وكفي عن التذمر والتأفف.

عاد هاري بعد أقل من دقيقة، فتناول جهاز نظام الملاحة المتصل بالأقمار الصناعية الخاص بجينا، وحمله عنها عندما لاقته في المكتب الخارجي.

ناولته جينا مفاتيح المكتب الخاصة بها ومن ضمنها مفاتيح أدراج الملفات السرية، قائلة: «من الأفضل أن تأخذ مفاتيحي. كنت أنوي إعطائها لسوزان قبل قليل».

تابعت في سرها: لكنها كانت منشغلة جداً برفرفة أهدابها تجاهك، فلم تسنح لي الفرصة لأفعل.

وضع هاري المفاتيح في جيبه من دون تعليق. وضعت جينا العلبة التي تحتوي على الساعة الذهبية داخل حقيبة يدها وهما يسيران متوجهين نحو المصعد. قالت له بهدوء: «أشكرك على اختيارك للساعة، هاري. إنها رائعة حقاً».

- يسرني ذلك.

حالما دخلا إلى المصعد أضاف هاري قائلاً: «والدي عنى فعلاً ما قاله، كما تعلمين. الساعة هدية من كلينا. كنت رائعة في إدارة القلعة هنا عندما تعرض إلى الأزمة القلبية، ما كان بمقدوري أن أنجح من دونك، جينا».

هذا تعذيب! ربما هو تعذيب استثنائي مميز، لكنه لا يقل عن التعذيب. قالت: «أي شخص في مكاني سيفعل الأمر نفسه».

تكلم هاري بصوت أعمق، فغمغم: «لا! ما كانوا سيفعلون ذلك. أنا... فقط رغبت أن أشكرك».

المصعد في الشركة كبير بما فيه الكفاية ليقل بسهولة اثني عشر شخصاً، لكنه فجأة بدا لجينا بالغ الصغر. اشتمت نفحة خفيفة لعطر ما بعد الحلاقة الخاص بهاري فتنشقتها بجشع. ثم تكلمت وهي تستجمع كل قوة إرادتها فقالت: «ما من داعٍ لذلك، أنا بكل بساطة كنت أؤدي عملي، لكن من الجميل أن أعرف أن هنالك تقديراً لذلك».

أجبرت نفسها على الابتسام فيما انفتحت أبواب المصعد. خطت نحو صالة الاستقبال الصغيرة مطلقة تنهيدة ارتياح خفيفة. إنه مكان دافئ جداً وحميم جداً، أما السيارة فستكون أكثر سوءاً.

في الواقع، بعد أن استقرت جينا في المقعد المجاور للسائق وأغلقت الباب، بدأت كل خلية عصبية في جسدها تسجل وقع دخول هاري وانضمامه إليها داخل السيارة. لاحظت أن بطانة السيارة كلها من الجلد الأسود الفاخر وأنها ذات لوحة قيادة حديثة عالية التقنية، لكن ما جعلها تواجه صعوبة في ابتلاع ريقها هو ضيق السيارة المغلقة التي تحتجزهما. تكلمت بصوت يشبه الصرير: «إنها سيارة جميلة».

أدار هاري رأسه نحوها مبتسماً. بدا قريباً جداً منها إلى درجة أنها استطاعت أن ترى كل شعرة سوداء صغيرة في ذقنه بالرغم من خفوت ضوء النهار الذي شارف على نهايته. قال لها: «كنت أمتلك إحدى هذه السيارات في الولايات المتحدة، وأظنني اعتدت على قيادة السيارات السريعة».

ولا شك أنه اعتاد على العلاقات الغرامية السريعة، فلم تدم علاقته بأي من صديقاته الحميمات أكثر من خمس دقائق. أومأت جينا وقالت: «لا بد أنه كان من الصعب عليك أن تغادر أميركا».

- نعم، كان كذلك.

شغّل المحرك قبل أن يستدير نحوها مجدداً، ثم تابع: «ما رأيك بتناول العشاء؟».

حدقت جينا به وهي تشعر الصدمة بكل ما في الكلمة من معنى. ردت كالببغاء: «تناول العشاء؟».

كرر ما قاله بصبر: «ألا ترغبين بتناول العشاء؟ إلا إذا كانت لديك مخططات أخرى. أعتقد أنها طريقة لطيفة لإنهاء الوقت الذي أمضيته لدى شركة «بريدون وابنه». إنه عربون شكر صغير».

شعرت جينا بالارتباك والحذر بشكل يتعدى القياس، وأملت ألا يلحظ هاري ذلك. ردت قائلة: «لقد شكرتني للتو بتقديمك الساعة لي».

- ذاك شكر مشترك بيني وبين والدي. أما هذا فشكر مني فقط.

من الجنون أن توافق على عرضه. سوف تمضي الأمسية بأسرها محاولة إخفاء مشاعرها وهي تلعب دور الموظفة الودودة، في حين أنها تشعر بالوهن والضعف في ركبتيها لمجرد النظر إليه. لكنها لن تحظى أبداً بفرصة قضاء أمسية أخرى برفقته، هذا أمر أكيد. بعد يومين من تسوية بعض القضايا العالقة سوف تغادر إلى لندن. أقرت جينا بضعف: «مخططاتي الأخرى تقضي بتفريغ الخزائن من الأغراض ثم البدء بالتنظيف الربيعي للشقة، وهما أمران يمكنهما أن ينتظرا».

- جيد. سنتناول العشاء إذاً. هنالك مطعم إيطالي صغير لا يبعد كثيراً عن مكان إقامتي. هل تحبين الطعام الإيطالي؟

- أحبه كثيراً.

لم تكن جينا تظن أنها قد تتذوق أي طعام هذا الليلة بأي حال.

- سوف أتأكد إن كانت لديهم طاولة شاغرة.

أخرج هاري هاتفه النقّال وضغط على رقم ما قبل أن يقول: «روبيرتو!».

تكلم باللغة الإيطالية السريعة. لم تعلم جينا أنه قادر على التكلم بتلك اللغة، لكن ذلك لم يفاجئها. ابتسم لها هاري وقال: «لقد تم الأمر. الساعة الثامنة. هل تمانعين لو مررنا بمنزلي أولاً؟ أود أن أرتدي قميصاً نظيفة قبل ذهابنا».

منزله! سوف ترى أين يقيم. سوف تتمكن من تصوره هناك خلال الأسابيع والأشهر القادمة. على الأرجح أنها ليست فكرة جيدة، لكنها مشوقة ولا تقاوم. أومأت جينا وقالت: «حسناً!».

في اللحظة نفسها دبت الحياة في السيارة القوية فغادرا موقف السيارات بسرعة فائقة. نظرت إلى يديه الموضوعتين على عجلة القيادة. إنهما يدان كبيرتان قادرتان. ما الذي سيكون عليه شعورها لو أنهما لامستاها برقة و....

- ... والديك من حين إلى آخر.

- عذراً؟

أدركت جينا متأخرة جداً بأنه يوجه الكلام إليها، فيما كانت منغمسة في حلم خيالي صادم بقوته. تلونت وجنتاها باللون القرمزي، وهي صفة منحوسة ترافق شعرها الأحمر ووجهها الباهت ذا البشرة المليئة بالنمش. كذبت جينا قائلة: «كنت أفكر كم بدا الجميع لطفاء معي اليوم».

- بالطبع كانوا لطفاء، فأنت محبوبة جداً ومشهورة.

إنها لا ترغب في أن تكون محبوبة أو مشهورة. بل رغبت أن تكون حورية نحيلة أنيقة ذات شعر أشقر طويل وعينين ساحرتين. أي ذاك النوع من النساء الذي قد يأسر قلب هاري.

تابع هاري كلامه بسهولة قائلاً: «كنت فقط أقول إنه يجدر بنا أن نبقى على اتصال، يمكننا أن نتناول الغداء سوياً من حين إلى آخر عندما تأتين لزيارة والديك. أنا أعتبرك صديقة، جينا. آمل أنك تعلمين ذلك».

- وأنا أعتبرك كذلك أيضاً.

وجهت له جينا ابتسامة مشرقة فيما فكرت أنه سوف ينسى أمر وجودها خلال أيام قليلة. قد يحصل ذلك على الأرجح مع حلول وقت استيقاظه صباح غد. هاري ليس من صنف الرجال الذين يتخذون صديقات لهم من النساء، فالنساء هن نساء فقط بالنسبة إليه.

بدأ الشفق الربيعي البارد يحيد تماماً مفسحاً المجال لظلال الليل بأن تسيطر، وذلك حين أدار هاري السيارة خارج الشارع الريفي الذي كانا يسيران عليه لبعض الوقت، فعبر بوابات حديدية إلى مدخل منزل مرصوف بالحصى الصغيرة. فوجئت جينا لهذه المسافة التي قطعاها، فهي لم تدرك من قبل أن منزل هاري بعيد جداً عن شركة «بريدون وابنه». افترضت أنه استقر في مكان ما بالقرب من منزل والديه. التف الطريق المؤدي إلى منزله قليلاً بين الأشجار الباسقة الدائمة الاخضرار والأجمات التي عملت بشكل فعال على إخفاء البناء عن الطريق العام. فجأة أصبحت الطريق محاطة من كلا الجانبين بمروج خضراء واسعة الامتداد، وما لبث أن ظهر المنزل أمامهما. لم تكن جينا تعلم ما الذي تتوقعه. لعله منزل عصري أو منزل شبيه بقصور الأمراء يعود إلى بداية القرن، لكنها فوجئت بأن الكوخ المسقوف بالقش الذي يشبه الصور في الحكايات الرائعة لا ينتمي إلى أي من هذين الصنفين.

- أهذا هو منزلك؟

سألت جينا ما هو بديهي واضح، لكن لم يبدُ أن هاري لاحظ ذلك، فسألها بشكل عابر: «أيعجبك؟».

هل أعجبها؟ كيف يمكن لأي شخص ألا يعجب به؟ الجدران البيضاء للكوخ ذي الطابقين والنوافذ التقليدية يعلوها سقف هرمي مائل من القش تبرز منه نوافذ عمودية. برز السقف ليشكل شرفة دائرية مدعومة على جذوع أشجار عتيقة ذات عقد، حيث وضعت طاولة وكراسي جاهزة لأمسيات الصيف. كما ازدان السياج المحيط بالباب الذي تعلوه قنطرة بالورود المتنوعة. أما نبات اللبلاب الأحمر والأخضر فغطى جدران الشرفة. هذا هو

المنزل المثالي الذي تحلم به، رؤيته أفقدت جينا القدرة على الكلام. إنه آخر مكان على الإطلاق كانت لتتوقع بأن يشتريه هاري، وهذا حتماً ليس مكاناً ملائماً لرجل أعزب. لم تعد واثقة إن كان هاري قد خمّن ما تفكر به، لكنه قال في اللحظة التالية: «كنت أمتلك في الولايات المتحدة منزلاً عصرياً من الفولاذ غير القابل للصدأ يلائم عصر الفضاء ويطل على المحيط، فأحببت التغيير».

- إنه رائع!

فتح باب السيارة وهو يكلمها، وما إن ظهر إلى جانبها حتى يساعدها لتخرج من المقعد المجاور للسائق، كررت جينا قائلة: «إنه رائع. إنه كوخ حقيقي يشبه أكواخ القصص الخيالية. أكاد أتوقع أن تظهر ذات الشعر الذهبي والدببة الثلاثة في أي لحظة».

راودها انطباع بأن هاري لم يقدّر دهشتها لاختياره هذا المنزل. هزّ كتفيه وقال: «إنه مكان أستريح فيه لبعض الوقت. أنا لا أنوي ترسيخ جذوري هنا».

هو لا يريدها أن تفترض بأن هنالك أي خطر في أن يصبح رجل عائلة في المستقبل. على أي حال هي لا تفترض ذلك أصلاً. قالت له بحذر وهما يسيران باتجاه الباب: «ألهذا السبب كَثُرَت أسفارك في الماضي؟».

- أظن ذلك.

حدقت جينا به وقالت: «والدك يأمل أن تستلم شركة العائلة في مرحلة ما. أليس كذلك؟».

- ذلك ليس أبداً ضمن مخططاتي.

فتح هاري الباب ثم وقف جانباً، فتقدمته جينا إلى داخل البهو المريح الواسع. بدا بوضوح أن الأرضية المغطاة بالألواح الخشبية جُدِدت، فانعكست تدرجات ألوانها على الجدران المطلية باللون العسلي.

- وافقت على القدوم إلى هنا لمساعدة والدي خلال السنوات القليلة المقبلة. وذلك لأريحه وأسهل عليه عملية التخلي عن ارتباطاته وإجراء عملية

www.elromancia.com

البيع عندما يحين الوقت لذلك. لكن هذا كل ما في الأمر.

- فهمت.

هي لم تفهم حقاً لكن الأمر ليس من شأنها، فتابعت: «إذاً سوف تعود إلى أميركا في مرحلة ما؟».

مجدداً هزّ هاري كتفيه وقال: «الولايات المتحدة، ألمانيا، وربما حتى أستراليا. لست واثقاً. استثمرت مبلغاً كبيراً من المال الذي كسبته خلال السنوات الأخيرة الماضية في البورصة المالية وما شابه. لست في الواقع بحاجة لأن أعمل، لكنني سأفعل ذلك. أنا أحب التحدي».

هذا أطول تصريح سمعت هاري يقوله عن نفسه. تاقت جينا لأن تسأل المزيد لكن سرعان ما أطبقت على وجهه نظرة مغلقة، لذا غيرت الموضوع قائلة: «كل شيء يبدو بالغ النظافة وخالياً من الغبار. ألديك عاملة تنظيف تتردد إلى المنزل؟».

- أتعنين أن الرجال غير قادرين على تنظيف المنزل بأنفسهم؟ تلك مزحة عنصرية. أليست كذلك؟

ابتسم لها هاري وهو يتقدمها ليرشدها إلى ما بدا أنها غرفة جلوس، ففتح الباب على غرفة واسعة يتوسطها موقد حجري مفتوح مدهش. فرشت على الأرضية الخشبية سجادات ذات نوعية جيدة أما الأرائك والكراسي فبدت ناعمة ووثيرة. أقر من دون أي أسف: «مع ذلك أنت محقة. فالسيدة روثمان تأتي ثلاث مرات في الأسبوع وتؤدي كل المهام، بدءاً من تلميع زجاج المصابيح الكهربائية وصولاً إلى الغسل والكي. إنها امرأة نشيطة جداً».

سألته جينا فيما أشار لها هاري لتجلس على المقعد: «وهل تحضر لك وجبات طعامك؟».

- لا، أبداً! أنا طاه بارع، فضلاً عن ذلك أنا أحب أن آكل ما أريده ساعة أريد. أترغبين بتناول كوب من العصير فيما تنتظرينني؟

- لا بأس بذلك.

نظرت جينا إلى الموقد الحجري فيما اختفى هاري في المطبخ. ما زالت

هنالك في الموقد بقايا نار، فيما كدس الكثير من الحطب داخل جدران الموقد الواسعة المغلقة. تصورته وهو يجلس هنا خلال الأمسيات الباردة وهو يرتشف فنجاناً من القهوة فيما يحدق بلهب النار الوامض. أحست أن قلبها ينتزع بقوة منها ما حذرها أنه يجدر بها أن تبقي أفكارها تحت السيطرة، فلا تسهب متمعنة في التفكير بامرأة شقراء مستلقية على سجادة ما أمام الموقد.

- إنه عصير التوت البري.

أخرجت جينا من معاناتها الذهنية مع عودة هاري وهو يحمل بيده كوباً كبيراً من عصير التوت البري الغامق اللون.

أشار هاري بيده نحو إحدى الطاولات الموضوعة في آخر الغرفة فقال: «لن أتأخر. هنالك بعض المجلات على تلك الطاولة وإلى جانبها بعض المكسرات والزيتون. قومي بخدمة نفسك».

- أشكرك.

حالما غادر هاري مجدداً سارت مسرعة عبر الغرفة وانغمست في طاس المكسرات، بعد أن قررت أنها ستقلق بشأن السعرات الحرارية الزائدة يوم غد. أما الليلة فهي بحاجة لأن تكون متحكمة تماماً بأحاسيسها. زلة واحدة، نظرة واحدة ويحزر هاري ما تشعر به تجاهه، أما هي فسوف تموت خجلاً.

استعادت جينا كوب العصير الخاص بها فارتشفت منه وهي تتجول في الغرفة. نظرت إلى انعكاس صورتها في المرآة الأثرية الضخمة الموضوعة فوق الموقد. الإضاءة الخفيفة في الغرفة جعلت شعرها يبدو ذهبي اللون، فامتزج نمشها ذا لون الزنجبيل الباهت بوهج عسلي طاغ، ومع ذلك فالإضاءة لم تفعل شيئاً لأنفها الصغير الأفطس. عبست جينا لانعكاس صورتها في المرآة، وقد اسودت عيناها الزرقاوان انزعاجاً وغضباً. لهذا السبب لم يغازلها هاري أبداً. لكم تاقت جينا لأن تكون امرأة قاتلة بجمالها: طويلة، نحيلة، أنيقة... وليست ذات جسم ممتلئ وورکين كبيرين. حتى والدتها أجبرت على أن تقر بأن جينا «ذات جسم ممتلئ جميل»، ما يعني بعبارات قد

يستخدمها بقية الناس أنها فتاة سمينة. بعد أن حدقت جينا في انعكاس صورتها لدقيقة كاملة، مشت نحو النافذة فنظرت إلى الخارج عبر الأراضي المحيطة بخلفية الكوخ.

- لا يمكنك أن تشاهدي الكثير هذه الليلة.

لا بد أن هاري تسلل إلى الغرفة خلسة لأن جينا لم تسمعه وهو يدخل. استمر هاري بالوقوف خلفها فيما وضع يديه بشكل عفوي على خصرها وهو يقول: «هناك بركة سباحة إلى اليسار خلف شجرة الكستناء الكبيرة تلك، لكن الظلام حل الآن ولا يمكن رؤيتها، بالإضافة إلى ملعب للتنس. هل أنت رياضية؟».

رياضية؟ لم تعد جينا تعلم ما هي عليه وهو يمسكها بهذا الشكل. بعد أن استجمعت ما تبقى من عملية التفكير لديها، تمكنت أن تقول متلعثمة: «أنا أسبح قليلاً».

لم تضف جينا أنها لعبت التنس لسنوات، لأنه بغض النظر عما ستقوله وسواء كانت رياضية أم لا فذلك لن يوقف أعصابها عن الاهتزاز بجنون.

- يجدر بك أن تأتي للسباحة هنا خلال فصل الصيف، إذا كنت في هذا الجزء من الغابة.

ذلك ليس خياراً بالنسبة إليها على الإطلاق لكنها قالت: «ذلك سيكون رائعاً».

- إذا كنت مستعدة يمكننا أن نذهب.

أحست جينا بالارتياح الغامر عندما أفلتها هاري، وحين استدارت لتواجهه لم يساعد ذلك توازنها المرتعش البتة. من الواضح أن هاري أخذ حماماً سريعاً فضلاً عن تبديل ملابسه، أما شعره الأسود فما يزال رطباً ومشعثاً. فجأة بدا لها مختلفاً تماماً عن هاري المرتب الذي عرفته خلال ساعات العمل. أما القميص السوداء ذات القبة المفتوحة مع السروال الأسود غير الرسمي فهما إضافة رائعة إلى هذا التحول. عندما يرتدي هاري البذلات الرسمية من مصمم شهير مع القمصان وربطات العنق فهو يبدو

رائعاً يسلب الأنفاس، أما الآن فبدا ذا وسامة لا تحتمل. تحكمت جينا بسرعة باندفاع مشاعر الحب التي انتابتها، ومشت باتجاه الأريكة حيث وضعت حقيبة يدها وسترتها.

قالت له من فوق كتفها: «هذا لطف من قبلك هاري. لم يكن بانتظاري في الشقة ما هو أكثر إثارة من الفاصوليا والخبز المحمص».

- يسرني ذلك.

فكرت بتهكم، بل يسرها هي لو أعطيت أقل تشجيع من قبله. إنها لم تشعر أبداً بمثل هذا الأحاسيس تجاه أي من أصدقائها الشبان في ما مضى. كانت قد بدأت تتساءل إذا كان هنالك خطب ما بها، لكن دخول هاري إلى حياتها أوضح لها الأمر. لم يتطلب الأمر إلا أن تفكر به حتى تشعر باندفاع الأحاسيس بشكل محرج. تناول هاري السترة من يدها فساعدها على ارتدائها بابتسامة دافئة. إنها ممتنة جداً بغير حدود لأنه غير قادر على قراءة ما يجول في ذهنها. استنشقت نفساً عميقاً، وسارت برشاقة ونشاط خارج الغرفة.

٢ - لست صديقي!

لماذا تراه فعل هذا؟ لماذا تراه قام بدعوتها إلى العشاء هذه الليلة؟ لم ينوِ أن يفعل ذلك. أراد أن يكون وداعهما ودوداً، سريعاً ونهائياً. كما كان يفضل ألّا يكونا بمفردهما عند الوداع بل برفقة أشخاص آخرين. نظر هاري إلى جينا للحظة فيما انسل إلى داخل السيارة. إنه رجل عقلاني جداً. اتهمته صديقاته الحميمات السابقات في بعض المناسبات بأنه بارد، لكن ذلك كان يحصل بعد أن يوضح لهن أن من المستحيل أن تتحول علاقته بهن إلى علاقة جدية. أصبح هاري يعرف تماماً ما يريده من الحياة منذ علاقته بآنّا. إنه يتمسك بشدة باستقلاليته وهو يعرف أنه رجل محظوظ، لذا لن تردعه أية روابط أو مسؤوليات عن القيام بما يريده. بالتأكيد، سيحظى دائماً بالرفقة الجميلة وبالأوقات الممتعة مع نساء يفهمن جيداً أن لا مستقبل لعلاقتهن به. لكنه لن يخوض علاقات تتطلب الارتباط والتضحيات، فهو ليس مستعداً لتقديم مثل هذا التنازلات.

غادر هاري الجامعة حاملاً شهادة في إدارة الأعمال بدرجة امتياز، كما اكتسب الخبرة من خلال توليه عدّة وظائف. حظي لاحقاً بوظيفة مهمة جداً في الولايات المتحدة الأميركية. بعد ذلك ارتقى حتى أعلى درجات سلم النجاح حين حصل على شهادة الدكتوراه في إدارة الأعمال. استمتع هاري كثيراً خلال دراسته للحصول على تلك الشهادة، بالرغم من أن ذلك كلفه عشرين ساعة من العمل والدراسة بانتظام يومياً، لكن ذلك حصل بعد انفصاله عن آنّا، أي حين أراد القيام بأي شيء يجعله يأوي إلى فراشه وهو شديد الارهاق إلى درجة لا تسمح له بالتفكير فيها.

- هل هو بعيد؟

جعله صوت جينا الهادئ يدير رأسه نحوها. قال بنبرة سطحية: «لا. إنه على بعد بضعة أميال فقط».

وجه هاري السيارة نحو الشارع الهادئ الذي تحف به الأشجار على الجانبين. تابع قائلاً: «إنه مجرد مطعم صغير. لا شيء فاخر، لكن الطعام ممتاز جداً. يتحلى روبيرتو بمهارة تحويل أبسط أطباق الطعام إلى شيء مميز. عندما رأيت اسم طبق سلطة الخبز المحمص مع الفلفل على قائمة الطعام للمرة الأولى ظننته أحد أنواع المقبلات. لكنني اقترفت خطأ فادحاً. فروبيرتو يقدمه مع الكبيس والأنشوفات والحبق الطازج بالإضافة إلى تشكيلة واسعة من المكونات».

- كلامك جعل لعابي يسيل.

ابتسم هاري وقال: «هل أستنتج أنك من الأشخاص الذين يعيشون ليأكلوا أم أنك من الذين يأكلون لكي يعيشوا؟».

بنظرة سريعة استطاع أن يرى تُجعد أنفها الصغير. قالت له بمرح: «ألا يمكنك أن تعرف؟».

اختفت ابتسامة هاري. لا يعلم ما الذي جذبه إلى هذه المرأة الرقيقة ذات الشعر الأحمر كالزنجبيل منذ اليوم الأول للقائه بها، لكن يبدو أن انحناءات جسدها الممتلئ هي سر ذلك الانجذاب. قال بحزم: «يبدو شكلك جيداً».

- شكراً لك.

- أنا أعني ما أقوله. فهنالك عدد كبير جداً من النساء هذه الأيام اللواتي لا يظهرن فعلاً كالنساء. أوراق الخس ممتازة للأرانب فقط لا للبشر. أنا أكره رؤية امرأة تقضم نبتة الكرفس وتشرب المياه المعدنية طيلة الأمسية وهي تصر على أنها متخمة.

توقف هاري قبل أن يوجه السيارة نحو الطريق الرئيسي، فلاحظ في ظلال السيارة المغلقة نظرة جينا التي تدل على عدم التصديق، فاستدار

ليواجهها قائلاً : «ماذا؟».

- بالرغم من أنك تقول لي هذا، لكن أراهن على أن النساء اللواتي تواعدهنَّ جميعهنَّ نحيلات كالعصي.

فتح هاري فمه لينكر الأمر، لكن الحقيقة غير المريحة صدمته. سيبدو لأي شخص يعرفه جيداً ويرى شكل جينا أنها ليست من النوع الذي يسعى هاري وراءه عادة. إنه فعلاً يميل إلى مواعدة النساء النحيلات الرشيقات، لكن لماذا؟! توجه بالسيارة إلى الطريق الرئيسي لكن ذهنه بقي يحلل المسألة ويحاول تفسيرها. تعلم هاري من خبرته مع النساء أن اللواتي يتصرفن بهوس تجاه شكلهن ومظهرهن يملن عادة إلى التمسك بشدة بعملهن. وهو يحرص دائماً على اختيار صديقاته الحميمات من هذا الصنف. إنه يفضل النساء ذوات الأهداف الخاصة، واللواتي لا يبحثن عن السعادة إلى الأبد معه، بل يفتشن فقط عن الرفقة الجيدة والاستمتاع. ارتكب في الماضي خطأ الوقوع في الحب، لكنه قام لاحقاً بتصحيح الوضع. حين يفكر بالأمر جيداً يكتشف أن أحد معايير مواعدته لأي امرأة لأكثر من مرة هو مدى اهتمامها بنفسها. انزعج في قرارة نفسه، لكن ذلك أكد له أنه مجنون لاصطحابه جينا إلى العشاء هذه الليلة، حتى لو كان ذلك على أساس الصداقة بينهما.

أدرك هاري أنه لم يعطها أي رد بعد، فقرر أن يجيب بما هو منطقي في مثل هذه الحالة فقال: «إن تجويع النفس حتى الموت أصبح مشكلة منتشرة جداً هذه الأيام، ولا يمكن لأي شخص بكامل قواه العقلية أن يقول إن هؤلاء النساء يبدون جذابات جميلات وهن على هذا الشكل».

- هذا ما أظنه أيضاً.

قاد هاري السيارة بصمت خلال ما تبقى من الرحلة القصيرة إلى المطعم. وأخيراً أوقف السيارة في موقف السيارات الصغير المخصص لمطعم روبيرتو. يقع المطعم على مقربة من مجموعة أسواق نموذجية في يوركشاير، لكنه بدا في الظلام أكثر انعزالاً مما هو عليه في الحقيقة. توهج شعر جينا كما لو أنه خصلات من النحاس تحت الضوء الخافت لمصابيح موقف السيارات.

تساءل هاري ما الذي ستقوله إن طلب منها أن تفلته من تلك الكعكة المرفوعة إلى الأعلى التي تفضلها عادة أثناء العمل. سبق أن رأى شعرها منسدلاً بضع مرات من قبل، وقد بدا جميلاً جداً. يا للتفكير الغبي! أزاح هاري هذه الأفكار من رأسه بقسوة. هذا مجرد عشاء... لا شيء أكثر! انسل خارج السيارة ثم استدار حول مقدمتها وفتح الباب لجينا فساعدها على الخروج. كان الهواء يعبق برائحة النباتات الخضراء المتفتحة، وسُمع من مكان قريب صوت زقزقة عصفور، إلا أن السكون ساد بعد ذلك. راقب هاري جينا وهي تستنشق نفساً عميقاً ملء رئتيها فيما أغمضت عينيها. قالت بنعومة بعد أن فتحتهما: «سوف أفتقد هذه الأصوات في لندن».

- لا ترحلي إذاً.

لم يكن هاري يقصد أن يقول ذلك.

- يجدر بي أن أفعل.

- لماذا؟

- سوف أبدأ بوظيفتي الجديدة نهار الإثنين. لدي شقة هناك، ولا يمكنني أن أخذل الناس الذين ينتظرونني.

فجأة أدرك هاري لما دعاها لتناول العشاء. لم يكن يعتقد يوماً أنها قد تترك شركة «بريدون وابنه» فعلاً، لكن عندما أصبح رحيلها أمراً واقعاً شعر أنه ليس مهيئاً لاختفائها من حياته. جرت الكثير من الأحاديث مع ناتالي وغيرها من الموظفين حول جينا. توقع الجميع أنها سوف تغير رأيها حيال الرحيل في الدقيقة الأخيرة، أما هو فوجد من المناسب تصديق هذا الأمر. لكن كان يجدر به أن يعلم أنها حالما ترتبط بعمل ما فهي لن تتراجع وتبدل رأيها.

- نعم. أعتقد أنك لن تتمكني من خذلهم.

يبلغ طول هاري الست أقدام لذا أخذ يحدق نحوها من علٍ، استطاع أن يشعر برائحة عطرها. إنه عبير ناعم حريري يذكره بأزهار المغنوليا. قال ببرود: «دعينا ندخل. أنا أتضور جوعاً».

تمالك هاري نفسه حتى أنهى روبيرتو إثارة الجلبة حولهما. جلسا إلى طاولة مخصصة لشخصين، وحملا قائمتي الطعام بأيديهما. إنه اليوم الأخير لجينا في شركة «بريدون وابنه». شعر هاري أن مساعدة جينا له جاءت بمثابة إنقاذ للشركة عندما عاد فجأة إلى المملكة المتحدة لاستلام زمام الأمور، وهذا هو سبب دعوته لها إلى العشاء هذه الليلة. لا شيء أكثر! بالطبع سوف يفتقدها. من المستحيل لأي شخص يعمل مع زميلة له لساعات طويلة يومياً، بالإضافة إلى المشاركة في استراحة الغداء واستراحة القهوة ومعرفة الأمور الخاصة بحياتها، ألّا يفتقدها حين ترحل. الأمر بهذه البساطة فقط!

- أظنني سوف أجرب كبداية طبق السلطة ذاك الذي يحتوي الخبز المحمص الذي ذكرته لي قبل قليل. ربما سيتبعه طبق التاليا تيللي.

حدقت جينا بهاري وقد بدت عيناها الزرقاوان غامقتين على بشرتها الباهتة اللون.

أومأ هاري قائلاً: «خيار جيد. سوف أطلب الطبق نفسه».

عاد روبيرتو على الفور حاملاً لهما العصير، ثم أخذ طلبيتهما. استقر هاري في كرسيه مستنداً إلى الوراء ورفع كوبه قائلاً: «لنشرب نخبك ونخب حياتك الجديدة في المدينة العظيمة الكبرى». ثم أضاف عن قصد نبرة إغاظة إلى صوته وتابع: «لعل الله يحميك من الذئاب الذين يطوفون حولك والذين قد يحاولون التهامك كاملة».

ضحكت جينا وقالت: «لا أظن أنهم سوف يصطفون في طوابير للحصول على هذا الامتياز».

كان هاري قد لاحظ من قبل ميل جينا إلى الانتقاص من قدر نفسها، فقال لها بهدوء: «أنا أراه احتمالاً واقعياً جداً».

بدا صوت جينا غير واثق بعض الشيء وهي تقول له: «شكراً لك. أنت شهم جداً».

- أود أن أظن ذلك، لكن في هذه الحالة أنا أقول لك الحقيقة.

انحنى هاري قليلاً إلى الأمام، ثم قال لجينا من دون أن يخفي فضوله:

«أنت لا تقدرين نفسك كثيراً جينا. أليس كذلك؟ لماذا؟».

أعجب هاري بقدرة جينا على الاحمرار خجلاً، وكان يظن ذلك فناً زائلاً قبل أن يلتقي بها.

هزت جينا كتفيها وقالت بهدوء: «أفترض أنه ميراث اكتسبته لأنني النعجة السوداء في عائلتي. ورثت شقيقتاي الأكبر سناً أيضاً الشعر الأحمر لكن شعرهما يميل إلى اللون الكستنائي وليس لديهما نمش على وجهيهما. فضلاً عن ذلك، أنا اضطررت إلى وضع مقوم للأسنان عندما كنت مراهقة، وقصدت طبيب الجلد لاستشارته بخصوص حب الشباب والبثور».

جالت عينا هاري فوق بشرتها الناعمة الخالية من العيوب الشبيهة بلون الكريما. إنها خالية من العيوب باستثناء النمش، لكنه معجب بهذه الميزة. أما أسنانها فبيضاء صغيرة ومستوية. قال لها: «يجب تهنئة طبيب أسنانك وطبيب الجلد على الدور الذي لعباه في تحويل البجعة إلى طائر جميل. أنت امرأة جميلة حقاً، حتى لو لم تدركي ذلك».

ازداد احمرار وجه جينا، فراقبه هاري مسحوراً. لكن عندما بدت كأنها وشك الانفجار، قال لها: «أتذكر أن شقيقتيك متزوجتان. أليس كذلك؟».

فكرت جينا أنه قال ذلك على الأغلب لكي يغير مجرى الحديث ويريحها من كربها، وليس لأنه يهتم كثيراً لأمرهما. أومأت موافقة، فعكس شعرها تدرجات مختلفة من اللونين الذهبي والنحاسي عندما تحركت. قالت: «برايوني لديها ابن عمره ثلاث سنوات، ومارغريت لديها ابنتان إحداهما في الخامسة والأخرى في الثامنة، لذا أنا خالة لثلاثة أطفال، وجميعهم أطفال رائعون».

شيء ما في صوت جينا دفعه إلى أن يقول: «من الواضح أنك مولعة جداً بهم».

- بالتأكيد!

بالتأكيد ليست كلمة تنطبق على الجميع، فهاري يعرف العديد من النساء اللواتي لا يتحملن أطفالهن دعك من أولاد شخص آخر. قال لها: «هل

تتخيلين أنك ستستقرين يوماً ما وتحظين بعائلة خاصة بك؟».

عبر ظل فوق وجه جينا، ثم قالت: «ربما!».

- ربما؟!

ابتسمت جينا لكنه لاحظ أن ابتسامتها مرتعشة، فأحسَّ بعضلات معدته تتقلص. تكلمت وهي تأخذ رشفة من العصير قائلة: «الاستقرار والحصول على عائلة يتضمن شرطاً أساسياً هو التعرف على الرجل المناسب».

- لا بد أنك ستلتقين رجلاً ما في لندن.

- هذا غير صحيح!

بدا صوت جينا أكثر حدة مما سمعه من قبل، فاتسعت عينا هاري للحظة. من الواضح أنه تفوه بالكلام غير المناسب، مع ذلك فهو لم يقدر على معرفة خطئه. ما لبثت جينا أن أردفت: «لا يلتقي جميعنا بالأشخاص المناسبين لهم، وأنا واثقة من أنك توافقني الرأي. أنا شخصياً أفضل البقاء عزباء على أن أتزوج من رجل غير مناسب لي. سأقصد لندن وأنا أتطلع قدماً إلى التقدم في مجال عملي، وربما سأسافر إلى مكان ما... أو شيء من هذا القبيل».

حدّق هاري بها متسائلاً ما خطبها. أتراها خاضت علاقة غرامية وصلت إلى نهاية سيئة؟ أتراها تبتعد عن هذا المكان لأن شخصاً ما ألحق بها الأذى وفطر قلبها؟ هي لم تقل أي شيء يتعلق بوجود رجل في حياتها. استشعر في كلامها شعوراً بالغضب. قال لها ببرود بعد أن استجمع قدرته على التحكم بنفسه: «لم أكن أعلم أنك امرأة تسعين وراء مهنتك بالدرجة الأولى، جينا».

- أحقاً؟

رفعت جينا بصرها ونظرت مباشرة إلى وجهه، لكنه لم يقدر على فهم أي شيء من تعابير وجهها وهي تقول له: «أنت لا تعرفني حق المعرفة، أليس كذلك؟».

أحس هاري كما لو أنها صفعته على وجهه مع أن صوتها بدا هادئاً. ظن أنه يعرف جينا جيداً، فلطالما سمعها تتحدث بحرية عن نفسها وعائلتها وأصدقائها. مع ذلك... ضاقت عينا هاري ما إن أدرك أنها لم تناقش مطلقاً حياتها العاطفية معه، لذا افترض أن ليس لديها أي علاقة غرامية. بما أنه شخص لا يحبذ التكلم عن تلك الناحية من حياته الخاصة فهو لم يدفعها إلى ذاك الاتجاه أيضاً. هذا كل شيء. لكن ماذا عن ساعات العمل المطولة التي ضحت جينا بها منذ وصوله؟ لقد كرست معظم وقتها لوظيفتها. بدت مستعدة دوماً وجاهزة للعمل الإضافي كلما طلب منها ذلك، ولطالما كرست ما أمكنها من الوقت لتشرح له إجراء ما ليس مألوفاً بالنسبة إليه، حتى عندما تكون الأعمال مكدسة أمامها إلى درجة تجعلها تعمل من دون توقف. أما هاري فاعتبر ذلك أمراً مسلماً به. بالنظر إلى الوراء تبين لهاري أنه - لشدة غروره- تصور أن شركة «بريدون وابنه» تمثل كل حياتها، لكن لِمَ تراها تكون كذلك؟ لِمَ لا يكون هنالك أي رجل في الخلفية في مكان ما؟

استجمع هاري أفكاره المتسارعة وقال: «إذاً ما هو هدفك النهائي؟ هل تنوين البقاء في العاصمة إلى الأبد، بما أنك انطلقت نحوها؟».

تمهلت جينا لتفكر. لاحظ هاري أنها عضت شفتها السفلى بأسنانها للحظة، فتجاوب جسده مع حركتها تلك ودبت فيه الحياة. بعدئذ رفعت بصرها نحوه وقالت: «لست واثقة بعد. إنه أمر محتمل. كما قلت لك، أود أن أسافر وربما يكون السفر من ضمن العمل، فذلك أمر مناسب تماماً».

شعر هاري بالصدمة إلى حد بعيد حين أعلنت جينا عن نيتها بالمغادرة بعد رأس السنة بفترة قصيرة، فذلك الأمر بدا مغايراً للصورة الكلية الشاملة التي كونها عنها: امرأة عاقلة يمكن الاعتماد عليها وهي هادئة ومتوازنة جداً كما أنها ثابتة تماماً على الأرض بكلتا قدميها. لم يتصور مطلقاً أنها ستعلن فجأة أنها ستغادر منزلها وتترك عملها وأصدقاءها حتى تلاحق طموحاتها في المدينة. حاول أن يبدو لا مبالياً حين قال: «فهمت. أنت مليئة بالمفاجآت جينا لايتون. ظننتك أقرب إلى الشخص المحب لديارة ومنزله. ما من

شخص يمكنه أن يشعر بالسعادة بعيداً عن مكان ولادته».

- لندن ليست في الجهة الأخرى من العالم.

رفعت جينا ذقنها وهي تتكلم، فقال هاري بسرعة: «آه! لا تسيئي فهمي. ذاك ليس انتقاداً».

- جيد.

- إن كان لأي شخص أن يفهم الاندفاع للسفر فهو أنا. كل ما في الأمر هو أنني نظرت إليك على نحو مختلف، ظننتك...

- مملة؟

حدق هاري بجينا وقد أصابته الدهشة. قال: «مملة؟! أنا بالطبع لم أظنك مملة. كيف يمكنك أن تقولي هذا؟ أردت أن أقول إنك بدوت راضية بما لديك وبمكانك في الحياة».

قالت جينا بصوت عادي: «حتى لو كان المرء كذلك فهو أحياناً يتمنى التغيير».

في هذا الوقت بالذات وصلت النادلة حاملة لهما سلطة الخبز الدافئ، وحالما رحلت مد هاري يده عبر الطاولة ولمس يد جينا للحظة قصيرة قائلاً لها برقة: «لم أقصد أن أهينك. وأقسم إنني لم أعتقد مطلقاً أنك مملة».

ربما مزعجة... ربما مسببة للارباك في بعض المناسبات، كما حصل خلال حفلة عيد الميلاد حين سرق منها ذلك العناق السريع فرافقه عطرها طيلة الأمسية، أوحين كانت تترك شعرها منسدلاً أثناء العمل فيضطر هاري إلى حشر يديه في جيبي سرواله طيلة النهار حتى يقاوم إغواء الامساك بتلك الكتلة الحريرية اللامعة بكلتا يديه، لكن مملة... مطلقاً!

هزت جينا كتفيها وقالت: «الأمر ليس مهماً على أي حال».

أزاحت جينا يدها من تحت يد هاري فأوحى له ذلك بأنها ما تزال منزعجة. ازداد صوته قساوة وقد شعر بالانزعاج: «بل هو مهم جداً. نحن صديقان. ألسنا كذلك؟».

- نحن... كنا... زميلين في العمل، أولاً وبالدرجة الأولى... كنا

ودودين لكن ذلك لا يعني أننا صديقان.

جاء ردها مثبطاً للعزيمة، فحدق هاري بها. بدت وجنتاها محمرتين، أما عيناها فبدتا مشرقتين، ولم يتمكن من قراءة أي شيء في تعابيرها المغلقة. لم يقدر على تذكر آخر مرة خرج فيها عن طوره وهو يتحدث مع امرأة ما. لكن ذلك يحصل معه الآن. مرّر أنامله في خصلة شعر تدلت على جبينه، ثم استند إلى الوراء في كرسيه وراقبها متفكراً. قال: «إذاً ما هو تعريفك للأصدقاء؟».

تناولت جينا لقمة من الخبز قبل أن تقول له: «الأصدقاء حاضرون لأجلك في السراء والضراء. يمكنك أن تمرح معهم أو أن تبكي برفقتهم. إنهم يعرفون الكثير عنك لكنهم لا يتخلون عنك حتى لو أخطأت أحياناً. إنهم جزء من حياتك».

أدرك هاري أنه يعبس فتخلص من عبوس وجهه. أحس أنه أهين بشكل مباشر، فقال: «من الواضح أن أياً مما ذكرته لا ينطبق علينا. أليس كذلك؟ أهذا ما تقولينه؟».

سألت كما لو أنها تؤكد الأمر: «حسناً! أهذا ما أقوله؟».

- أظن ذلك.

- هاري، نحن لم نلتق أبداً خارج نطاق العمل، ونحن لا نعرف سوى القليل عن بعضنا البعض.

هز هاري رأسه بعناد وقال بحزم: «لا تكوني سخيفة، نحن نعرف الكثير عن بعضنا البعض».

ازداد انزعاجه عندما ضاقت عينا جينا بشكل تهكمي. تملكته رغبة غير عقلانية بأن يقول شيئاً أو يفعل شيئاً مميزاً حتى يصدمها، وهذا أمر لم يحصل معه مذ كان صبياً. يا له من حديث غريب! تساءل هاري كيف وصل بهما الحديث إلى هنا. لماذا يهمه رأي جينا بخصوص علاقتهما إلى هذا الحد، في مطلق الأحوال؟

- أعلم أن لديك شقيقتين، وأن صديقتك المفضلة تدعى إيريكا، وأنك

تأخذين كلبي والديك للتنزه حتى تحافظي على رشاقتك . . .

بدا كلام هاري نزقاً حاد الطباع حتى لسمعه .

- هذه وقائع متعلقة بالعقل لا بالقلب .

قال وقد ازداد طبعه حدة : «عذراً؟» .

أطلقت جينا تنهيدة منهكة ، قبل أن تتناول ملء فمها من الطعام قالت :

«فكر بالأمر» .

أكل هاري سلطته الدافئة من دون أن يتلذذ بها . منذ اليوم الأول للقائهما ظهرت تيارات خفية بينهما . إنها نوع من الصداقة المميزة بغض النظر عما تقوله جينا . لكن ها هي جينا أمامه تصرّح ببرودة كالثلج أنهما فقط زميلان في العمل لا شيء أكثر . اللعنة! هو متأكد أن هنالك شرارة بينهما ، حتى لو لم يفعل أي منهما أي شيء بهذا الخصوص . هو يعرف تماماً أن جينا ليست من ذلك النوع من النساء اللواتي يخضن علاقات غرامية غير جدية . وبما أنه غير قادر على تقديم أي شيء ثابت ودائم لها أبقى الأمور بينهما عادية وخفيفة ، لكن ذلك لا يعني أن ليس هنالك شيء حقيقي بينهما .

ظهرت النادلة حالما أنهيا طبقيهما فحملتهما لتأخذهما عن الطاولة . في هذه الأثناء نهضت جينا فتناولت حقيبة يدها وقالت بنبرة مشرقة : «سوف أذهب لإصلاح تبرجي» .

نهض هاري فأومأ لها ثم جلس من جديد . راقبها وهي تشق طريقها نحو الجهة الخلفية من المطعم الصغير إلى أن فتحت باباً وضعت عليه عبارة «للسيدات» .

لطالما ظن هاري أنه يعرفها جيداً ، لكنها برهنت له أنه على خطأ . ازداد عبوسه عمقاً . هذه المرأة التي جلست أمامه وقالت له بوقاحة ليذهب بصداقتهما إلى الجحيم - أو ما شابه - ليست هي نفسها التي كان يراها كل يوم من التاسعة حتى الخامسة في العمل . في الواقع ، إنها شخص غريب عنه . أقر أنها امرأة غريبة جميلة ناعمة ذات بشرة عسلية وعينين تبدوان حساستين غير واثقتين للوهلة الأولى ثم تتقدان ناراً في اللحظة التالية حتى تتلاءما مع

شعرها ، لكنها ما زالت شخصاً غريباً عنه وهو لم يفهم ذلك مطلقاً! لطالما تصور أن هنالك تياراً ما بينهما ، وطيلة هذا الوقت كانت هي تتابع علاقتها مع شخص آخر . بالطبع! يحق لها ذلك ، فهو نفسه خاض علاقة غرامية أو اثنين . . . وربما ثلاث قصيرة الأمد خلال الاثني عشر شهراً الماضية . لكن الأمر مختلف بالنسبة إليها . عبس مجدداً لهذا النفاق والرياء ، وتجهم مقتاً لنفسه . اللعنة! لقد قبضت عليه وعرفته على حقيقته ، أما هو فلم يتصور أن حياته بدت واضحة بالنسبة لها إلى هذا الحد . ذلك أمر يؤكد مليون مرة أنه محق تماماً في عدم تورطه مع جينا في علاقة غرامية . إنها تسبب له المشاكل . زم فمه وهو يفكر أن من السخافة أن يثور غضبه على هذا النحو . جينا سوف تغادر يوركشاير مع نهاية الأسبوع وذلك سينهي كل شيء . أما سوزان ريتشاردز فأوضحت له ببساطة أنها مستعدة للقليل من الوقت الممتع من دون أي ارتباطات تقيدهما . في الواقع إنها نوعه المفضل من النساء . ازداد تجهمه عمقاً ، وحين أعاد الكوب الفارغ إلى الطاولة فعل ذلك بقوة . لحسن حظه أن الكوب لم ينكسر .

٣ - هارب من الحب

ما الذي أصابها؟ لماذا تراها تتحدث إلى هاري بهذا الشكل؟ وقفت جينا تحدق في صورتها المتوردة خجلاً والمنعكسة على المرآة الصغيرة المضاءة بنور كاشف في الغرفة المخصصة للسيدات، بدا هاري مدهوشاً تماماً ولا عجب في ذلك. تناولت حقيبة يدها فبحثت عن أحمر الشفاه اللماع، وحملته بيدها ثم وقفت تحدق في الفراغ. اللوم كل اللوم يقع على موقفه، فذلك ما أخرج الشيطان المدفون في أعماقها، وذلك يتلاءم مع لون شعرها. عندما كانت جينا وشقيقتاها صغيرات في مرحلة النمو، حذرهنَّ والدهنَّ مراراً من حماقة التكلم أولاً والتفكير لاحقاً، وكان يندب حظه دوماً لأنه الرجل الوحيد في منزل فيه أربع نساء صهباوات.

أنت شخص متعلق بالعائلة... ولابد أنك ستلتقين شخصاً ما في لندن... ما الذي يقصده بقوله هذا؟ لمَ تراها لا تكون امرأة طموحة تمارس مهنتها بنجاح وتقدم، على أي حال؟ الشقراوات الطويلات النحيلات مثل سوزان ريتشاردز لسن وحدهن من يحتكرن هذه الأمور.

فجأة هبطت معنويات جينا وأصبحت عيناها مغشيتين. لقد تصرفت على نحو سيء في الخارج. وإذا أرادت أن تكون صادقة مع نفسها، فسبب ذلك هو أن رؤية هاري برفقة سوزان بدت بمثابة رش الملح على الجرح. ربتت على عينيها بمحرمة ورقية، ثم أصلحت تبرجها. الذنب يقع عليها وحدها. ما كان يجدر بها أن ترافق هاري إلى العشاء. علمت منذ اللحظة الأولى أنه تصرف غبي لكنها فعلت ذلك في جميع الأحوال. هاري لا يمكنه إلا أن يكون هاري كما هي طبيعته. إنه رجل وسيم ساحر جداً، وسوف

يحظى دوماً بالنساء اللواتي يلهثن وراءه. لكنها بعد هذه الليلة على الأقل لن تكون مضطرة إلى مشاهدة ذلك أكثر. أحست جينا بقلبها يتخبط في مكانه، ما جعلها تلطخ ذقنها بأحمر الشفاه. توقفت عما كانت تفعله، فأحاطت خصرها بذراعيها ثم تأرجحت إلى الأمام وإلى الوراء بضع مرات إلى أن فتح الباب فجعلها تستقيم. دخلت امرأة طويلة تبدو كسيدة أو ربة منزل، أومأت إلى جينا مبتسمة قبل أن تدخل إلى المرحاض الوحيد الموجود في آخر الغرفة.

تمنت جينا لو أنها متقدمة في السن، أو أنها على الأقل مسنة بما يكفي لأن يصير ما تشعر به الآن مجرد ذكرى قديمة بالنسبة إليها. تمنت لو أنها لم تحب هاري إلى هذه الدرجة. ذلك يعني أنها لن تحصل على الأرجح على الزوج والأولاد الذين لطالما تخيلت أنها ستحظى بهم. عضت بقوة على شفتها وقد غشيت عيناها. هاري محق فعلاً. إنها امرأة متعلقة بالعائلة وتحب ديارها. لكن ها هي مجبرة على سلوك طريق لم تتخيل نفسها أبداً أنها قد تقطعه يوماً.

الذنب بأكمله يقع على هاري! حملقت جينا بانعكاس صورتها في المرآة فيما مسحت ذقنها الملطخ بأحمر الشفاه، ثم وضبت أدوات التبرج في حقيبة يدها. يا له من حقير! إنه راض جداً عن نفسه وسعيد جداً بما لديه. استنشقت نفساً عميقاً فيما قالت لنفسها إنه يجدر بها أن تتمالك ذاتها. حسناً! ادخلي إلى هناك وكوني مشرقة مشعة، واتركي هاري بابتسامة عندما يحين الوقت.

عندما عادت جينا إلى صالة الطعام أحست أن الأنفاس علقت في حلقها لدى رؤيتها لهاري. لطالما شعرت بذلك لدى رؤيته. ذلك أمر مزعج في أفضل حالاته وفي أسوأ حالاته محرج.

وصلت جينا إلى طاولتها مع هاري تزامناً مع وصول الطبق الرئيسي وبدا ذلك توقيتاً ممتازاً. هو يبتسم الآن على الأقل. ردت له الابتسامة وانزلقت جالسة على كرسيها. بدا منزعجاً تماماً حين غادرت الطاولة منذ قليل، لكنها لا تستطيع لومه على ذلك.

شعرت أنها بحاجة إلى شراب منعش يساعدها على خوض هذه الأمسية من دون أن تبدو غبية تماماً. مع ذلك قالت لنفسها في اللحظة التالية أن ذلك التفكير مضلل، لأن اضطراب مشاعرها بسبب أحاديث هاري وقربه منها قد يدفعها لأن تقول شيئاً سخيفاً أو أن تتصرف بحماقة. حذّرت جينا نفسها كي تبقى ثابتة رصينة، ثم تذوقت طبق التالياتيللي. إنه لذيذ جداً. إنه الأفضل الذي تذوقته يوماً. قررت أن تتناول طعامها بارتياح عوضاً عن تجويع نفسها، لذا اندفعت بنشاط لتأكل ما في طبقها. مع حلول وقت انتهاء الطبق الرئيسي اكتشفت أن بمقدورها أن تضحك من كل قلبها، حتى لو كان قلبها على وشك أن يصبح مفطوراً. برهن هاري أنه الرفيق الكامل خلال العشاء، وذلك بعد سوء التفاهم الذي حصل قبل قليل. أخبرها قصصاً ممتعة مستعرضاً دهاءه وحنكته اللذين صعقها بهما خلال أولى أيام لقائهما.

اختارت طبق الميرينغ بالفستق كتحلية وذلك لم يفشل في إرضاء توقعاتها. فكرت أنها ربما لن تأكل الطعام بعد هذه الأمسية لحوالى الأسبوع. ابتسم هاري وهو يتتبع بعينيه حركتها، ثم قال: «يسرني أنك استمتعت بالعشاء. ليتني فكرت باصطحابك إلى هذا المكان منذ أشهر».

ليته فكر بذلك! قالت جينا: «يسرني أنك لم تفعل، لأن وزني كان ليغدو ضعفي ما هو عليه الآن».

قال هاري ببساطة: «بمقدورك أن تأخذي كلبي والديك في رحلات إضافية سيراً على الأقدام فتخسرين الباوندات الإضافية».

- انظروا من يتحدث! شخص لم يتبع حمية غذائية في حياته.

لَم تراه يفعل؟ فالرجل كامل المظهر.

- وأنت، هل تفعلين؟ أقصد هل أنت مضطرة إلى اتباع حمية غذائية؟

إنه سؤال شخصي نوعاً ما، لكنها استجابته لنفسها. أومأت جينا قائلة: «شقيقتاي تشبهان والدي، وهو رجل طويل نحيل وليس لديه وزن إضافي. أما أنا فأشبه والدتي. نحن نتبع الحمية الغذائية من أسبوع إلى آخر لكن ليس بانتظام، إذ سرعان ما نضرب الحمية الغذائية عرض الحائط لنأكل ما طاب

لنا. والدتي تلوم والدي على هفواتها. هي تقول إنه لا يحفّزها لأنه يحبها «صالحة للاحتضان والعناق حسب قوله».

ابتسمت جينا مكشرة.

- أنا أوافق والدك.

ابتسمت من جديد وبدت ابتسامتها ساحرة هذه المرة.

- أنا أعني ما أقوله.

غيرت جينا الموضوع عمداً، فقالت: «أشكرك على هذا العشاء اللطيف، هاري. أنا استمتعت به فعلاً. إنها طريقة لطيفة لإنهاء فترة عملي لدى شركة «بريدون وابنه».

بدا هاري كما لو أنه يهضم ما قالته لبضع لحظات، ثم قال: «سوف أستغرب ذهابي إلى العمل كل يوم من دون أن أجدك هناك».

استكن واثبت في مكانك يا قلبي الغبي! أجبرت جينا نفسها على الابتسام فقالت: «أظنك ستجد سوزان بديلاً أكثر ملاءمة مني، حتى إنها ذكية جداً».

- أفترض ذلك.

لم يبدُ هاري متأثراً بسوزان، فقفز قلب جينا فرحاً قبل أن تذكر نفسها أن ذلك لا يعني شيئاً. لو لم تكن سوزان موجودة لكانت هناك امرأة أخرى مكانها. قالت جينا بنبرة صوت سطحية: «سوف تجري الأمور على ما يرام. إنها تجري دوماً على هذا النحو لو منحت الوقت اللازم».

قال هاري بنبرة جافة: «أظننا كلينا خبيرين جداً في العمل لنعرف أن ذلك غير صحيح».

سعل لينقي حلقه فيما ركز نظرات عينيه ذات الأهداب الكثيفة على وجه جينا متابعاً: «اسمعي! أعرف أن لا علاقة لي بذلك ويمكنك أن تطلبي مني أن أصمت لو أردتِ، لكن هل لقرارك بمغادرة يوركشاير أي علاقة بحياتك الخاصة؟».

حدقت جينا بهاري بانشداه.

بعد لحظة أضاف: «أعني أهناك رجل ما . . . ؟ هل أنهيت علاقة غرامية بشكل تعيس، أو شيء من هذا القبيل؟ إن كان هذا هو السبب، فالهروب لن يساهم بالضرورة في تحسين حالتك».

فتحت جينا فمها لتنكر ذلك وقد صدمها الهلع، لكن فجأة تدخل المنطق وفكرت أن هاري ليست لديه فكرة بأن الرجل الذي يتكلم عنه هو هاري نفسه، لذا فإن تأكيد شكوكه لن يفعل شيئاً سوى العمل لمصلحتها. أولاً، سوف يضطر إلى تقبل فكرة أن لديها سبباً جوهرياً للرحيل. ثانياً، ذلك سوف يفسر ترددها في زيارة يوركشاير في المستقبل.

- أنا على حق. ألست كذلك؟ لقد خذلك شخص ما.

بعد الحديث الذي جرى بينهما قبل قليل، لم تقدر جينا على تحمل فكرة أن يظن هاري بأن أحدهم تخلى عنها كما لو أنها جورب قديم نتن. لذا قالت له بتصلب: «أنا اتخذت قراري بإنهاء العلاقة والسير قدماً».

ضاقت عينا هاري، وتعرفت جينا إلى النظرة المرتسمة على وجهه. إنها النظرة التي يعتمدها حين يرفض قبول الفشل في إبرام عقد عمل أو ما شابه. إنها تلك اللمحة المتشبثة العنيدة الرائعة التي دفعت بشركة «بريدون وابنه» لأن تصير أقوى خلال السنة المنصرمة. ذلك يبدو رائعاً على مستوى العمل. لكن الأمر مختلف تماماً عندما يرتكز ذاك الذهن الفطن الحاد عليها هي. فقالت بسرعة: «لم تكن تلك العلاقة لتصل إلى أي مكان، هذا كل ما في الأمر».

- ما الذي تقصدينه بقولك إنها لم تكن لتصل إلى أي مكان؟ من الواضح أنك منزعجة بسبب انتهائها ما يدفعك إلى مغادرة أصدقائك وعائلتك وحياتك بأكملها.

أحس أنه أنهى كلامه بشكل ماساوي نوعاً ما. فأضاف فجأة: «إنه ليس متزوجاً. أم تراه كذلك؟».

أحست جينا بالارتياح لاختبائها خلف الغضب والسخط، فقالت: «من المستحيل أن أتورط مع زوج امرأة أخرى».

تحلّ هاري باللباقة فقال: «بالطبع لا. ما كنت لتفعلي ذلك. أعلم ذلك. . . حقاً، أنا أعلم. لكن ما الذي حل بتلك العلاقة إذاً؟».

تساءلت جينا إن كان بمقدورها أن تنهي هذا الحديث بعدة كلمات تفيد بأنه يجدر به أن يهتم بما يعنيه فقط لكنها الآن تتعامل مع هاري لذا قالت بأكثر ما استطاعت من خفة: «إنه السيناريو المعهود. هو شخص راض بعدم الارتباط إلى أجل غير مسمى، أما أنا فأردت المزيد».

بدا هاري مصدوماً، فقال: «هل يعرف كم تهتمين لأمره؟».

تذكرت جينا المثل الذي يتحدث عن ذلك الذي يرشق بيوت الآخرين بالحجارة وهو لا يدرك أن بيته مصنوع من الزجاج! هزت كتفيها فيما أبقت على صوتها ثابتاً خالياً من المشاعر وهي تقول له: «هذا ليس بيت القصيد فعلاً. كل ما في الأمر هو أننا رغبنا بأشياء مختلفة لمستقبلنا. أنا مستعدة لأن أستقر، أما هو فلا. في الواقع أنا لا أظنه قد يستقر أبداً في حياته».

حدق هاري بجينا فيما أظلم محياه وقال: «بمعنى آخر، الرجل ربطك معه في هذه العلاقة».

قالت جينا بقساوة: «لا! هو لم يربطني معه. لطالما كان صريحاً ومباشراً تماماً. أفترض أنني فقط. . . أملت بالحصول على المزيد».

لطالما أملت بذلك، منذ اللحظة الأولى التي وقعت فيها عيناها على هاري.

- أنت تتصرفين بلطف بالغ. لا بد أنه كان يعرف أي نوع من الفتيات أنت منذ البداية.

آه! لم تعد قادرة على مجاراته في الحديث. قالت له بصوت منخفض: «هل يمكننا أن نغير الموضوع؟ أرجوك، هاري؟».

فتح هاري فمه حتى يعترض، لكن النادلة وصلت إلى جانبهما حاملة القهوة. انتظر إلى أن ابتعدت عنهما، ثم تكلم بنبرة متأنية جداً ما ترك أثراً عليها جعلها ترغب بركله، إذ قال برفق: «صدقيني جينا! أعرف أي نوع من الرجال هو. إنه ليس جديراً بك».

علقت بنبرة جافة: «أحقاً؟ كيف تعرف هذا من دون أن تكون قد التقيته؟».

- كما قلت لك. أنا أعرف هذا الصنف. أنا لا أقول إنه مخطئ في عدم رغبته في الارتباط والاستقرار فأنا نفسي أتبع هذا الأسلوب، لكنني لا أتورط مع امرأة تضع في ذهنها فكرة «معاً إلى الأبد»، وهنا يكمن الفرق: الرجل قادر على معرفة الفرق دوماً.

إنه فعلاً أكثر الرجال غروراً على وجه الكرة الأرضية. سألته جينا بدهاء: «كيف يمكنك أن تعرف إذا كانت المرأة تبحث عن علاقة غرامية دائمة أم عن مجرد علاقة عابرة؟».

نظر هاري إليها بطرف عينه بازدراء وقال بتصلب: «إن علاقاتي ليست أبداً فظة أو مجرد علاقة عابرة لليلة واحدة. أنا لم أحصل على أي امرأة لمجرد أنها أشارت إلي بأنها متوفرة وحرة».

هذا الجانب بحد ذاته هو شيء جديد تكتشفه جينا عنه. حدقت إليه بعينين بريئتين وقالت: «إذاً يجدر بك أن تتعرف إلى المرأة أولاً فتكتشف إذا كان بمقدورها أن تقدم لك الحافز الجسدي كما الذهني، وتتأكد أن ميولها بالنسبة إلى الحياة والحب هي مشابهة لميولك؟».

حدّق هاري بها كما لو أنه غير واثق إن كانت تسخر منه أم لا. بعد لحظة، قال وعيناه تلتمعان: «أنت تجعلين الأمر يبدو خالياً من الضمير والمشاعر إلى حد بعيد».

في الواقع، هي لم تخاطر بسوى قول القليل اقترحت قائلة بحلاوة: «أليس... الأمر كذلك؟».

قال بضراوة: «أفضل أن أعتبر الأمر صدقاً، ولو كان هذا الرجل الذي تورطت معه صادقاً معك، لما كنت ستجدين نفسك في هذا الموقف الذي أنت فيه الآن».

- لكن الانجذاب والحب والرغبة لا تنسجم دوماً. هي لا تأتي داخل علب صغيرة ذات بطاقات معنونة. أليس كذلك؟

تفوهت جينا بهذا الرد فيما انتابها شعور رائع بالرضى لأنها أصابته في الموقع الحساس. تابعت تقول: «قد يأتي الأمر عفوياً فيصيبك مباشرة وبقوة في قلبك، ويأخذك على حين غرة تماماً. إنه شيء يتغلب على كيانك بأكمله، شيء حقيقي يجعل كل شيء آخر وكل الأشخاص الآخرين حولك كما لو أنهم غير موجودين».

ثنى هاري ذراعيه فوق صدره، واستقر بارتياح أكبر في كرسيه فيما درس ملامح وجهها المحمر خجلاً، ثم سألها: «أهكذا جرت الأمور مع هذا الرجل؟ أهو موقف قلبك رأساً على عقب؟».

ترددت جينا، وعلى الفور قبض هاري على مسار الحديث قائلاً ببرود: «أترين؟».

- ما أراه هو أن موقفك مجرد عذر مناسب جداً لك حتى تمارس اللعبة على طريقتك من دون أن تخشى الانتقام.

- أستميحك عذراً؟

رفضت جينا أن تشعر بالخوف بسبب زجرته، فلاقت حملقته بعينيها من دون خوف أو إحجام، فقالت له: «أنت تمتلك أفضل ما في العالم هاري، وأنت تعلم ذلك جيداً. يمكنك أن تخرج برفقة امرأة لتناول العشاء والمشروب، ثم تأخذها إلى سريرك كلما أحببت ذلك. ثم تهجرها وأنت تبتسم قائلاً: «أخبرتك عما يجب أن تتوقعيه مني». وذلك بعد أن تكون قد اكتفيت منها. أنا أجد هذا أمراً... بغيضاً وكريهاً».

- بغيضاً و... كريهاً؟

لو أن الموقف مختلف، لضحكت جينا ملياً على السخط المحض الذي بدا على وجه هاري. لكنها قالت بحزم: «نعم، بغيضاً. لا يمكنك أن تقول لي إن بعض صديقاتك الحميمات لم يقعن في غرامك. بغض النظر عن التفكير المعاصر الذي يحاول البعض الترويج له هذه الأيام، فإن العلاقة الحميمة تعني للمرأة من الناحية العاطفية أكثر مما تعنيه للرجل. إنها بالنسبة للمرأة...».

توقفت جينا فجأة عن الكلام فيما رفع هاري أحد حاجبيه متهكماً. ثم تشدق سائلاً بنبرة ملؤها الشك: «نعم؟».

قالت جينا بشجاعة: «. . . . أمر يتعلق بالمشاعر والحب. .».

تساءلت لما تراها تعطي هاري -من بين كل الناس- درساً في أهمية العلاقات العاطفية. تابعت: «أما بالنسبة إلى الرجل. .».

- إنه التملك والمتعة.

تجاهلت جينا خديها المشتعلين، فأومأت بحدة وقالت: «بالضبط».

- ألا تظنين أن الرجل قادر على أن يشعر بأي شيء يتخطى الاكتفاء الجسدي؟

- أنا لم أقل ذلك.

هو يعلم أنها لم تقل ذلك. تابعت: «لكن ذلك أمر مختلف».

- فليحيا الاختلاف!

يبدو أن إحراج جينا وخجلها أعادا إلى هاري رباطة جأشه واتزانه. استجمعت جينا كرامتها وقالت باعتدال: «آسفة إذا كنت تعتبر الأمر قديم الطراز أو مضحكاً، لكنني أظن أن الحب يجب أن يدخل إلى المعادلة بغض النظر عما ستؤول إليه الأمور في النهاية. أعرف بالطبع أن ما من ضمانة أكيدة في أي علاقة غرامية فأنا لا أعيش في عالم الخيال والأحلام».

نظر هاري إليها بصمت للحظة ثم قال: «أنا لست أهزأ منك، جينا».

وكأنها ستصدقه!

- في الواقع في وقت من الأوقات كنت أنا نفسي أتبنى وجهة نظرك هذه، لكن. . .

توقف للحظة ثم تابع: «. . . الناس يتغيرون. الحياة تغيرهم».

لم تقل جينا أي شيء. في الحقيقة صدمتها هذه الملاحظة الأخيرة. نبرة صوته والنظرة المرتسمة على وجهه بدتا مختلفتين عن أي شيء عرفته فيه من قبل.

- أظنني أصبحت مستقلاً ومكتفياً بذاتي. أحب حياتي كما هي عليه،

ولن أتشارك بها مع شخص آخر قد يكون في أحسن حالاته غير ملائم لي وفي أسوأ حالاته أشبه بالكابوس.

تمنت جينا لو أنها لم تبدأ بهذا الحديث مطلقاً. تنفست حتى تقاوم شرخ الألم الذي أخذ يجول في صدرها، ثم قالت: «ربما كلمة مراوغ تختصر وضعك هذا».

- هل تظنين أنني مراوغ؟

- ليس بسبب ما قلته الليلة، بل بسبب ما عرفته عنك خلال الاثني عشر شهراً الماضية».

لوهلة لم تصدر عن هاري أي ردة فعل، ثم قال بنعومة: «أؤكد لك أنني لا ألاحق الجنس الآخر».

- لا. أنا لم أقصد. . . أنا. . . أعلم أنك لست. . .

اختصر هاري فأفاتها بابتسامة غامضة. جاء صوته مليئاً بالسخرية حين قال: «أعلم ما قصدته، جينا. ذاك هو أسلوبي. أنت على حق. أنا مراوغ عندما يختص الأمر بالجنس اللطيف».

لماذا بدا لها اعترافه أنها على حق محبطاً بشكل مريع؟ أومأت جينا ببطء وهي تخفي مشاعرها، فاختارت كلماتها بدقة حين قالت: «هل حظيت بتجربة سيئة في مكان ما في فترة شبابك؟».

أملت أن يتمكنا من تلطيف هذا الجو الذي أصبح فجأة مشحوناً جداً بسبب نبرة صوتها، فهي تعلم بأنه لن يرغب بالتحدث عن الأمر بتفاصيله. لكنه فاجأها هذه المرة. أومأ برأسه، ثم انحنى إلى الأمام فتناول إحدى حبات النعناع التي أحضرتها النادلة مع القهوة، ثم فك غلافها قبل أن يقول: «كان اسمها آنا، وكانت علاقة غرامية حامية. كنا يافعين حينها، وكنت قد غادرت الجامعة للتو عندما التقينا. اعتقدت أن الأمر سيدوم إلى الأبد، فتبادلنا العهود. لكن بعد مرور حوالى السنة أو ما يقاربها وجدت أن مشاعري بدأت تتغير. كنت ما أزال أهتم لأمرها، لكنني لم أعد مغرماً بها. اختفت تلك المشاعر التي ظننتها حباً. ربما كان الأمر مجرد نزوة. لست

أدري».

- ماذا عن آنا؟

- قالت لي إنها تحبني من أعماق قلبها لكنها مصابة بالمرض... بنوع نادر من السرطان. في الواقع، هي لم تكن مريضة، لم أكتشف أنها كذبت علي إلا بعد أن تزوجنا. أخبرني أحد أصدقائها أنها راهنت على الإيقاع بي، واعتبرت الأمر مزاحاً ومرحاً. من الواضح أنني بدوت أضحوكة وموضوع مزاح.

- أنا آسفة.

شعرت جينا بالأسف عليه، فقد بدا صوت هاري مليئاً بالألم والمرارة.

- ادعت أنه لم يبق لديها سوى بضعة أشهر من الحياة، وتوسلتني أن نمضي هذه الأشهر القليلة المتبقية لها كزوجين. لكنها في الواقع كانت سليمة معافاة تماماً.

- ما الذي فعلته بعد أن تزوجتما؟

- أخبرتها أنني سأغادر، وفي تلك الليلة قطعت رسغيها بالشفرة في الحمام.

لم يكن بمقدور جينا إلا أن تحدق وهي غير قادرة على تصديق ما تسمعه أذناها.

- هكذا بدأ الموضوع. شهور من التلاعب والدموع والتهديد ونوبات الغضب. ومحاولتان افتراضيتان أخريان بالانتحار عندما أوشكت على الرحيل. اللعنة! كنت ما أزال يافعاً وغبياً. أنا فقط... اعتقدت أنها قد تقتل نفسها. أخيراً وصل الأمر بي إلى مرحلة بدأت أخشى معها أن أصاب بالجنون. عندئذٍ رحلت وتركتها. سافرت إلى الخارج.

- ما... ما الذي فعلته هي؟

هز هاري كتفيه: «أخذت مني كل قرش استطاعت الحصول عليه، ثم حرصت على تلويث سمعتي واسمي بالتراب، وتزوجت رجلاً آخراً مسكيناً يمكنها أن تمسح به الأرض».

شعرت جينا بالمقت، فمدت يدها ولامست يد هاري قائلة: «لابد أنها كانت مريضة عقلياً».

التوت شفتا هاري، وقال: «مريضة عقلياً؟ لا! لا أظن. بل هي متلاعبة، محتالة، فظة، قاسية... وكل هذه الصفات مخبأة تحت عباءة الأنوثة... لكن مريضة؟ كان بمقدوري أن أسامحها لو أنها مريضة، لكن لا يمكنني أن أغفر تصميمها الصرف للحصول على مبتغاها بغض النظر عن الشخص الذي تدوسه بقدميها».

وهكذا قرر هاري ألا يسمح لنفسه بالتورط أبداً مجدداً. يمكنها أن تفهم ذلك. لكن لابد أنه يدرك أن جميع النساء لسن مشابهات لآنا! قالت له بهدوء: «أظنها كانت مريضة، هاري. أنا لم ألتقِ أبداً بأي امرأة مثلها. جميع النساء اللواتي أعرفهنَّ سوف يرتعبن إذا عرفن ما فعلته بك آنا».

لم يجادلها هاري في تلك النقطة. أنهى فنجان القهوة الخاص به وهز كتفيه ببطء، فيما أعاد الفنجان إلى الصحن وقال: «على الأرجح أنك محقة، لكن لم يعد الأمر مهماً على أي حال. كما قلت لك، الحياة تغير الناس. ربما أسدت لي خدمة. لولا آنا لما توجهت أصلاً إلى الولايات المتحدة الأميركية ولما عرفت ما أريده في الحياة - والأهم من ذلك ما لا أريده- في فترة مبكرة من حياتي».

علقت جينا بصدق كبير يتخطى اللباقة: «أنا آسفة، لكنني لا أظنها أسدت لك خدمة. كيف تراها خدمة فيما قررت عدم الارتباط؟ سوف يفوتك الحصول على زوجة وأولاد...».

أجاب هاري بهدوء وبرودة: «أنا لا أرغب في الحصول على زوجة وأولاد جينا. لدي كل ما أريده، وأعتبر نفسي أكثر الناس حظاً».

كادت جينا تصدقه تماماً لولا ذلك الظل الذي أظلم عينيه الرماديتين كلون الدخان. سرعان ما رمش هاري بعينيه فاختفى الظل. استجمعت جينا كل ما لديها من شجاعة وقالت: «هل كل ما تريده في الحياة منزل جميل فارغ كالقوقعة، خال من العائلة التي تجعله بيتاً حقيقياً؟ أتصبو إلى حياة من

الاستقلال التام من دون أن تحظى بشخص تكبر إلى جانبه . . . من دون امرأة تتذكر معها السنوات الخوالي؟ ألا تريد الحصول على شخص تحتضنه عندما يظلم الليل ويقترب نور الصباح؟».

لاقى هاري نظرات جينا لبضع لحظات مرتعشة بالحميمية المثيرة للفضول، ثم أغمض عينيه الرماديتين لبرهة من الزمن. عندما رفع نظره مجدداً بدا مبتسماً، أما صوته فحمل نبرة ملؤها التسلية حين قال: «أنت رومنسية، جينا لايتون».

لم تدرِ جينا كيف أدركت أن هاري لم يكن يبتسم في داخله، لكنها بدت واثقة من ذلك. قالت بنعومة: «أنا أؤمن بالحب. أنا أؤمن بالحب الذي يستمر مدى العمر. لا شيء آخر يمكن أن يصل إلى مستوى الأمان والرضى الذي يوفره هذا الحب. إنه يتحلى بقوة تسمح له بتخطي الحواجز التي ترسمها الثقافات والأديان، فيشفي الجراح غير القابلة للشفاء ويبلسم القلوب المفطورة. بإمكان الحب أن يغير أكثر الناس سخرية وتهكماً ويجعل العالم مكاناً صالحاً للعيش. نعم، أنا أؤمن بكل ذلك. إذا كان ذلك يتلاءم مع تعريفك للرومنسية، فأنا أرفع يديّ عالياً وأستسلم مقرة بذنبي بسرور».

هز هاري رأسه ببطء وقال: «هذا، بالرغم من أن الرجل الذي رغبت بتمضية حياتك معه تخلى عنك ورحل بعيداً؟».

رمشت جينا عينيها. بدت تلك ركلة، وآلمتها كثيراً.

- أنا آسف.

على الفور مد هاري يده فالتقط يد جينا ممسكاً بأناملها. في حين أنه كان يجدر بها أن تسحبها إلى الوراء، إلا أنها أحست أن آلاف الخلايا العصبية في جسمها تتجاوب مع لمسة يده الدافئة. أغمضت عينيها لتخفي الأحاسيس الغامرة التي اجتاحتها، فسمعت صوت هاري الخافت النادم يقول: «أنا فعلاً آسف، جينا. ذلك لا يغتفر. لابد أنني أشبه الحيوانات البدائية التي تهاجم عندما تشعر بالتهديد».

أيشعر هاري بالتهديد؟! لاقت جينا نظراته مذهولة. إنها المرة الأولى

التي ترى فيها أعماقه مكشوفة من خلال وجهه. بدا حساساً وسريع التأثر كأنه يخبئ حاجة ما . . . توقاً ما. لم تعرف بالطبع إلامَ يتوق، لكن هذا التوق بدا كامناً في الأعماق الدخانية لعينيه الرماديتين. ابتلعت ريقها بصعوبة، ثم ذكرته وهي تحاول تدبر ابتسامة لائقة: «أنت اعترضت منذ قليل على اتهامي لك بمثل هذا التشبيه».

- نعم فعلت ذلك.

استطاعت جينا أن تقرأ الارتياح البادي على وجهه. هاري يكره المشاهد العاطفية، وهي تعرف سبب ذلك الآن. قالت له بذاك النوع من الابتهاج الذي يتوقعه هاري منها: «هل يمكنني أن أستعيد يدي الآن، أرجوك؟ أريد أن أشرب قهوتي».

- بالطبع.

ابتسم هاري لها، فأحست بقلبها يتلوى ألماً. هي لا تقوى على أن تتخيل عدم رؤيته كل يوم. لم تحاول التفكير بالأمر لأنها أدركت أنه سوف يضعف من عزيمتها وقوة إرادتها، أما الآن فحان الوقت لذلك. بعد فترة قصيرة، ربما بعد ساعة أو اثنتين، سوف يقود هاري سيارته بسرور خارج حياتها من دون أي اهتمام.

تساءلت جينا عمّا قد يفعله هاري لو استسلمت لرغبتها المفاجئة بأن تطلعه على مشاعرها تجاهه. ماذا لو طلبت منه أن يعانقها عناقاً حقيقياً لمرة واحدة فقط، وذلك لأجل الأيام الخوالي؟

لابد أنه سيشعر بالرعب. الجواب واضح وصريح. هاري سيشعر بالرعب والاحراج والحذر. وكلما فكر بها مرة من الآن فصاعداً - هذا إذا ما فكر بها أصلاً - سوف يشعر بالغرابة وبعدم الارتياح، وجينا لا تريد ذلك. حسناً! لعل السبب هو غرورها من جديد، لكنها فعلاً تفضل أن تمشي على الجمر الحامي بدلاً من أن تجعل هاري ينكمش كلما تذكر اسمها.

- . . . . عنوانك؟

- عفواً؟

أدركت جينا متأخرة جداً أن هاري يكلمها، وأنها لم تسمع كلمة مما قاله. هز هاري رأسه وقال متهماً: «أنت تفكرين به الآن بالتحديد... بهذا الرجل الذي خذلك. هل ستقابلينه قبل مغادرتك إلى لندن؟».

بدا هاري منهزماً لكنها لم تستطع أن تفكر بسبب لذلك. الأمر لا يعنيه ولا يهمه سواء قابلت هي حبيبها الخيالي أم لا. هزت كتفيها وقالت لتصرف الموضوع: «لست واثقة».

ناقشا هذه المسألة برمتها بما فيه الكفاية، وهي تخشى أن يزل لسانها فتقع في مشكلة. إنها لا تستطيع أن تكذب بشكل طبيعي، وهي تدرك أنها سيئة فاشلة بالكذب. أضافت قبل أن يبدأ هاري بمجادلتها في هذه النقطة: «كما أنه لم يخذلني... ليس بالشكل الذي عنيته. ما الذي قلته قبل ذلك؟».

- قلت يجدر بك أن تتذكري بأن تعطيني عنوانك ورقم هاتفك هذه الليلة.

لم تكن لدى جينا أية نية إطلاقاً بإعطائه عنوانها الجديد بعد تعليقه في وقت سابق من هذا النهار بأنه سوف يأتي لينام على أريكتها حين يقوم بزيارة لندن. سوف تبتدع عذراً ما عندما يوصلها إلى منزلها، فتقول له إنها سترسله له بالبريد أو شيء من هذا النوع. كما أنها لن تؤخر فترة وداعهما أيضاً، فهي لا تريد أن يراها لآخر مرة وهي تولول وتبكي على فراقه.

أنهيا تناول قهوتهما، ثم سدد هاري الحساب. راح قلب جينا يخبط بقوة فيما مشيا إلى الخارج باتجاه السيارة، بينما وضع هاري يده على مرفقها. بدا الليل لطيفاً محبباً بشكل لا يحتمل، وذلك بسبب رائحة الربيع وأحاسيس جينا المترقبة. فكرت أنها لم تشعر بهذا الحد من البؤس طيلة حياتها.

لم يشغّل هاري المحرك فور دخولهما إلى السيارة. عوضاً عن ذلك استدار في مقعده حتى ينظر إليها وهو يعبس قليلاً، ثم قال لها بهدوء: «أنا قلق عليك، جينا».

أدركت جينا أن فمها انفتح من تلقاء نفسه، فأطبقته بسرعة. أجابته بحذر: «أنا لا أفهم».

- هذا الرحيل المفاجئ إلى لندن لتعتني بقلبك المفطور... إنه أمر خطير. أخشى أن تكوني مفتوحة الذراعين حتى يأتي أسوأ أصناف الرجال ليستغلك. بعيداً عن الأصدقاء والعائلة، بمفردك في المدينة القاسية، ستكونين حساسة سريعة العطب إلى حد غير معقول.

تحدث هاري عنها كما لو أنها آني الصغيرة اليتيمة القادمة من تلك الرواية المخصصة للأطفال. حدقت جينا إليه للحظة قبل أن تقول بتصلب: «أنا في الثانية والثلاثين من عمري هاري، ولست مراهقة في السادسة عشرة من عمري».

أطبق هاري شفتيه معاً بذاك الشكل الذي يبرع فيه جيداً. إنها حركة تجعلها تتلوى توقاً إليه، لكنها بالطبع لا تنوي أن تخون نفسها فتطلع هذا الرجل الوسيم القوي الصلب على ذلك.

بعد مرور عدة ثوان قال هاري ببساطة: «لا أظنك فكرت بالأمر جيداً».

- أستميحك عذراً؟

لم تعد جينا قادرة أن تصدق وقاحة كلامه. لم تفكر بالأمر جيداً! إنها لم تفعل أي شيء آخر خلال الأشهر الماضية. من الواضح أنه لا يعتبرها فقط غير جذابة بل غبية أيضاً. قالت بتصلب: «ما الذي تعرفه عن الأمر بحق السماء؟».

بدا هاري غير متأثر بثورانها الواضح، فقال لها: «لا تتحمسي كثيراً الآن. أنا بكل بساطة أشير إلى أنك في مرحلة الارتداد. لأن أي شخص في موقع الارتداد لا يسمح لأي شخص آخر بالتدخل».

حملقت جينا بالرجل الذي تحبه بكل أجزاء كيانها، ثم قالت: «ها أنت قد أشرت إلى الأمر. أتشعر بالتحسن؟».

- إذا كنت قد أخذت رأيي بعين الاعتبار.

قالت جينا ساخرة: «آه! بالطبع فعلت».

شغل هاري المحرك وقال: «مضحك جداً. أنا فقط أحاول أن أعتني

بصديقة. ما الخطب في ذلك؟».

أحست جينا أن غيمة كآبة رمادية تستقر عليها، فقالت بنبرة صوت سطحية: «لا شيء. شكراً».

- يسرني ذلك.

توجه بالسيارة من موقف السيارات الصغير باتجاه الطريق، جلست جينا جامدة تماماً وهي تحدق خارج نافذة السيارة الأمامية، لكن من دون أن ترى فعلاً الطريق الممتد أمامها. أحست أنها مشتتة عاطفياً وعقلياً وجسدياً. إن ليالي الأرق اللامتناهية التي تحملتها خلال الأشهر الماضية وهي تتعذب بسبب هاري، والدعوة المفاجئة إلى العشاء معه، بالإضافة إلى شكل الحديث الذي جرى بينهما... هذه الأمور مجتمعة ساهمت في إدخالها إلى حالة من الارهاق التام. فكرت جينا بذلك بجفاء وهي تغمض عينيها وتسترخي إلى الوراء في كرسيها.

لم تدرك إن كانت فعلاً قد غفت أم لا عندما لاحظت أن هاري أوقف السيارة. فتحت عينيها فوجدت أنهما ما يزالان في الريف بعيدين وفي الظلام. سألت ببعض الحذر فيما بدأ هاري بالرجوع بالسيارة على طول درب ضيق: «ما الأمر؟».

نظر هاري إليها قائلاً: «لست واثقاً. عودي إلى النوم. هذا ليس السيناريو المعروف حيث يقول الرجل لرفيقته: لقد نفد مني الوقود في هذا المكان النائي».

قالت جينا بصوت يحمل نفحة الحقيقة: «لم أعتقد أبداً أنه كذلك».

قاد هاري السيارة رجوعاً إلى الوراء لبضع مئات من الياردات قبل أن يتوقف قائلاً: «رأيت سيارة تنطلق من هذه النقطة، وعندما مررنا من هنا رأيت صندوقاً من الكرتون بجانب الهاوية. أنا فقط أرغب بالنظر إلى داخله».

- لماذا؟

أومأ هاري وقد بدا صوته رصيناً نوعاً ما وهو يقول: «لست أدري

لماذا، لكن يخالجني شعور غريب بخصوص الصندوق. ابقي داخل السيارة».

فتح هاري باب السيارة وخرج من مقعد السائق، ثم تبعته جينا إلى الخارج بعد لحظة. كان قد انحنى للتو فوق الصندوق، وقبل أن يفتحه قال لها: «طلبت منك أن تبقي داخل السيارة».

دارت جينا حول مقدمة السيارة لتصل إلى جانبه وقالت: «لا تكن سخيفاً! ماذا في داخله؟».

في هذه الأثناء فتح هاري الغطاء، والآن بعد أن وصلت إليه ونظرت نزولاً رأت عدّة أشياء صغيرة الحجم تتحرك وتحدث صريراً. قبضت على كم قميصه وبدت عيناها واسعتين. قالت: «آه، هاري! أحدهم رمى بعض الجراء في هذا المكان وسط المجهول. كيف تمكن من فعل ذلك؟».

قال هاري بعبوس: «بسهولة تامة كما يبدو».

- أهي على ما يرام؟

أصبح الآن كلاهما رابضين بالقرب من الصندوق، فاستطاعا أن يشاهدا تحت ضوء القمر أربعة جراء تتلوى في أرجاء الصندوق على أوراق الجرائد المثنية. أوشكت جينا على البكاء وهي تقول: «آه! يا لها من حيوانات صغيرة مسكينة! ما الذي سنفعله؟».

نهض هاري قائلاً: «إذا وضعت الغطاء الخاص بالسيارة فوق ركبتيك، هل يمكنك أن تضعي الصندوق في حضنك؟».

- بالطبع!

لم تصدق جينا أن بمقدور أي شخص أن يتصرف بشكل خالٍ من الاحساس فيضع الجراء في صندوق يتركه في بقعة مجهولة، ثم يغادر المكان بكل بساطة، مع وجود كل تلك الملاجئ الخاصة بالحيوانات هذه الأيام. حالما عادا إلى داخل السيارة وضعت الصندوق في حضنها. أنعمت النظر إلى داخله وقالت مرتعشة: «إنها بالغة الصغر. هل تعتقد أن هنالك خطب ما بها؟».

قال هاري بنبرة جافة: «ليس بوجود كل هذه الجلبة التي تحدثها».

- إلى أين ستأخذها؟

- لا بد أن هنالك طبيباً بيطرياً في مكان قريب من هنا، لكن ليست لدي أدنى فكرة أين هو. اسمعي! عاملة التنظيف التي تقصد منزلي، السيدة روثمان، لديها كلاب. هل تمانعين إذا تراجعنا في طريقنا حتى نقصدها ونستفسر منها؟ فهي قادرة على أن تدلنا نحو الاتجاه الصحيح، لكن ذلك يعني أنك ستعودين متأخرة إلى منزلك. لقد أصبحنا في منتصف الطريق المؤدي إليه الآن.

لم تكن جينا قد أدركت بأنهما سارا كل هذه المسافة بالسيارة. لا بد إنها غفت معظم الطريق. قالت: «لا يهم إن تأخرت في العودة. لست مضطرة إلى الاستيقاظ في الصباح الباكر غداً للذهاب إلى العمل، أتذكر؟ سوف يكون نهاراً مخصصاً للتنظيف والترتيب، لذا أرجوك اذهب لمقابلة السيدة روثمان».

هدأت الكلاب عندما أحست بالدفء داخل السيارة. لكن جينا أخذت تفقدها كل بضع دقائق وهي تشعر بالرعب خشية أن تموت. أحست بالارتياح الكبير عندما وصلا إلى القرية الصغيرة التي تقع على مرمى حجر من كوخ هاري المنعزل. أوقف هاري السيارة أمام منزل أنيق مرتب ذي شرفات. تبين لها أن السيدة روثمان هي امرأة بدينة من الصنف الأمومي. جذبتهما إلى داخل منزلها الصغير الأنيق الدافئ، وأصرت على أن يعدّ زوجها لهما كوبين من الشاي فيما راحت تنظر إلى محتويات الصندوق وأعلنت حالما تفقدت الجراء: «إنها كلاب جاك داسيل المهجنة حسبما يبدو، وكلها إناث. أراهن على أن صاحب الكلبة الأم تخلص من الإناث لا من الذكور. تجري الأمور على هذا النحو أحياناً. أو لعلها كانت مجموعة كبيرة من الجراء المولودة سوياً».

بعد أن نظفت السيدة روثمان الجراء الأربعة، وضعت في الصندوق أوراق جرائد جديدة فيما قام زوجها بهرس بعض الطعام المخصص

للكلاب. بعد إطعام الجراء تم وضعها في الصندوق من جديد فنامت على الفور.

- كم تعتقدين أنها تبلغ من العمر؟

استدارت السيدة روثمان نحو هاري وقالت له: «أعرف ملجأ للكلاب لا يبعد كثيراً من هنا. سأعطيك رقم هاتفه وعنوانه. سوف يأخذونها هناك. أنا واثقة».

أومأ هاري وقال: «شكراً».

أخذ أحد الجراء يصدر صريراً وأصواتاً تشبه صوت المزمار، فركعت جينا وحملت الجسد الصغير المتلوي خارج العلبة، ثم وضعته في حضنها مداعبة وبره الحريري الناعم إلى أن عاد إلى النوم مجدداً. نظر هاري إليها، وقال: «لا أعلم. أي نوع من الناس هو ذاك الذي استطاع أن يراقبها وهي تنمو إلى هذه المرحلة، ثم تركها بمفردها لتموت؟».

هذا بالتحديد ما فكرت به جينا، لذا دمعت عيناها لكلامه، ملاحظة أنه تأثر كثيراً بسبب هذه الجراء. عندما بدأ جرو آخر يخدش الصندوق أخرجه هاري منه ولاطفه إلى أن استقر في حضنه. ألحت السيدة روثمان عليهما أن يتناولا المزيد من الشاي مع الكعك المصنوع منزلياً. مالبثت أن نامت الجراء فيما فرقعت النيران وتوهجت، ثم سمعت تكتكة ساعة الحائط القديمة العهد في زاوية الغرفة. بدت الأجواء حميمة ودافئة، ولم ترغب جينا بانتهاء هذه اللحظات أبداً.

٤ - ليلة مجنونة

بدأ هاري يختبر استضافة جديدة تماماً عليه، لكن أياً منها لم يكن مرحباً به. فكر بكآبة فيما ودع هو وجينا آل روثمان وسارا متجهين نحو السيارة، أن هذه الأمسية بأسرها هي غلطة هائلة منذ بدايتها حتى نهايتها. حشر هاري الصندوق تحت ذراعه، أما جينا فحملت كيساً يحتوي على علب من الطعام المخصص للكلاب أصرت السيدة روثمان على دفعها نحوهما. حالما ساعد هاري جينا لتستقر في السيارة حاملة الصندوق في حضنها، استدار من حول مقدمة السيارة نحو المقعد المخصص للسائق.

جينا لايتون امرأة جميلة، لطيفة، ذكية وحساسة إلى درجة يلتوي لها القلب، لكن امرأة مثلها لا يمكنها حتماً أن تظهر بشكل بارز في حياته هو. لا مجال أبداً. فمع شخص مثل جينا يأتي الارتباط والمسؤوليات والتعقيدات والمشاكل، وهو سئم هذه الأمور. حالما دخلا إلى السيارة أخذت الجراء تعوي وتئن وتخربش في أرجاء الصندوق بجنون، فقالت جينا وهي تشد حزام الأمان وتحكم ربطه حولها: «أظنها تريد أمها. لا بد أنها تتساءل ما الذي يجري بحق السماء».

يعلم هاري تماماً كيف تشعر الجراء، فالحياة بدت له هذا الصباح واضحة تماماً. اعتقد أن وداعه لجينا سيكون وداعاً دافئاً. سيقول بضع كلمات بخصوص الساعة فيشكرها على كل ما فعلته لأجله مظهراً امتنانه لها، وينتهي الموضوع. رحيل مربح، بسيط، نظيف. ابتسامات في كل الاتجاهات. لماذا إذاً تراه طلب منها أن تتعشى معه؟ ما إن همّ بتشغيل محرك السيارة حتى قامت إحدى الجراء بمحاولة للهرب مستخدمة شقيقاتها كمنصة

للوثب، فاندفعت باتجاه حافة الصندوق ما جعل جينا تزعق. ما لبثت أن قالت بسرعة: «آسفة. لقد أجفلتني».

- إنها كائنات صغيرة خفيفة الحركة وفطنة. أليس كذلك؟

لم يقو هاري على منع نفسه من الابتسام. أمالت جينا رأسها نحو هاري وقالت له: «كيف ستتمكن من قيادة السيارة طيلة طريق العودة إلى منزلك بعد أن توصلني إلى منزلي؟ ألن تفلت الجراء في أرجاء السيارة؟ أليس من الأسهل أن تصطحبها إلى منزلك أولاً فتضعها في مكان ما قبل أن تقلّني إلى المنزل؟ يمكنني أن أطلب سيارة أجرة، أو ربما يمكنني أن أحتفظ بها أنا فآخذها إلى مأوى الكلاب في الصباح».

حدّق هاري بها وقد أصابه الذهول. إن أياً من النساء اللواتي عرفهن خلال السنوات القليلة الماضية ما كانت لتزعج نفسها بالقلق بشأنه في مثل هذا الموقف أو القلق بشأن الجراء أيضاً. إن اهتمامهن الأساسي ينحصر في ثيابهن وأناقتهن وأظافرهن وما شابه. إنه على الأرجح غير منصف تجاه واحدة أو اثنتين من أولئك النساء لا أكثر. أقرّ قائلاً: «لعلها فكرة جيدة أن نمر بمنزلي أولاً فأضع الجراء في غرفة الغسيل قبل أن أعيدك إلى منزلك. سخّان المياه هناك يبقى دافئاً باستمرار وسوف يبقيها دافئة. لدي أيضاً بضع قطع من الخشب في المرآب، يمكنني أن أستخدمها لصنع عازل يبقي الجراء في الداخل. سوف يعطيها ذلك المجال لتشعر بالراحة».

أومأت جينا برأسها وأطلقت قهقهة خفيفة قائلة: «افعل ذلك إذاً لكن بسرعة فهذا الجرو الكبير مصمم على الفرار من الصندوق. من الواضح أنه يتمتع بصفات قيادية».

ردّ هاري لها الابتسامة: «غالباً ما يكون أحدها كذلك».

قالت له فيما شغّل محرك السيارة: «إنها لطيفة جداً، ورائحة الجراء تلك... إنها رائعة».

قال هاري بنبرة عملية: «لم تكن الرائحة رائعة جداً قبل أن تقوم السيدة روثمان بتنظيفها».

قهقهت جينا مجدداً. فتساءل هاري لما تراه يشعر بالحماسة إلى هذه الدرجة بسبب هذا الصوت البسيط البريء الذي أطلقته. حسناً! إذا أراد أن يكون صادقاً مع نفسه، فهو أخذ يقاوم انجذابه إلى هذه المرأة منذ اليوم الأول للقائه بها. قاوم بشرتها الباهتة المنقطة بالنمش، وكتلة شعرها الحريري الذي يتألق ملتمعاً بعشرة آلاف درجة لون أحمر ونحاسي عندما تلامسه أشعة الشمس.

استدار بالسيارة نحو الطريق فقادها بصورة آلية وهو مأخوذ بأفكاره. لطالما تعمد أن يدخل إلى المكتب ليرى جينا جالسة إلى مكتبها برصانة، وكان ذلك كافياً ليجعله تواقاً إلى معانقتها. لو أنها تعلم ماهية التخيلات التي كان ينغمس فيها حين يحلم بها... لطالما أزعجه هذا الموقف وأثار غضبه في بعض المناسبات. أدرك وهو يشعر بالخجل من نفسه وبشيء من الصدمة أن ذلك الموقف كان يخيفه إلى حد بعيد. لو أن جينا امرأة قوية صلبة متبلدة الشعور لاختلف الأمر تماماً. لكان بمقدورهما أن يستمتعا مع بعضهما البعض في علاقة غرامية تطول بقدر ما يتطلبه هذا الانجذاب من وقت حتى يحرق نفسه بنفسه وينطفئ. هذا إذا افترضنا أن جينا منجذبة نحوه أصلاً. عبس هاري لنفسه. لطالما اعتقد أن هنالك شرارة بينهما، لكن يبدو أنه كان يخدع نفسه، والسبب في ذلك ربما أن جينا بدت دوماً مثالاً عن اللباقة واللياقة. اللعنة! إنه موقف مستحيل. لهذا السبب هو مجبر على الاقرار بأنه أحس بشعور أولي بالارتياح حين قالت إنها مغادرة.

لكن هل ما زال يشعر بالارتياح؟ لم يعد واثقاً مما يشعر به الآن. إنه يرغب باصطحابها إلى منزله وإطالة فترة بقائها معه. هو لا يريد امرأة دائمة في حياته. والآن كشفت له جينا أنها مغادرة بسبب رجل ما، وهو مجبر على الإقرار بأن تلك المعلومة صدمته نوعاً ما. مضى وقت طويل على آخر مرة شعر فيها بوخز الغيرة المزعجة، إلا أن هذا الشعور تحرك في داخله منذ بداية هذه الأمسية. حديثهما بأكمله جعله يدرك أنه لا يعرف جينا حق المعرفة كما كان يظن. أخبرته جينا أن الرجل لم يكن متزوجاً وهو صدقها. حسناً! لِمَ

تراها ستكذب؟ لكنه حتماً وبكل تأكيد رجل أناني. من الواضح أنها ظلت تقابله لفترة من الزمن لكنه تركها ترحل... أحس هاري بعضلة تتقلص في فكه. تمنى لو أنه يستطيع تمضية خمس دقائق بمفرده مع ذاك الرجل الحقير النذل. اتجهت عيناه مجدداً نحو جينا إذ سمع زعقة صغيرة أخرى منها فيما أعادت بحذر الجرو الأكبر بين الجراء إلى الصندوق مجدداً. قال لها وهو يلتف بالسيارة نحو الدرب المؤدي إلى منزله: «أوشكنا أن نصل إلى المنزل».

نظرت نحوه وهو يوقف سيارته خارج الكوخ وسألته: «كيف ستقوم بإيصالها إلى مأوى الكلاب في الصباح؟ إن الصندوق لن يكون مفيداً».

- سوف أجد شيئاً آخر، وإذا فشلت بذلك سوف أقدم مساهمة مالية كريمة لذلك المأوى ما قد يقنع شخصاً ما بالقدوم إلى هنا لأخذها.

حالما وصلا إلى الكوخ، ترك هاري جينا في غرفة الغسيل برفقة الجراء، بينما ذهب هو إلى المرآب لإحضار بضع قطع من الخشب. عندما عاد إلى الغرفة وجدها راكعة على الأرض المغطاة بالآجر فيما كانت الجراء تركض في أرجاء المكان حولها.

- إنها لطيفة جداً ومحببة.

رفعت جينا نظرها باتجاهه فيما بدت عيناها مشرقتين وبدا شعرها أشعث ناعماً، فسجلت عضلات معدته صورتها تلك بانقباض خفيف. قالت له: «اعتقدت أن الجراء كلها متشابهة في بادئ الأمر، لكن تبين لي أن إحداها أكبر من الأخريات، أما ذاك...».

أشارت بإصبعها إلى جرو صغير وتابعت: «... فهو الأصغر، والاثنان الآخران هما من الحجم نفسه».

أومأ هاري وقال: «هنالك بركتا ماء على الأرض».

كشّرت جينا وقالت: «لا يمكنها أن تمنع نفسها عن ذلك، فهي مجرد جراء صغيرة. أليست كذلك؟».

أضافت ذلك وهي ترفع أصغر الجراء بين ذراعيها وتداعب رأسه الصغير المكسو بالزغب. ثم تابعت: «أنت مجرد جرو صغير تفتقد إلى أمك.

فلا تعر اهتمامك إلى هاري العجوز المتذمر».

قاوم هاري رغبته بأن يأخذ جينا مباشرة بين ذراعيه فيعانقها بقوة مظهراً أن المتعة والسرور موجودان في الحياة بالرغم مما فعله ذاك النذل الذي هجرها. لكنه عوضاً عن ذلك وضع الأخشاب بعناية، ثم نشر كمية من الجرائد في إحدى زواياها على أمل أن تبقي برك الماء محصورة في مكان واحد أما في الزاوية الأخرى فصنع للجراء سريراً من المناشف. في هذه الأثناء سارت جينا نحو المطبخ فأحضرت صحنين ملأت أحدهما بالماء والآخر بالطعام المخصص للكلاب. على الفور تهافتت الجراء لتتناول الطعام والشراب.

وقف هاري برفقة جينا لبضع دقائق يراقبان الجراء وهي تستكشف محيطها الجديد، فيما ضحكا على هفواتها الصغيرة. هذه الجراء فعلاً أشبه بأربع مهرجين. فكر هاري بذلك وهو يراقب الجرو الأصغر منها وهو يمسك بأسنانه ذيل شقيقه الأكبر ثم ما يلبث أن ينقلب على ظهره بسبب أحد الجروين الآخرين. صدمه إدراكه لحقيقة تأخر الوقت كثيراً لدى سماعه تثاؤب جينا المكبوت. نظر إلى ساعة يده وشعر بالدهشة حين رأى أن الساعة تجاوزت الواحدة ليلاً. قال فجأة: «لِمَ لا تمضين الليلة هنا؟».

- ماذا؟

بدت جينا مدهوشة مثله تماماً. قال هاري لنفسه بمزاح غامض: من أين تراها جاءت تلك الدعوة بحق السماء؟ كرّر كلامه بهدوء: «ابقي هنا الليلة. الوقت متأخر جداً، ومن الواضح أنك مرهقة تماماً. يبدو من المنطقي أن تبقي هنا».

رأى هاري فم جينا ينفتح وينغلق. شيء ما في عينيها الزرقاوين جعله واثقاً من أنها سوف ترفض فأضاف بسرعة: «إن السيدة روثمان تبقي غرفة الضيوف دوماً نظيفة وجاهزة ومرتبة».

رآها هاري تبتلع ريقها وتقول: «لا أقدر».

- لماذا؟

بدت جينا غير قادرة على إيجاد الكلمات المناسبة للحظة ثم قالت: «لدي أطنان من العمل الذي يجدر بي إنجازه في الصباح».

تلك ليست القصة الحقيقية! شعر هاري بجفاف في فمه. إنه يراهن بكل أمواله بأن جينا على الأرجح رتبت أمر مقابلة حبيبها في الصباح. ربما قبل أن يتوجه هذا الرجل إلى عمله. اللعنة! ألا يمكنها أن ترى أن هذا الرجل يستغلها؟ من دون أن يشعر بأي ذرة من الندم قال لها بحذر: «سأوصلك إلى المنزل في الصباح الباكر إذ يجدر بي أن أذهب إلى العمل. هل نسيت ذلك؟ ربما يمكننا حتى أن نوصل الجراء إلى ذلك المأوى ونحن في طريقنا. سوف تكون تلك مساعدة كبرى بالنسبة لي. في الواقع، أنا لست أدري كيف يمكنني أن أتدبر أمري من دونك».

حدقت جينا بهاري وقد أظلمت عيناها بإحساس لم يقدر على تخيله. إنها على الأرجح تزن متعة مقابلة صديقها الحميم مقارنة مع مد يد المساعدة له. فقال برفق: «كما قلتِ بنفسك، إنها مجرد جراء صغيرة تفتقد إلى أمها. أكره أن تزداد الأمور تعقيداً عما يجب أن تكون عليه في الصباح، والاعتناء بهذه الجراء الأربعة قد يكون مشكلة».

قرر هاري أن الغاية تبرر الوسيلة، لذا كذب بكل سهولة وهو يتابع قائلاً: «أنت معتادة على الاعتناء بالكلاب أما أنا فلا».

رأى عينا جينا تضيقان فأدرك أنه بالغ في الأمر حين قالت: «لكنك قلت لي مرة إن والديك اعتادا على اقتناء الكلاب».

تدارك الحديث بسرعة وقال مبتسماً: «ذلك صحيح. لكنني غادرت المنزل منذ فترة طويلة. فضلاً عن ذلك، فهذه الجراء الصغيرة لا تشبه البتة نوع الكلاب الذي كنا نربيه وأنا يافع».

- السيدة روثمان تظن أنها جراء جاك راسيل المهجنة. لن تكون كلاباً صغيرة الحجم عندما تبلغ.

- لكنها صغيرة الآن ومتململة.

تساءل هاري كم تراه سيقدر على المتابعة بهذا السيناريو حيث يلعب دور

الرجل العديم الحيلة. نقلت جينا نظرها من هاري نحو الجراء التي عادت إلى هدوئها من جديد فالتفّت على بعضها البعض وهي تبدو عديمة الحيلة مثيرة للشفقة على سريرها المصنوع من المناشف. غمغم هاري الذي يعرف جيداً قلب جينا الرقيق: «أخشى أن يسقط مني أحدها».

رآها وهي تغمض عينيها للحظة متناهية في الصغر.

ثم قالت بغير لباقة: «حسناً! سوف أبقى. لكنني بحاجة إلى المغادرة في الصباح الباكر».

لابد أنها تتوقع زيارة من ذلك النذل الحقير!

- أمر مؤكد. أنا لا أريد أن أتأخر أيضاً. ينتظرني نهار كثير الانشغال غداً، وسوزان ليست لديها فكرة تامة عن الأمور مثلك أنتِ، مع أنها تبلي حسناً.

ثم قالت: «أليست كذلك؟».

استطاع هاري أن يستنتج أن جينا ما تزال منزعجة غاضبة لكونها مأسورة هنا فصوتها يحمل نبرة حادة. قال لها: «أترغبين بتناول كوب من القهوة أو أي شيء قبل ذهابنا إلى النوم؟».

- ألديك كاكاو؟

سألها متفاجئاً: «كاكاو؟».

احمرت وجنتا جينا خجلاً، ثم قالت بنبرة دفاعية مرحة: «أنا أتناول عادة كوباً من الكاكاو بالحليب في السرير».

سجل ذهن هاري صورة لجينا وهي تجلس مستقيمة في سريرها فيما ينتشر شعرها فوق كتفيها، بينما تلعق بلسانها الزهري الرغوة عن وجه كوب الحليب بالكاكاو الخاص بها. سعل لينقي حلقه، وقال بصوت أبح: «آسف، ليس لدي كاكاو لكن الحليب متوفر. ما رأيك بكوب من الحليب الساخن عوضاً عن ذلك؟ هل سيفي بالغرض؟».

أومأت جينا برأسها. اعتقد هاري أنها بدت حزينة جداً، فأحس بمزيج من الغضب والمقت يجولان في أعماقه، الغضب من هذا الرجل الفاسد

الذي تعلقت به، والمقت لأن هذه المرأة التي اعتقد أنها شديدة الحساسية وقادرة على تمييز الحق من الباطل سمحت لنفسها بأن تُعامَل بهذه الطريقة. كلما أسرعت بالابتعاد عن يوركشاير كلما كان ذلك أفضل. ومع ذلك فهو لا يريدها أن ترحل، لكنه لم يدرك كم يؤلمه رحيلها حتى هذه اللحظة بالذات.

قادها نحو المطبخ وهو يشعر بالارتباك. جلست جينا على كرسي خشبي فراقبته وهو يضع كوبين على المنضدة المخصصة لتناول الفطور، بعدئذٍ سكب الحليب داخل الركوة ليسخنه، وقال: «سوف أنضم إليك بشرب الحليب».

أومأت جينا برأسها لكنها لم تعلّق.

- وأنا أقدر لك بقاءك هنا لمساعدتي مع الجراء في الصباح.

فرآها ترفع رأسها وتلصق ابتسامة على وجهها قائلة: «لم يكن بمقدوري أن أترك رجلاً بمفرده لكي يتأقلم مع أربعة جراء. أأقدر على ذلك؟».

- صحيح.

لم يكن هاري قد لاحظ من قبل كم أن رجلي جينا رائعتان. تجاهل ردة فعل جسده وقال بابتهاج: «إن أطفال الحيوانات لا تتطلب على الأقل استخدام الحفاظات».

- استخدام الحفاظات لم يعد مشكلة هذه الأيام حتى بالنسبة إلى أقل الرجال كفاءة. لم يعد من الضروري استخدام الدبابيس أو طيّها بطريقة معينة. كل شيء أصبح جاهزاً.

قال هاري بجفاف: «أنا أصدق ما تقولينه».

- لا تقل لي... أنت تعتقد أن تغيير الحفاظات وكل ما يتعلق بها هي أعمال خاصة بالنساء.

قال هاري بنعومة: «في الواقع لا أظن ذلك».

- أحقاً؟

رفعت جينا حاجبيها دلالة على عدم تصديقها.

- لا . إذا قرر الزوجان أن يتحملا مسؤولية إنجاب حياة جديدة إلى العالم، فهذا قرار مشترك على طول الطريق، أو بالأحرى يجدر به أن يكون كذلك. أعتقد أن الأبوة والأمومة مسؤولية متساوية.

سكب هاري الحليب في الكوبين.

- آه!

سأل هاري وهو يستدير لينظر إلى جينا: «أنت لا تصدقينني؟».

اعترضت جينا بهدوء: «أنا لم أقل ذلك».

- لست مضطرة إلى ذلك. يكفي أن ترتسم على وجهك نظرة مضحكة.

أخلت جينا وجهها من كل التعابير، وقالت بابتسامة ضعيفة: «لا يمكنني أن أردع ردات فعل وجهي. إذاً أنت رجل عصري؟».

- آه، ذلك سؤال مختلف. أنا فقط قلت إن إنجاب الطفل يجب أن يكون مسؤولية مشتركة وليس الأمر كما لو أنني أفكر بالأمر لنفسي.

أومأت جينا وقالت: «لا . . . بالطبع لا، فأنت تحب الاستقلالية. أنت تأخذ ما تريد ساعة تريد، ثم تسير قدماً».

كان هاري يهم بمناولة جينا كوب الحليب، ولوهلة تجمّد جسده.

- أهذا ما ترينني عليه؟

سألها هاري ذلك بهدوء تام، فيما حذّره فيض من الأحاسيس أنه بحاجة إلى التحكم بمزاجه.

حدقت جينا به ولم تنبئه عيناها بما تفكر به. قالت: «تلك هي الصورة التي قدمتها لي عن نفسك».

- لا أظن ذلك.

ردت وهي تهز كتفيها قائلة: «ربما يجدر بك أن تصغي إلى نفسك في وقت ما».

- لست بحاجة إلى ذلك. اللعنة! أنا أعرف من أكون عليه وكيف أفكر.

أو بالأحرى كان يعرف ذلك حتى هذه الليلة. زمجر وهو يحملق بجينا قائلاً: «أنا لست زير نساء مجرد من الضمير والأخلاق، جينا».

قالت جينا: «لا بأس بذلك إذاً».

أما تعابيرها فظلت مبهمة. فكر هاري بوحشية أنه لم يعد يدرك إن كان يرغب بهزّ جينا بعنف أم بمعانقتها، فيما أخمد غضباً متفاقماً في داخله.

سألها بحدة: «عرفنا بعضنا لمدة اثني عشر شهراً، والتقينا خلال كل يوم عمل. تحدثنا وضحكنا وتشاركنا المعلومات بخصوص حياتينا. كيف يمكنك أن تقولي إنك ترينني على هذا النحو؟».

ترددت جينا قبل أن تضع كوبها على المنضدة ثم سمحت لجفنيها أن ينزلا فوق عينيها لبضع لحظات. بعدئذ نظرت إلى هاري وقالت له بصوت ناعم: «أنا لا أريد أن أغضبك هاري. لكنني أعتقد أن تلك المشاركة كانت من ناحيتي فقط. لا بأس بذلك، فأنا لا أرغب بإرغام أحد على الوثوق بي، لكنك لم تكشف لي عن أي شيء يتعلق بك. وقبل أن تهاجمني بحدة، فكر بالأمر».

جلس هاري مستنداً إلى الوراء على كرسيه الخشبي وهو يبدو مدهوشاً تماماً.

- أنت رجل يحب الخصوصية. بعد أن أخبرتني قصتك مع آنا يمكنني أن أفهم لما لا ترغب في التورط مع امرأة أخرى، لكن. . .

سعلت جينا لتنقي حلقها وتابعت قائلة: «العلاقة الجسدية لا تساوي الكثير بالمقارنة مع المشاركة والحب المتبادل».

صرّح هاري بما هو واضح: «إن النساء اللواتي أقيم علاقات معهن يعرفن الهدف».

- نعم، أعلم. فسرت لي ذلك من قبل.

أدرك هاري أن جسده أصبح مشدوداً بسبب المجهود الذي يبذله حتى يبدو مسترخياً وغير قلق. فجأة رمى الادعاء جانباً، وقال ببساطة: «أنا لا أحبذ أسلوب نظرتك إلي، جينا».

تغير شيء ما في وجه جينا، أما صوتها فخرج من حلقها بصعوبة حين غمغمت قائلة: «أنا آسفة، ما كان يجدر بي أن أقول ذلك. حياتك تخصك

وحدك ولا يحق لي أن أنتقدك بأي شكل من الأشكال».

أتراها حقاً تفكر بذلك الرجل وبالفوضى التي أعاثها في حياتها الخاصة؟ بسرعة مفاجئة تلاشى غضب هاري وحلت محله رغبة قوية بأن يريحها، فقال بهدوء: «أنت على الأرجح أقرب إلي من أي شخص آخر على وجه الأرض، لذا لديك الحق في التعبير عن رأيك».

رأى وجهها ينقبض كما لو أنها تتألم، فأحس بغضب شديد تجاه الرجل المجهول الذي فطر قلبها وبجيشان للدفاع عنها، فقال: «أنت أفضل منه وهو لا يستحقك. تعرفين هذا. أليس كذلك؟».

- ماذا؟

اتسعت عينا جينا ارتباكاً، وعلم هاري أنها لم تفهمه فقال برفق وهو يشعر بالاحراج: «سوف تتعرفين إلى شخص ما جينا، وكل ما حصل معك سيصبح مجرد كابوس سيء من الماضي».

أفلتت تنفسها المكبوت بتنهيدة صغيرة، ثم همست وهي تهز رأسها: «أنا لا أعتمد على ذلك. أنت لم تتعرف إلى امرأة أخرى. على أي حال، نحن نتحدث عنك الآن لا عني أنا».

أنهت جينا ما تبقى من الحليب في كوبها ثم قالت:

- هل يمكنك أن تدلني على غرفتي؟

أحس هاري برعشة تومض في دمه. إنه يريد الاقتراب منها وضمها إلى ذراعيه بقوة كبيرة لم يشعر بمثلها تجاه أي امرأة على الإطلاق. ربما لأنه انتظرها لفترة أطول مما انتظر أي شخص آخر. لكن لا، السبب ليس هذا فقط. لو أن الأمر مجرد انجذاب حسي لتمكن من التعامل معه بسهولة تامة. لكن هذه جينا! إنه لا يرغب فقط بمعانقتها بل... حسناً! إنه معجب بها... كصديقة، وهو لا يأخذ صديقاته إلى السرير. نهض من كرسيه وهو يتدبر زرع ابتسامة مشرقة على وجهه فقال: «بالتأكيد».

عندما وصلا إلى الدرج، تنحى هاري جانباً حتى تتقدمه، أما عيناه فتركزتا على حركة جسمها فيما تبعها إلى الطابق العلوي.

- إنها لطيفة.

نظرت جينا في أرجاء الغرفة بعد أن فتح لها هاري الباب وأشار إليها بالدخول. استدارت مبتسمة بأدب وقالت: «عمت مساء».

قاوم هاري ذلك الاندفاع من المشاعر الذي تولد في داخله وقال بصوت ثخين: «عمت مساء جينا. ستجدين المناشف وأدوات التبرج وما شابه في الحمام المتصل بغرفة النوم. السيدة روثمان تبقي كل شيء جاهزاً. سوف أقرع بابك قبل عشرين دقيقة من موعد الفطور. اتفقنا؟».

- شكراً لك.

ترددت جينا ثم قالت بتسرع: «أشكرك على توفير المنامة لي لهذه الليلة. أنا لم أبدُ ممتنة جداً في الطابق السفلي. أليس كذلك؟».

- لَم يجدر بك أن تكوني ممتنة؟ أنت تسدين لي خدمة وليس العكس.

في الواقع هو من يسدي لها خدمة هائلة بإبقائها بعيدة عن حبيبها النذل، لكنها لن ترى ذلك حتى لو صارحها بما يفعله. شاهدها هاري وهي تفرك أنفها الصغير اللطيف، وهو شيء تفعله عندما تكون غير واثقة أو حذرة. أدرك حينها أن هنالك الكثير من الأمور الصغيرة التي يعرفها عنها.

كررت جينا قائلة: «حسناً! أشكرك في مطلق الأحوال».

من الواضح أن جينا تنتظر رحيله، لماذا إذاً يحس أنه ملتصق بمكانه؟ قال بنعومة: «نوماً هنيئاً، جينا».

ومع أنه يدرك تماماً أنه يرتكب خطأ بذلك، انحنى إلى الأمام وعانقها عناقاً لطيفاً رقيقاً. بدت حركته سريعة ورشيقة لكن رائحة جينا ونعومة بشرتها أثارتا فيه ردة فعل هزّته حتى الصميم. أحس هاري بتوق بدائي خالص يندفع إليها من خلال جسده، وتطلب الأمر كل ذرة من قدرته للسيطرة على ذاته حتى يستدير ويسير مبتعداً نحو الدرج. سمع صوت انغلاق الباب فتوقف مغمضاً عينيه ملقياً إحدى يديه على الدرابزين فيما استنشق نفساً قاسياً مرتعشاً. جنون! كل ما يتعلق بهذه الليلة هو جنون! أحاديث مجنونة، أحاسيس مجنونة، موقف مجنون...

سوف يكون الوضع مختلفاً عند الصباح، تحت ضوء النهار البارد المشرق. فتح هاري عينيه وقد تصلب وجهه. لا بد أن يكون الأمر كذلك!

٥ - ملح على الجرح

استلقت جينا في حالة ضبابية من شبه الوعي لوهلة وهي غير قادرة على استعادة وعيها تماماً، ثم جلست مستقيمة في السرير عندما أدركت الحقيقة. إنها موجودة في منزل هاري وفي سريره. حسناً! ليست في سريره إنما في أحد الأسرة الخاصة به. أنارت المصباح المجاور للسرير، ثم مدت يدها لتتناول ساعة يدها التي كانت قد وضعتها على المنضدة الصغيرة قبل قليل. إنها الثالثة والنصف صباحاً، وهي تعلم أنها ظلت مستيقظة حتى الساعة الثالثة. إنها على الأرجح لم تحظَ بسوى عشرين دقيقة من النوم، لا عجب إنها أحست أنها خارجة عن طورها. الصوت الذي أيقظها ما يزال مسموعاً. إنه صوت الجراء. أزاحت الشعر عن عينيها بإرهاق، ثم مدت يدها لتتناول مئزر الحمام الذي وجدته معلقاً خلف باب الحمام المتصل بغرفة النوم. يجدر بها أن تذهب لترى ما الخطب.

جلست جينا على حافة السرير لبضع لحظات بعدما ارتدت مئزر الحمام، فقد كانت تشعر بالدوار نوعاً ما. لعل السبب في ذلك عاصفة النحيب التي هبّت عليها حالما صارت بمفردها قبل قليل. فكرت بذلك متشائمة، فالبكاء وهي تحاول ألّا تحدث أي صوت مسموع سبب لها الصداع. سوف تبحث عن بعض حبات الأسبرين أثناء وجودها في الطابق السفلي، لكن أولاً من الأفضل أن تتفقد ما يجري في غرفة الغسيل.

رحّبت الكلاب بجينا بحفاوة وطرب مع أنها كانت مجرد شخص غريب عنها منذ بضع ساعات فقط. ما إن خطت جينا داخل غرفة الغسيل حتى انقلبت الجراء فوق بعضها البعض في محاولاتها للوصول إليها. ضحكت

جينا بالرغم من شعورها بالعي والارهاق. بدلت الطبقة العلوية من الجرائد حيث أدت الجراء واجباتها المفترضة، وأحضرت بعد ذلك المزيد من الطعام الذي أنهته الجراء بأكمله في وقت قياسي.

- آه! أنت جائعة أيتها الجراء الصغيرة.

نظرت جينا نزولاً نحو الجراء فيما أخذت هذه الأخيرة تتحرك الآن حول الطبق الفارغ وألسنتها الزهرية الصغيرة تلعق بحثاً عن بقايا الطعام. شق الجرو الأصغر طريقه نحو جينا، فبدأ يقضم أصابعها بينما خربشت الأخريات حولها بحثاً عن الاهتمام.

- أنت ترغبين ببعض الاهتمام. أهذا ما في الأمر؟

لفّت جينا المناشف التي كان هاري قد وضعها على الأرض، فسمحت للجراء الأربعة الصغيرة ذات الأجساد الدافئة بالصعود إلى حضنها. قالت مغمغمة وهي تداعب رؤوسها: «أفترض أنك تفتقدين إلى أمك وإلى المنزل. ومع ذلك أنت بحال أفضل هنا. من يدري ما الذي كان ليحدث لو لم يلاحظ هاري الصندوق المرمي ذاك؟».

- إنها الرابعة إلا عشر دقائق صباحاً.

رفعت جينا رأسها بسرعة عندما سمعت صوت هاري من مدخل الباب فسمعت عنقها يطقطق. كان يقف مستنداً إلى الحائط، ولم تعرف جينا كم من الوقت مر على وقوفه هناك وهو يراقبها.

- أعرف.

أحست أن فمها أصيب بالجفاف، فهاري كان يرتدي سروال بيجامة غامق اللون مع مئزر قطني أسود. بدا صدره الكثير العضلات أسود بسبب الشعيرات التي تغطيه، أما شعره فبدا مشعثاً ويتدلى فوق جبينه. باختصار، بدا... رائعاً. تلعثمت جينا وهي تشعر بالحماوة: «إنها الجراء...! كانت تصرخ باكية. إنها... تشعر بالجوع».

- كان يجدر بك أن تتجاهليها.

- لم أقوَ على ذلك. على أي حال أنت نزلت إلى هنا أيضاً. أنا لست

الوحيدة هنا.

هيئة هاري ذكرتها أنها ترتدي مئزر الحمام فقط. أرادت أن تحكم شد الحزام، لكنها لم تقدر على ذلك لأن يديها تحملان الجراء.

- صحيح.

لم يتوسع هاري بالشرح إن كانت قد أزعجته أم أنه كان مستيقظاً في جميع الأحوال. أدركت جينا أنه ينظر إليها بتدقيق غير مخفي، فتمنّت لو أنها أخذت وقتها لتمشط شعرها على الأقل. غسلت وجهها قبل خلودها إلى النوم في محاولة لإزالة آخر بقايا تبرجها التي لم تكن دموعها قد غسلتها، قلبت جينا الجراء الأربعة عن حضنها بسرعة وشدّت الحزام بإحكام، نهضت بحذر ثم قالت بتوتر: «أنا آسفة إذا كنت قد أيقظتك».

- لم تفعلي.

توقعت أن يبتعد عن مدخل الباب عندما اقتربت، إلا أنه لم يفعل. توقفت على بعد قدم منه وهي تصلّي ألّا تكون الرعشة الموجودة في داخلها مرئية فعلاً. قال ببطء: «لقد غسلتِ وجهك».

- نعم.

لم تكن جينا بحاجة لأن يتم تذكيرها بما تبدو عليه الآن حتماً.

- يمكنني أن أرى النمش على وجهك بشكل أفضل.

جعّدت جينا أنفها وقالت: «لا تذكرني بذلك».

- أنا أحب النمش، خصوصاً حين يترافق مع العينين الزرقاوين والشعر الذهبي الأحمر.

- الأصهب.

صححت له جينا بشكل تلقائي وهي تشعر بالسرور لأنه لم يقل «كلون الزنجبيل».

لطالما شعرت بالسرور لذلك التشبيه فتلك إحدى الأشياء القليلة التي تحبها في نفسها. حاولت أن تفكر بشيء لتقوله لكنها فشلت تماماً، أما السبب فهو النظرة المرتسمة على وجهه. راح هاري يحدق بها كما لو أنها امرأة...

هذا ما هي عليه، بالطبع. كل ما في الأمر هو أنه لم يلحظها أبداً من قبل. لكن... إنه هاري! صرخ هذا التحذير في رأسها. هاري المعتد بنفسه... هاري الذي لا يرغب بوجود امرأة في حياته إلا لتلبية حاجاته الجسدية فقط، وهذا ما سوف يحصل لو سمحت له بالاقتراب منها أكثر. إنها تحبه بشدة لدرجة لا تسمح لها أن تصبح مجرد رقم في لائحة عشيقاته. أخفضت جينا رأسها وأحكمت شد حزام مئزرها أكثر ثم قالت: «أترغب بتناول كوب من الشاي؟».

سمعت جينا نفسها تقول ذلك بشيء من الهستيريا. الشاي؟ الشاي؟

تمهل هاري لفترة وجيزة، ثم قال بصوت بارد: «إذا ما رافقه التوست فأنا أتضور جوعاً».

استقرت الجراء وهدأت مجدداً ما عدا الجرو الأصغر الذي أخذ يخربش بقائمتيه الأماميتين على الحاجز الخشبي وهو يئن بشكل مثير للشفقة. شعرت جينا بالسرور بسبب هذا الإلهاء، فتراجعت في خطواتها ورفعت الجرو الصغير المهجور بين ذراعيها، قالت بنبرة ملؤها التحدي وهي تلاقي عيني هاري: «ماذا؟ الجرو الصغير المسكين يستحق بعض الحنان، لاسيما بعد كل ما خاضه هذه الليلة».

غمغم هاري بصوت غير واضح: «هل ستدللين أطفالك على هذا النحو؟».

- حتماً!

قالت جينا ذلك بشكل لاذع جاد، متجاهلة غصّة قلبها والوخز الذي أحسته فيه. هي لن تنجب الأطفال أبداً، لأنهم لن يكونوا أطفال هاري. دخلا إلى المطبخ وهي تحتضن الجرو إلى صدرها. وقفت تراقب هاري وهو يملأ الابريق بالماء، ثم يضع قطعتين من التوست في آلة التحميص. سألته: «أتمانع لو ذهبت إلى غرفة الجلوس؟ فقدماي باردتان على أرضية الآجر هذه».

- تصرفي على سجيتك. سوف أحضر الصينية إلى الداخل خلال دقائق.

شقت جينا طريقها نحو غرفة الجلوس فيما شعرت بوخز في مختلف أنحاء جسمها. اختارت كرسياً كبيراً وثيراً لتجلس عليه، فلفّت جسمها بالمئزر جيداً واضعة رجليها بحذر تحتها، فيما حرصت على أن يكون مئزرها محكم الربط. تحرك الجرو قليلاً ثم استقر مجدداً عندما مسّدت جسده الصغير. حدقت نزولاً نحو الحيوان النائم وتملكها شعور سوريالي. كيف بحق السماء وصلت إلى هذا الموضع؟ سبق أن تراءى لها العديد من الأحلام المتعلقة بهاري، لكنها ما كانت لتختلق هذا السيناريو الذي يجري الآن ولو في أكثر أحلامها جموحاً. تراءت لجينا أحلام خيالية أكثر مما تستطيع التذكر ولكنها تصورت نفسها فيها كلها مرتبة تماماً ومذهلة، أما هاري فتصورته يدرك فجأة أسلوبه الخاطئ فيقع عند قدميها من شدة إعجابه وافتتانه بها. وبعد ذلك تخيلته يحمل لها الورود من خلف الباب وخاتماً بحجم طابة الغولف... ابتسمت بحزن وأسف. حسناً! ما زال الجزء المتعلق «بالورود من خلف الباب» ممكناً. هذا المنزل هو تماماً من الصنف الملائم لتكوين عائلة: زوجة وأطفال... أغمضت جينا عينيها وشعرت بألم في قلبها كاد يفتته.

أوضح لها هاري أنه لن يفكر بالزواج مجدداً، دعك من فكرة أن يصير أباً. إنه الآن رجل أعزب عديم الرحمة. تزوج الحرية والاستقلالية ولا يخرج في مواعيد غرامية إلا مع النساء اللواتي يشعرن بالسرور لقبول موقعهنّ المؤقت في حياته بكل لباقة. أما الزوجة والأولاد فلا يدخلون ضمن هذه المعادلة.

سمعت وقع خطواته فتدبرت رسم ابتسامة على وجهها. أطل هاري وهو يحمل صينية وضع عليها كوبين من الشاي مع طبق كبير مليء بالتوست المدهون بالزبدة بالإضافة إلى عدة مأكولات محفوظة. قالت جينا بخفة: «لقد أتعبت نفسك».

فكرت أنه من غير المنصف أن يبدو الرجال رائعين مذهلين حتى عندما يكونون في أكثر حالاتهم إهمالاً، أما النساء فيبدون غير مرتبات عندما ينهضن للتو من السرير. هي لا تعلم بشأن الرجال الآخرين بما أنها لم تمض

الليل أبداً مع أي رجل، لكن هاري يبدو مذهلاً.

- يبدو لي أن العشاء مرّ منذ فترة بعيدة جداً.

ابتسم هاري لجينا وهو يضع الصينية على الطاولة ثم أشار نحو الجرو في حضنها وقال: «يبدو أنه اعتاد عليك. إنه جرو ذكي».

إنه غباء مطلق أن تتأثر إلى هذا الحد بالدفء الناعم البادي في صوته، لكنها لم تقو على منع نفسها بالرغم من معرفتها بأن هذا هو طبع هاري في مزاج المغازلة. ذلك لا يعني شيئاً بالنسبة إليه. استجمعت قدرتها الحديدية الصلبة للسيطرة على نفسها، تلك القدرة التي ساعدتها لتحمل الأشهر الأخيرة، فقالت بصوت عادي: «بالكاد يمكن اعتباره ذكياً، فأنا سأغادر في عطلة نهاية الأسبوع إلى الأبد، ولا مكان له في جدول أعمالي».

ناولها هاري كوب الشاي ثم قدّم لها صحن التوست.

تكلم هاري بعد مرور ثانية أو اثنتين قائلاً: «هل أنت واثقة من أنك تريدين الرحيل؟».

الرحيل؟! إنه في الواقع آخر شيء تريده. لكنها قالت بحزم: «قطعاً».

ولكي تعطي عبارتها دعماً نظرت إلى عيني هاري مباشرة، وتصلّبت حتى لا تظهر فيهما أي أحاسيس وهي تقول له: «أجرينا هذا الحديث خلال العشاء».

أومأ هاري قائلاً: «أنا لم أقتنع بما قلته جينا أيضاً».

- أوضحت لك أنني بحاجة إلى مغادرة يوركشاير.

- آه! لكن الحاجة لا تعني بالضرورة الرغبة.

ساد السكون لفترة وجيزة، بينما ثبت هاري على جينا نظرة قاسية ذات معنى، ثم أعلن بتسلط: «سوف تشعرين بالبؤس في لندن».

التجأت جينا إلى السخرية حتى تخبئ مشاعرها، فقالت: «شكراً جزيلاً لك. يا لك من صديق!».

سخرت عيناه منها حين ردّ قائلاً: «أنت قلتِ لي إنني لست صديقك. من أنا بالنسبة لك بالتحديد. جينا؟ كيف تنظرين إلي؟».

لم يعجبها الطريق الذي سلكه هذا الحديث. حاولت أن تتمالك نفسها وتتحكم برباطة جأشها، فاستنشقت نفساً عميقاً ورفعت رأسها، ثم ابتسمت وقالت بصوت رفيع: «أنت ابن مديري».

ردّ هاري بنبرة جافة: «ابن مديرك السابق. حسناً! ماذا بعد؟».

- أنت بارع جداً في ما تفعله. لديك الخبرة والعديد من الإنجازات.

قال هاري برزانة: «شكراً لك. ماذا بعد؟».

- هل يجب أن يكون هنالك المزيد؟

- يجدر بي أن آمل ذلك، اللعنة...!

توقف عن الكلام ليدرس ملامح وجهها ثم تابع بهدوء: «كرجل... كشخص... هل أنت معجبة بي؟».

قالت جينا بضعف: «لا يجدر بك أن تطرح هذا السؤال. عملنا سوياً لفترة تزيد عن السنة بقليل».

- ذلك هو هدفي بالتحديد. ظننت أننا صديقان أما أنت فلا، لذا بدأت أدرك أنني لست أدري كيف يعمل ذهنك، ما يعني أنني ربما لا أعرف جينا على حقيقتها أبداً. في الواقع، أنا واثق من أنني لا أعرفك. أنا مثلاً لم أكن أعلم أن لديك حبيباً في الخلفية في مكان ما.

بدت نظرات عينيه مسلطتين بقوة عليها. لملمت جينا شتات نفسها وردت ببرود: «اعذرني هاري، لكنني لا أذكر أنك ناقشت حياتك الخاصة أيضاً... ولا أي جزء منها. بينما أنت تعرف بخصوص عائلتي، أصدقائي..».

- ليس جميعهم، كما يتضح لي.

تجاهلت جينا ذلك وتابعت قائلة: «... طفولتي، فترة شبابي، الوقت الذي أمضيته في الجامعة. لقد أخبرتك ذلك كله بينما أنت كنت... حذراً محترساً».

ساد بينهما صمت غريب. حدّق هاري بجينا وقد تبخر الاستمتاع من صوته فقال بصوت بدا غريباً: «نعم. أنت على حق. لكن، إذا كان للأمر

أي قيمة، فاعلمي أنني لم أخبر أحداً من قبل قصتي مع آنا باستثناء والديّ اللذين أخبرتهما وقت رحيلي من البلد. هل يؤخذ ذلك بالحسبان؟».

أحست أن قلبها أصبح قطعة من القطن المضغوط يسد حلقها ويخنقها. فقالت: «أنا لم أقصد أنني توقعت منك أن تطلعني على شؤونك الخاصة. كل ما في الأمر هو أنك بالكاد يمكنك أن تتوقع مني ذلك أيضاً».

امتدت فترة الصمت لوقت أطول هذه المرة. أخيراً قال هاري: «أنا أقدر ذلك».

كان الظلام في الخارج ما يزال دامساً جداً، فيما لا يزال بقية الناس مستغرقين في النوم. زاد ذلك في إحساس جينا بعدم الواقعية المثيرة للفضول.

- إذاً، ألا يمكن إقناعك بعدم الرحيل؟

قال ذلك بصوت أبح، فرفعت جينا رأسها ورأت وجهه الجذاب مظلماً. قالت بوهن: «بالطبع لا. تم ترتيب كل شيء. يجدر بي أن أغادر شقتي صباح يوم السبت، ولن يبقى لدي مكان أقيم فيه».

- يمكنك أن تستخدمي الغرفة الإضافية المتوفرة لدي إلى أن تجدي شيئاً آخر.

رأت جينا في عينيه شيئاً ما جعلها تشعر فجأة بالدوار وبالضعف الغدّار، فقالت بألم: «الذي عمل في لندن وشقة. لا يمكنني أن أخذل أولئك الذين وعدتهم بالذهاب. على أي حال، إن السبب الذي دفعني إلى الرحيل في بادئ الأمر لم يتغير».

بل تغير... فهذا الاهتمام المفاجئ من قبل هاري يعني علاقة غرامية عابرة فقط، بكل بساطة ووضوح. لكن الأمر ليس بمثل هذه البساطة بالنسبة إليها.

فجأة قال هاري: «لم أكن نائماً حين سمعتك تنزلين إلى الطابق السفلي».

أحست جينا بالجفاف في حلقها. أخذت رشفة من الشاي قبل أن تقول: «ظننت أنني... أيقظتك».

إنها تراوغ وهي تعلم ذلك. يبدو أن هاري يعلم ذلك أيضاً، إذ قال: «ألا ترغبين بمعرفة السبب؟».

لم تقوَ جينا على الرد، فمضت لحظة قبل أن يقول لها بنعومة: «السبب هو تفكيري بأنك على بعد بضعة أبواب فقط».

- أنا آسفة.

قول تافه لا معنى له، لكنه أفضل ما أمكنها أن تقوله.

- أنا معجب بك جينا.

لم تقوَ جينا على التكلم، أما الحركة الوحيدة التي قامت بها فهي متابعة تمسيد زغب الجرو الحريري وقد ثبتت نظرات عينيها على جسده الصغير.

- أدركت الليلة أنني لا أريدك أن تغادري يوركشاير.

استجمعت جينا كامل شجاعتها فرفعت وجهها ونظرت إلى عيني هاري مباشرة. يجدر بها أن تقتل هذا الشعور الآن بالذات. كلما أسرعت بالرحيل كلما كان ذلك أفضل، فهكذا تحافظ على احترامها لذاتها. قالت له بنبرة صوت متوازنة: «أنا لا أقبل بعلاقات غرامية لليلة واحدة فقط، هاري».

- أنا لم أتحدث عن علاقة غرامية لليلة واحدة.

رطبت شفتيها وقالت: «نعم، لكن هذا ما تعنيه. ربما عدة ليال، لكن... ذلك كل ما تمثله العلاقة الغرامية بالنسبة إليك. أخبرتني ذلك بنفسك. ذلك هو جل ما تستطيع أن تقدمه لأي امرأة».

رأت جينا الغضب يتوهج في عيني هاري الرماديتين الجميلتين، فقال: «أقر أنني لا أريد كامل المشهد العائلي، لكن ذلك لا يعني تماماً أنني ذاك الرجل الحقير العديم القلب الذي ترسمينه. أود أن أبرهن لك أنك قادرة على إيجاد المتعة والسرور بعد ذاك الرجل، إن لم يكن أي شيء آخر».

فجأة، صارت جينا بدورها حانقة، فقالت: «يا له من تصرف نبيل! شكراً. لكن لا، شكراً».

- أنت لست تصغين إلي.

- آه! بل أنا أصغي.

لو لم يكن الجرو في حضنها لودّت أن تفرغ كوب الشاي مباشرة على رأس هاري الخالي من الأحاسيس. قالت: «صدقني، أنا أصغي. لأنك رجل طيب سوف تشفق علي بما فيه الكفاية لتبقي على العلاقة لفترة أطول من المعتاد. هل أنا قريبة من الحقيقة؟».

تكلم هاري وقد تجمد وجهه كالصورة، فقال: «لست أدري ما الذي حل بك».

– حل بي... أنا؟ هاري! لو كانت العلاقات العابرة هي ما أبحث عنه لحصلت عليها من أي مكان. أنا لست يائسة إلى هذا الحد. العلاقة بالنسبة لي تعني عقلي وقلبي معاً.

حملق هاري بها قائلاً: «أعلم ذلك. أعرف ذلك عنك. نحن نتفق... نتفق جيداً، ولا أظنك ستجدينني كريهاً بغيضاً بالكامل، أم بلى؟».

أضاف السؤال الأخير وهو غير واثق بعض الشيء. أصبحت جينا تشعر بالوهن من هذا الحديث، إلا أنها تكلمت بحزم فيما أمسكت أناملها بالجرو بما يكفي من القوة، ما دفعه إلى أن يرفع رأسه وينبح معترضاً، إذ قالت: «هاري! أنا واثقة أن تسعة وتسعين بالمئة من النساء سوف يعجبهن عرضك، لكنني الواحد بالمئة الباقية. هل يمكننا أن ندع الأمر على حاله؟».

– أنت عازمة على السماح لهذا الرجل بأن يفسد حياتك وأن يبعدك بالقوة عن ديارك وعن أصدقائك وكل شيء اعتدت عليه. لا تقولي لي إنك تريدين الرحيل، لأننا كلينا نعلم أن ذلك غير صحيح. أنت تهربين، تتبعين أسلوب الجبناء بالفرار.

طالبته جينا فيما أومضت عيناها الزرقاوان: «ماذا عنك أنت؟ أليس ما تقوله غريباً؟ أنت سمحت لآنا بأن تحولك إلى شخص مختلف. آه! بإمكانك أنت أن تثرثر بقدر ما شئت عن الحياة التي تغيرنا وتقولبنا وكل ذاك الهراء عندما يتعلق الأمر بك أما في ما يتعلق بي أنا فإنه يهدم حياتي. حسناً! دعني أقول لك هاري، أنا لا أنوي أن أسمح لحياتي بأن تدمر، لكنني أعتقد أن حياتك أنت قد دُمرت. أنت أصبحت أنانياً وسطحياً ولا تمتلك أي شيء ذا

قيمة حتى تقدمه لأي امرأة يتخطى متعة مشاركتك لسريرك. وذلك لن يكون كافياً بالنسبة إلي أبداً».

توقفت جينا وقد أدركت أنها قالت أكثر مما تنوي التفوه به. بدا لها كأنما الصمت امتد إلى ما لا نهاية بينهما حتى تكلم هاري أخيراً، فقال بنبرة صوت حادة: «أستنتج أن ذلك يعني الرفض إذاً».

تلاقت نظرات عينيها مع عينيه، لكنها لم تستطع قراءة أي شيء في نظرته الخالية من التعابير. في تلك اللحظة تحول وجهه إلى ذلك القناع اللطيف الناعم الذي اعتاد أن يعتمده، وهو قناع لا تطيقه.

– أنا آسفة. ما كان يجدر بي أن أعبر عن نفسي بهذا الشكل تحديداً، لكن ما كان يجدر بك أن تدفعني إلى ذلك.

أصبح صوت جينا هادئاً الآن، لكنها أحست كما لو أن جزءاً منها يموت في داخلها. ما من شيء أسوأ من أن ينتهي الأمر على هذا النحو.

أومأ هاري قائلاً: «فهمت! الذنب ذنبي. لم تكن لدي أدنى فكرة أن رأيك بي منخفض جداً».

راقبته جينا وهو يمد يده ويتناول قطعة أخرى من التوست، كأنما الحديث الذي دار بينهما لا يهمه ولو بمقدار ذرة واحدة. ارتشفت ببطء رشفة من الشاي فإذا هو بارد. إنه بارد كقلب هاري تماماً. ردّت قائلة: «إنه رأي كونته بناء على الصورة التي قدمتها أنت عن نفسك».

بدا هاري كما لو أنه يفكر بما قالته للحظة، بينما احتجبت ملامحه في الظل عندما استند إلى الوراء في كرسيه. شعرت جينا بالسرور لأن بمقدورها أن تحني رأسها فتدع شعرها يسقط على وجهها كستارة، فيما ركزت اهتمامها على الجرو الرابض في حضنها.

مر بعض الوقت فيما ظل هاري صامتاً، فتنهدت جينا في داخلها من دون صوت مسموع. لقد أهانت هاري وأغضبته ولم تعد قادرة على تحمل هذا الصمت المدوي الذي يصمُّ الآذان للحظة أخرى. فتحت فمها لتتكلم لكنه سبقها قائلاً بغطرسة: «الصورة هذه ليست بأكملها عني أنا».

هي تعلم ذلك. فالرجل الذي تحبه هو شخصية معقدة جداً. إنه غامض وبارد، مضحك ودافئ. إنه رجل يمكنه ترويع أحد أخصامه عبر الهاتف باستخدامه بضع كلمات واضحة محددة. مع ذلك فهو يتوقف لإنقاذ أربعة كائنات صغيرة حية من اللحم والدم تخلّى عنها أصحابها...

عضّت جينا على شفتها وحاولت السيطرة على الدموع التي أخذت تهدد بالانهمار من عينيها، ثم قالت: «نعم. لا أظنها صورة عنك. لكن عليك أن تفهم ما أعانيه. في ما يخص أمور الحب والعلاقات الغرامية والارتباط... سمّها ما شئت، نحن على بعد أميال عن بعضنا. أنا... لا أود هدر المزيد من الوقت على العلاقات الميؤوس منها».

هذه هي الحقيقة على الأقل. تابعت كلامها: «أنا... أنا أرغب باستعادة قلبي مجدداً، وأنا لست من ذاك الصنف من النساء القادرات على الارتباط بعلاقة من دون مشاعر. إنه... حسناً! لن يكون أمراً ممتعاً بالنسبة إلي. على الأقل... لن يكون الأمر كافياً من دون وجود الحب أيضاً».

رأته جينا يومئ برأسه، ثم يقول بنعومة إلى درجة أنها بالكاد استطاعت أن تسمعه: «أود معرفة اسمه، فقط حتى أقول له كم هو غبي لعين».

بلعت جينا ريقها وقالت: «أنا غبية أيضاً. علمت منذ البداية ما أورط به نفسي لكنني لم أقوَ على التوقف. لا أظنني قد أفعل أبداً. لذا أنا بحاجة إلى الرحيل من هنا».

- أنت تحبينه حباً جماً.

جاء كلامه تصريحاً وليس سؤالاً، لكن جينا أجابت في جميع الأحوال قائلة: «نعم. أنا أحبه».

- لا تجري الحياة أحياناً كما خططنا لها. أليس كذلك؟

كانت حياتها جيدة إلى أن وصل هو. فقالت جينا: «سوف أعيد الجرو إلى مكانه».

نهضت وهي تدرك أن هاري يتبعها وهي تدخل إلى غرفة الغسيل.

ظهرت خارج النافذة أولى مشحات الفجر الزهرية اللون التي بدأت تتسلل نحو السماء الفحمية اللون. ها هو نهار ربيعي جميل آخر على وشك أن يبدأ. بعد أن وضعت جينا الجرو مع بقية الجراء النائمة، غادرت الغرفة ومشت عبر المطبخ حيث كان هاري بانتظارها. قال لها مبتسماً جزئياً: «لعل باستطاعتنا أن نستريح حوالى الساعة قبل أن يرن المنبّه أو قبل أن تستيقظ الجراء».

حاولت جينا مجاراة طبعه السلس فقالت: «ليس لدي منبه».

- سوف أقرع الباب لأوقظك. لا تقلقي.

عندما وصلا إلى شرفة الدرج تمهل هاري خارج غرفة نومها. بدا صوته ناعماً وهو يقول: «لم أرغب بإيذائك، جينا».

- ماذا؟

لدقيقة شنيعة اعتقدت أنه عرف الحقيقة.

- لأنني وضعت الملح على جرحك بخصوص هذا الرجل.

شعرت جينا أن أطرافها تتحول إلى هلام، فتدبرت أن تقول: «لم تفعل ذلك».

كانت قد استندت إلى الباب عندما تحدث هاري في البداية، إذ أحست أنها بحاجة إلى دعم الحائط. أما هو فرفع إحدى ذراعيه فوق رأسها وبسط أنامله بالقرب من شعرها. استجمعت جينا قدراتها المنطقية من مكان عميق، فغمغمت قائلة: «المغادرة هو تصرف يهدف إلى الحفاظ على النفس والبقاء، هاري».

أومأ هاري قائلاً: «بدأت أفهم ذلك. إذا شعرت أنك بحاجة إلى صديق، في أي وقت، في أي مكان، اتصلي بي. اتفقنا؟ سوف أكون حاضراً لأجلك».

شعرت جينا بغصة في حلقها وأصبحت على وشك الانفجار بالبكاء، فلم تجرؤ على التكلم. عوضاً عن ذلك انحنت إلى الأمام، فوقفت على رؤوس أصابع قدميها وعانقته عناقاً سريعاً. سمعته وهو يستنشق الهواء

بسرعة، لكنه بقي جامداً تماماً وهي تنزلق من تحت ذراعه ثم تفتح باب غرفة نومها. حين أغلقت الباب سمحت لأنفاسها بالخروج فيما راح قلبها ينبض بقوة.

وقفت جامدة داخل الغرفة وأرهفت السمع لتلتقط أي صوت صادر من جهة الدرج إلا أن الجو بدا هادئاً تماماً. بعد بضع دقائق مشت باتجاه سريرها فيما انهمرت الدموع على وجهها، أما ذهنها فغدا شديد الارهاق حتى إنه لا يقدر على بذل المجهود للتفكير بسبب منطقي لبكائها.

سحبت جينا اللحاف فوقها وهي ما تزال ترتدي المئزر المربوط بإحكام، فأغمضت عينيها فيما استمرت الدموع بالانهمار من تحت أهدابها.

غفت خلال دقائق ووجهها رطب مالح، في حين أن جسدها وذهنها كانا مرهقين تماماً.

* * *

وقف هاري لبعض الوقت على شرفة الدرج وقد أصابه التأثر حتى لبه. قال لنفسه بعنف إن هذا جنون حالما بدأ قلبه يتخبط في صدره. بحق السماء! ذلك بالكاد يعتبر عناقاً. كما أن جينا لم تتأثر كثيراً، فقد دخلت إلى غرفتها وأغلقت الباب كما لو أنها لم تقلب للتو عالمه رأساً على عقب. أنّ هاري بنعومة ومرر يداً مرتجفة في شعره، ثم مشى نحو غرفته التي تقع في آخر شرفة الدرج المظلم. حالما وصل إلى غرفته بدأ يخطو جيئة وذهاباً فيما انعقد حاجباه سوياً في تجهم ضار. ما الذي حصل للتو بحق الجحيم في الطابق السفلي وأمام غرفة جينا؟ لماذا أظهر لها رغبته في التقرب منها في حين أنه وعد نفسه بأن ذلك آخر شيء قد يفعله؟ ما الذي كان ليفعله لو أن جينا وافقت على عرضه السخيف؟ إنها واقعة في غرام رجل مخبول قام بالتلاعب بها لأشهر إن لم يكن لسنين، وهي ستتركه لأنه لا يرغب بعلاقة تتضمن الارتباط. وما الذي فعله هو؟ سأل هاري نفسه بعبوس. قدم لجينا العرض نفسه. لا عجب أنها نظرت إليه كما لو أنه مجنون.

سار نحو النافذة، فنظر نزولاً نحو الحديقة النائمة حيث رأى عصفوراً

أسود اللون يغني بطلاقة. رفع عينيه نحو السماء الموشحة باللون الزهري. إنه فجر يوم جديد. إن الماضي بكل أخطائه وندمه مضى ولن يتغير، فكر هاري أنه ظل مغموراً بالحنق والغضب والمرارة لفترة طويلة. لكم كان رجلاً مغروراً، وعلى الأرجح أنه ما يزال كذلك.

ابتسم هاري بسوداوية واستدار من ناحية النافذة نحو الغرفة. مرر يده فوق وجهه... ما هذه المشاعر التي يحس بها تجاه جينا؟ أهي جديدة أم تراها كانت موجودة منذ اثني عشر شهراً حين دخل إلى مكتب والده فوجهت له امرأة ذات عينين زرقاوين وشعر أحمر ألطف ابتسامة رآها يوماً؟ اثني عشر شهراً... اثني عشر شهراً من الأفكار والأحلام المزعجة، ومن مواعدة نساء لا يرغب بمواعدتهنّ، لكنهنّ وفرن له اللهو ومنحن جسده بعض الارتياح. هزّ هاري رأسه وراح يتجول في أرجاء الغرفة مجدداً. التفكير بهذه الطريقة جعل الأمر يبدو مبتذلاً. لكنهنّ كنّ سعيدات بما فيه الكفاية بالشروط التي وضعها.

لكن مع جينا لا يمكنه أن يضع أي شروط. حبس أنفاسه، ثم توقف مكانه. عرف منذ البداية أنها امرأة صالحة للزواج إلى أن يفرقهما الموت، أما ما يجده أمراً مستصعباً جداً فهو أن تتسلل خارجة من حياته. إنه غروره من جديد... لابد أنه اعتبرها في متناول يده. ما كان يفترض به أن يفعل! لم يأخذ بعين الاعتبار حتى أن جينا متورطة عاطفياً مع شخص آخر غيره. لطالما تبادلت معه الحديث بانفتاح تام جعله يشعر أنه يعرف كل شيء عنها منذ ولادتها حتى يومها الحاضر. لكن تبين له أن هنالك رجلاً آخر في الخلفية طيلة الوقت... تضحك معه وتتحدث إليه وتنام على ذراعه. أحس هاري أن عضلات معدته تنقبض. أتراه يشعر بالغيرة؟

بغض النظر عن محاولته إنكار غضبه، هو يراهن بحياته أنه يشعر بالغيرة من ذلك الرجل الذي سرق قلب جينا ثم فطره بلا مبالاة. لم يحتمل فكرة وجود جينا في السرير مع ذلك الرجل.

لنفترض أن جينا سمحت له أن يوفر لها كتف الصديق حتى تبكي عليه،

ما الذي يعنيه ذلك؟ لنفترض أن ذلك أدّى بهما إلى تمتين علاقتهما . . . لا! هو يعلم جيداً أن الأمر لن يؤدي إلى قيام علاقة غرامية بينهما . أحس هاري بعضلات معدته ترتخي ، لكنها عادت وتقلصت مسببة له الغثيان .

كان يافعاً مثالياً عندما تورط في علاقته الغرامية مع آنا . ذاك كان عذره الوحيد لهذه الفوضى الضخمة التي دبت في حياته . لم يلزمه سوى أن يغمض عينيه فيتذكر قلة الحيلة والأسر اللذين شعر بهما حينها ، والهلع واليأس الشديدين اللذين غمرا كيانه . لكن جينا ليست آنا . فخلال الاثني عشر شهراً التي عرفها فيها بدت لطيفة ومرحة ، جدية وشديدة العزم ، صادقة وصريحة . لكنها ليست امرأة متلاعبة على الإطلاق . أما كلمة «الفظاظة» فليست موجودة في معجمها . إنها أيضاً جذابة بقدر ما هي لطيفة لكنها لا تعلم ذلك .

خبط هاري قبضته على كفّ يده الأخرى بقوة . يجدر به أن يفهم مشاعره ، فالحيرة والارتباك ليسا خياراً بالنسبة إليه هنا . لعل ذلك هو الجواب . إن المشاعر التي تنتابه أخذت تحوله إلى شخص لا يعرفه . إذاً فالشيء الواضح العملي الذي يجدر به أن يفعله هو أن يسمح لجينا بالرحيل ، بعدئذ يمكنه أن يتابع حياته . لطالما نجحت هذه الطريقة مع النساء الأخريات . أحس بشيء يتلوى في أعماقه ، فردّ على ذاك الشعور بزمجرة انزعاج من أعماق حلقه . كفى! إنه بحاجة إلى استنشاق بعض الهواء النقي حتى يصفّي ذهنه ويتغلّب المنطق العقلاني على كل ما عداه ، فاعتماد المنطق لم يخيب أمله مطلقاً في ما مضى . سوف يتمكن من التفكير بهدوء في الخارج حيث لا يشتت تفكيره أي شيء .

استنشق هاري نفساً عميقاً وحاول الاسترخاء وهو ينظر إلى ساعة يده . مازالت أمامه بضع ساعات قبل أن يوقظ جينا لينطلقا خارجين . لابد له أن ينظم أفكاره ويعود إلى مساره الصحيح خلال هذا الوقت .

ارتدى بعض الملابس من دون أن يزعج نفسه بالاستحمام ثم غادر الغرفة بسرعة وشق طريقه إلى الطابق السفلي وهو يدوس الأرض بصمت

بقدميه . تمهل حالما وصل إلى الحديقة . إن نيته الأصلية كانت أن يذهب ليتمشى لكن الجلوس هنا سوف يفي بالغرض أيضاً . استنشق الهواء الحاد المعطر فيما مشى نحو مقعد خشبي موضوع بقرب السور الحجري الذي يحيط بالملكية . من هذا المكان يمكنه أن يرى المنزل بوضوح تام ، وهو ما يزال نائماً تحت ضوء النهار المبكر . سمع في مكان قريب هديل طائر حمام ، أما الحفيف الخفيف الذي تناهى إلى سمعه من قاعدة السور ، فأطلعه على وجود فأر الحصاد الصغير الذي كان قد لاحظه عدة مرات وهو يركض صعوداً ونزولاً في أرجاء المكان . لا شك أن هنالك عشرة آلاف عش في أعماق شقوق السور ، حيث ولدت أجيال وأجيال من تلك الكائنات الصغيرة الجميلة الساحرة .

أدرك هاري فجأة أن هذا المكان بأسره - المنزل ، الحديقة ، والريف المحيط به - يتحدث عن الاستمرارية . أتراها إحدى الأسباب التي جذبته إلى هذه الملكية حين رآها لأول مرة؟ لم تعجبه هذه الفكرة فهي لا تتلاءم مع نظرته إلى نفسه . إنها فكرة مزعجة كأي شيء آخر جرى خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة . تدريجياً بدأت أفكاره الهائمة تتباطأ وسيطر عليه هدوء المكان المحيط به . أضيئت السماء أكثر فأكثر ، فبدأت عصافير الحديقة بمهمة اصطياد قوتها .

كان الجو بارداً إلى درجة استطاع معها أن يرى أنفاسه وهي تخرج على شكل غمامة بيضاء عندما ينفثها . لكنه مع ذلك بقي جالساً يراقب تفتح براعم الصباح ، وقد أصبح ذهنه صافياً بشكل لم يحظَ به منذ فترة طويلة جداً . إنه يحب جينا! لقد أحبها لشهور لكنه كان عنيداً جداً إلى درجة لم تسمح له بأن يقر لنفسه بذلك ، فهذا آخر شيء يريده أو يحتاجه في حياته . أما الآن فهو الخاسر بالطبع . حتى لو أعلن عن حبه لجينا سوف تقول له برفق ولطف إنها مغرمة بشخص سواه . ذلك هو أسلوب جينا . إنها قمة السخرية!

لم ينهض هاري من مكانه إلا بعد ساعة من الوقت . مشى إلى داخل المنزل بخطوات متزنة .

٦ - امرأة مميزة

استيقظت جينا وكانت شمس الصباح قد أشرقت تماماً. تمددت وهي تفتح عينيها المثقلتين ثم أدركت ما الذي أيقظها فيما سمعت نقرة أخرى على باب غرفة نومها، إنه نداء هاري لها ليوقظها.

ردت جينا بصوت بدا ممتزجاً بآثار النعاس: «لا بأس... لقد استيقظت».

شهقت متفاجئة عندما فتح هاري باب الغرفة فمشى إلى الداخل حاملاً بين يديه صينية. بدا غير مدرك لما فعلته جينا إذ جرّت اللحاف بتسرع إلى الأعلى حتى ذقنها، قال هاري مبتسماً: «لم أعرف إن كنت تحبين القهوة أم الشاي لذا أحضرت كلا النوعين».

تكلمت جينا بصوت عالي النبرة أكثر من المعتاد فقالت: «لا يهم، شكراً لك. لكن ما كان يجدر بك أن تزعج نفسك».

- لا إزعاج على الإطلاق.

وضع هاري الصينية على المنضدة الصغيرة المجاورة للسرير ثم نظر إلى جينا ليراها بوضوح. بدا ضخماً جداً في هذه الغرفة، أما جاذبيته الصرفة فشتتت انتباه جينا للحظة عن إدراكها أنه لا يرتدي بذلته الرسمية العادية مع ربطة العنق. عندما استعادت أنفاسها سألته بحذر: «هل سنأخذ الجراء إلى المأوى ثم نعود إلى هنا؟».

فقد لاحظت إنه يرتدي سروال الجينز الأسود مع قميص زرقاء غير رسمية. لم يرد هاري على سؤالها مباشرة بل أظهر لها ابتسامة حولت عينيه الرماديتين إلى لون دخاني دافئ ليقول بعدئذ: «اشربي... القهوة أم الشاي

ثم انزلي إلى الطابق السفلي عندما تصبحين جاهزة. لا داعي للعجلة».

حدقت جينا به. شيء ما بدا مختلفاً. أهي ثيابه غير الرسمية فقط؟ أزاحت شعرها بعيداً عن عينيها بإحدى يديها فيما ظلت يدها الأخرى ممسكة باللحاف إلى صدرها كما لو أن حياتها تعتمد عليه، قالت: «كم الساعة الآن؟».

نظر هاري إلى ساعة يده الذهبية، ثم قال بهدوء: «الحادية عشرة».

جاهدت جينا لتجلس مستقيمة في السرير، ثم قالت: «الحادية عشرة؟! مستحيل! ماذا عن العمل؟».

- أنت لا تعملين على الأقل حتى يوم الاثنين.

- أقصدك أنت.

- قررت أن أتغيب عن العمل اليوم.

ردت جينا مدهوشة: «أنت لم تفوت العمل أبداً طيلة الفترة التي عرفتك فيها».

- ربما حان الوقت لأفعل.

- ماذا عن والدك؟ وسوزان؟ إنها ما زالت تتأقلم و...

قال هاري بهدوء: «سوف تكون على ما يرام. إنها من ذلك الصنف من النساء».

حسناً! ذلك صحيح على الأقل. حدقت جينا بهاري وهي غير قادرة على أن تستوعب أن نصف النهار مضى للتو. بدت عيناه غامقتين وهما تراقبانها أما فمه الأنيق فالتوى بابتسامة ساخرة أطلعتها على أن اندهاشها واضح جلي على وجهها. أملت جينا ألّا تكون نوبة البكاء التي غرقت فيها في الليلة السابقة قد رسمت حوافاً زهرية اللون حول عينيها. استجمعت دهاءها فابتلعت ريقها بصعوبة وقالت: «هل الجراء على ما يرام؟ أنت لم تأخذها إلى المأوى بعد. أليس كذلك؟».

قال هاري مهدئاً: «الجراء بخير. أخرجتها إلى مرجة العشب الأخضر لمدة نصف ساعة قبل قليل. لم يكن الأمر سهلاً».

تمنت جينا لو أنها لم تكن تحبه إلى هذه الدرجة. سيطرت على صوتها ببعض الصعوبة، ثم أجبرت نفسها على الابتسام قائلة: «كان يجدر بك أن توقظني في وقت مبكر حتى أساعدك».

- كنت بحاجة إلى النوم.

ما الذي يعنيه بذلك؟ أيعني أن الانتفاخ الظاهر تحت عينيها كبير جداً، أم أنه بكل بساطة يتصرف بلباقة معها؟ ربما من الأفضل ألا تعلم. تساءلت كم من الوقت تراه سيقف مكانه وهو يراقبها. قالت: «هل اتصلت هاتفياً بمأوى الكلاب؟».

ردّ هاري بهدوء: «كلا».

انتظرته حتى يتوسع بشرحه لكنه لم يفعل، فبدأت تشعر بعدم الارتياح. لا بأس بالنسبة إليه أن يقف حيث هو فيما يرتدي ملابسه كاملة وقد استحم وحلق ذقنه، أظهرت قميص هاري المفتوحة عند العنق شعيرات صدره السوداء، أما سروال الجينز فبدا مناسباً جداً لرشاقة جسمه التي تشكل جزءاً هاماً من جاذبيته. أحست جينا بالجفاف في فمها وبتسارع في دقات قلبها، فقررت أن تواجه مخاوفها حيث قالت بشجاعة: «سوف أراك في الطابق السفلي بعد قليل. اتفقنا؟».

- الأزرق البنفسجي.

- عفواً؟

قال هاري بنعومة شديدة: «لون عينيك يشبه البنفسج البري الذي ينمو بالقرب من السور الحجري في حديقتي. إنها أزهار صغيرة جميلة. صغيرة لكنها مميزة وهي أفضل من النوعية المستنبتة».

الضيق المفاجئ بصدر جينا جعل صوتها يبدو أبح بعض الشيء وهي تقول: «آه! شكراً لك».

- يسرني ذلك.

لم يبدُ هاري في عجلة من أمره ليذهب. فقالت له جينا: «سوف أنزل بعد قليل، ويمكننا أن نأخذ الكلاب مباشرة إذا رغبت. أعلم أن لديك ما تفعله

خلال النهار وأنا بحاجة للعودة إلى منزلي حتى أرتب بقية أغراضي».

الآن لا بد له أن يفهم التلميح. وجه هاري نظرة مطولة إلى جينا وقال: «سوف أطهو بعض اللحم المقدد مع البطاطا المشوية للغداء، أو ربما يجدر بي أن أقول الفطور المتأخر».

صوته المؤنب عبّر عن خيبة أمله لعدم امتنان جينا.

- أحقاً؟

بدا هاري متفاجئاً باندهاش جينا، فقال: «بالطبع. هل ظننت أنني سأعيدك إلى منزلك من دون أن أطعمك؟».

جعلها كلامه تبدو كأنها كلبة ضالة وصلت إلى عتبة داره. ها إن أربعة منها تشغل غرفة الغسيل الخاصة به. تكلمت جينا بحذر متسائلة متى تراه أصبح سريع التأثر إلى هذا الحد: «أنا فقط... ظننتك تريد التخلص من مهمة الاعتناء بالكلاب بأسرع وقت ممكن».

قال لها: «آه! فهمت. أنت إذاً لست على عجلة من أمرك للعودة إلى منزلك؟».

قالت جينا بنبرة صوت لاذعة: «نظراً إلى أنها الحادية عشرة صباحاً، حتى لو كنت على عجلة من أمري، يبدو أنني فشلت في ذلك بشكل مريع. ألا توافقني الرأي؟».

ابتسم هاري وهو يقول: «آمل أنك لم تكوني بانتظار شخص ما ليمر عليك في الصباح الباكر؟».

فكرت جينا بجانيس التي تسكن في الطابق السفلي. حتى هذه اللحظة كانت قد نسيت أنها وعدت جانيس أن تعد لها الفطور قبل ذهابها إلى دوام عملها في المستشفى المحلي حيث تعمل كممرضة.

إنها تستحق صفعة... بل صفعة مزدوجة فهي تكره أن تخذل الناس. لكن المشكلة هي أنها حين تكون برفقة هاري تتلاشى بقية العالم في الخلفية. إنها تشعر بإحساس شنيع الآن. قالت: «في الواقع كنت أنتظر أحدهم. لكن يمكنني تصحيح ذلك في وقت لاحق».

رفع هاري أحد حاجبيه الكثيفين السوداوين قائلاً: «أنا آسف».

لكنه لم يبدُ آسفاً على الإطلاق. في الواقع بدا هاري لسبب ما منطفئاً إذا ما أخذنا النظرة البادية على وجهه بالحسبان. قالت جينا: «لا يهم».

فقط اذهب... اذهب! لكن هاري لم يذهب. كوّر فمه وبدت نظرته قاسية حين قال: «لا يجدر بك أبداً أن تسمحي لأحدهم أن يدوس عليك».

هل فاتها شيء ما هنا؟ قالت له: «أنا آسفة، هاري. لكنني لا أفهم قصدك».

- إنه هو. هذا الرجل هو من كان سيمرُّ بك. أليس كذلك؟ اللعنة! ألا يمكنك أن تريه على حقيقته جينا؟ إنه يعرف حقيقة شعورك حياله ويعرف لما أنت مغادرة، ومع ذلك فهو يمر بك لكي... ماذا؟ لماذا كان سيمرّ بك؟

حاولت جينا ألا تفتح فمها مدهوشة. لوهلة أخذ ذهنها يدور في دوامة، ثم أجبرت نفسها على زرع تعبير حانق على وجهها، وقالت بتعال: «صديقة لي تقيم في شقة بالطابق السفلي كانت ستأتي لتتناول الفطور لدي. حسناً! مهما كان ذاك الذي استنتجه ذهنك المبالغ في تفكيره فهو خطأ».

استغرق هاري ثانية أو اثنتين حتى يستبدل السخط والحنق بتعبير مرتبك أذاب قلب جينا، لكنها بالطبع لن تكشف له ذلك ولو أعطيت مال الدنيا. قال هاري: «آسف. حلّلت الأمر وفكرت..».

- نعم، ذلك واضح تماماً.

يجدر بها أن تشعر بالحنق والغضب بسبب افتراض هاري أنها تعطي صديقها الحميم المفترض مكاناً للإقامة وربما سريراً. لكن اهتمام هاري وقلقه أدفآ قلب جينا المتألم، مع أنها لم تعلل نفسها بأن قلقه هذا يتجاوز الاهتمام الودي الذي تحدث عنه قبل قليل. حظي هاري بالعديد من النساء في حياته وهو لم يحاول أن يدّعي عكس ذلك، لكنها تشك أن يبدي قلقاً أصيلاً تجاه أولئك اللواتي يستقبلهن في سريره، وحتماً لا يشير إليهن باعتبارهن صديقات. ألا يجدر بها أن تشعر بالامتنان على هذه النعم الصغيرة.

فكرت جينا أن هاري يبرع حقاً في تقديم الاعتذار اللبق فيما راقبت ابتسامة بطيئة تمتد على وجهه الوسيم.

- أنت لست من نوع النساء اللواتي يشككن بقرارهن بعد أن يتخذن قراراً بشأن أمر ما. أنت لا تقولين شيئاً وتعنين شيئاً آخر.

آه، يا إلهي! فقط لو أنه يعلم... قالت بحزم: «تماماً».

عاد يقول بنعومة حريرية: «سأدعك لترتدي ملابسك. الغداء سيكون حاضراً خلال عشرين دقيقة تقريباً».

عندما أغلق الباب خلفه بقيت جينا مستلقية للحظة أو اثنتين، ثم قذفت اللحاف إلى الوراء، وبسرعة أرجحت رجليها خارج السرير. لفت المئزر جيداً حول جسدها ومشت نحو الحمام. هنالك دققت النظر بصورة وجهها في المرآة وأنّت بنعومة. لقد ظهرت لطخات سوداء تحت عينيها ما يشكل دليلاً واضحاً على بكائها خلال الليلة السابقة. أما شعرها! لماذا يقرر شعرها دوماً أن يصبح أشعث منفوشاً أثناء الليل؟ خلال فترة وجودها في الجامعة تشاركت جينا الغرفة مع فتيات يذهبن إلى السرير ويستيقظن منه على الصورة نفسها.

غسلت شعرها ثم فركته بالمنشفة ليجف قدر الإمكان ثم جمعته في رزمة على شكل ذيل حصان ثبتتها في أعلى مؤخرة رأسها. الأغراض الأساسية الضرورية التي تأخذها دوماً معها إلى العمل كالمرطب والظلال الخاصة بالعينين وأحمر الشفاه اللماع أدت وظيفتها على أتم وجه. بعد خمس عشرة دقيقة علمت بفضل صورتها المنعكسة في المرآة أنها تحولت إلى شخص لا يثير الرعب في نفوس الأطفال الصغار.

بعد أن شعرت أنها أصبحت نظيفة ومنتعشة استنشقت نفساً عميقاً وفتحت باب غرفة النوم. من الرائع تناول الغداء مع هاري! فكرت بذلك بعبث من دون أن تشعر بالخجل مطلقاً.

حالما وصلت إلى الطابق السفلي، تمهلت قليلاً في الرواق. انعكست أشعة الشمس بشكل مائل عبر النافذة على ألواح الأرضية الخشبية القديمة،

فأحدثت في نفسها شعوراً باللازمان أسرها وسحرها. إن المنزل بأسره ساحر. يمكنها أن تتصوره خلال فصل الصيف، حين تكون الحديقة ملأى بالورود والياسمين، حيث يتسابق النحل ليمتص رحيق الأزهار. أما عند حلول الغسق البنفسجي فينتقل عبر الهواء الدافئ، وتتألق السماء المخملية السوداء بآلاف النجوم المتلألئة ويسيطر جو من الهدوء. وربما يجلس هاري على الشرفة خلال أمسيات كهذه وهو يحمل كوباً من العصير في يده فيما تجول عيناه فوق الظلال كثيبتين متفكرتين بمفردهما...

أحست جينا أن هذه الصورة تقتلع قلبها من مكانه، فهزّت رأسها لتبعدها عن ذهنها. على الأرجح أن الشقراء التي يواعدها في ذلك الحين ستكون جالسة معه أو بقدر ما تستطيع من القرب منه. فكرت بشكل لاذع ساخر، لا شك أن هاري سيتوقع حينها أحداث الليلة المقبلة مع فتاته الشقراء. ومن يقدر على لوم تلك المرأة؟

سمعت حركة خفيفة فأدارت رأسها لتجد هاري واقفاً في آخر الرواق وهو ينظر إليها. قال: «فكرت أن نأكل في غرفة الفطور، إنها أقل تكلفاً من غرفة الطعام، لكن الجلوس فيها مريح أكثر من الجلوس على الكراسي الخشبية حول منضدة الطعام في المطبخ».

أومأت جينا موافقة، وهي تسير نحوه قائلة: «هل يمكنني أن أساعدك بأي شيء؟».

تقع غرفة الفطور خارج المطبخ وهي صغيرة جداً لكنها ساحرة، في وسط الغرفة وضعت طاولة قديمة الطراز ذات عقد خشبية وكراسي ملائمة. قطعة الأثاث الوحيدة الأخرى الموجودة في الغرفة هي عبارة عن خزانة صغيرة لأطباق الطعام مماثلة للطاولة في قدم طرازها. وعلى النافذة الأبعد في الغرفة وُضِعَ إناء زُرِعت فيه نباتات المكحّلة الحدقية، التي ملأت الغرفة بعبيرها العطر.

بعد أن تفقدت جينا الجراء التي تغط في النوم، استقامت في وقفتها. وراقبته وهو يسكب لها كوباً من المياه، ثم كوباً آخر لنفسه. بعدئذ وضع

في صحنها قطعة من اللحم، وخدمت جينا نفسها بتناول البطاطا المشوية وبعض السلطة.

بدت غرفة الفطور حميمة جداً ذات جو لطيف. لاحظت جينا أنهما يجلسان على مقربة كبيرة من بعضهما، فهي استطاعت أن تلاحظ جرحاً صغيراً على فكه القاسي المربع الشكل. يبدو أنه سببه لنفسه أثناء الحلاقة. سجل جسدها ذلك بكل خلية من كيانها. سعلت لتتقي حلقها، ثم نظرت إلى طبقها وقالت: «هذا... هذا يبدو لطيفاً، هاري».

رد هاري برزانة: «على الرحب والسعة».

- هل... هل أعددت طبق اللحم بنفسك؟

بحق السماء! كفي عن التلعثم والفأفأة. ما خطبك يا فتاة؟ رغبت جينا لو تغمض عينيها فتبتلعها الأرض في مكانها.

أومأ هاري بتكاسل، ثم أخذ رشفة من كوبه قبل أن يقول: «أخبرتك أنني أحب الطهو. أخبرني بعض الأصدقاء أنهم لم يشعروا بالحياة حتى تذوقوا الحساء المميز الذي أعده».

نظرت جينا نحوه لترى إن كان يمازحها، لكن هاري بدا جدياً تماماً. صدقت جينا تعابير وجهه، فقالت له بتأنق: «ما هو ذلك الطبق؟».

- ألا تعرفين حقاً؟

ابتسم هاري مكشراً، فبدت عيناه دافئتين، أما فمه فالتوى بتلك الطريقة التي لطالما حولت أعماقها إلى هلام. إنها معتادة على ممازحة هاري وتبادل الغزل الخفيف معه. لكن الأمر برمته بدا مختلفاً وهي تجلس إلى طاولة الطعام الخاصة به في هذه الأجواء الحميمة الدافئة. قالت جينا بصوت منخفض: «لا!».

إلا أن نبرتها في الواقع تتناقض تماماً مع ذاك الجيش من الفراشات التي ترفرف داخل معدتها.

- حسناً! أنا أعد الطبق الخاص بي باستعمال اللحم المقدد المدخن والفلفل الأحمر ونبات الكرفس، لذا فمذاقه حلو وحامض في آن معاً.

تضعين الملفوف والبطاطا واللحم المقدد والطماطم والجزر والبصل وبضعة أشياء أخرى في مقلاة، ثم تغلينها على مهل لمدة أربعين دقيقة تقريباً. بعدئذٍ تضيفين سكر البنجر والسكر العادي والخل، ثم تغلينها على مهل لفترة أخرى. عندما تجهز تقدمينها مع الأعشاب الطازجة والكريما الحامضة.

ركّز هاري نظرات عينيه على فم جينا وهو يتكلم فأحست أن شيئاً ما في أعماقهما الرمادية لوّن وجنتيها.

- إنه طبق جيد تتناولينه خلال أمسيات الشتاء الباردة، وأنت ملتفة حول نفسك أمام نار موقد الحطب. يجدر بك أن تجربيه في وقت ما.

ابتلعت جينا ريقها وقالت: «لا أعتقد أن حياتي الجديدة في لندن ستتخللها الكثير من الأمسيات أمام نار الموقد».

- هذا مؤسف، فأنت تبدين لي فتاة مناسبة لتناول حساء الخضار أمام نار الموقد.

رفعت رأسها وهي تستنشق نفسها بحذر. قالت لنفسها تابعي معه اللعبة. ردت بخفة: «سوف أضطر بكل بساطة إلى الاكتفاء بالكافيار وبالنوادي المتألقة عوضاً عن ذلك».

راقبها هاري عبر الطاولة، لكن جينا لم تقدر على قراءة ما يدور خلف عينيه الرماديتين. أخيراً قال لها: «لا، لست أرى ذلك. آسف».

سألت جينا بانزعاج ساخر: «ألا تظن أنني سأحظى بطابور من الرجال الذين سيرغبون بدعوتي إلى تناول الكافيار واصطحابي إلى الأماكن المرموقة؟».

- أنا لم أقل ذلك.

فجأة تغيرت الأجواء وأصبحت مشدودة. لم يعد صوت هاري يحمل النبرة المغيظة الممازحة وكذلك عيناه اللتان ظهرت فيهما نية وعزم ليقول شيئاً ضرورياً ملحاً ما جعل جينا تجفل. انحنى إلى الأمام، فصار وجهه قريباً منها وعيناه لامعتين، ثم قال: «سوف تقابلين الرجال، جينا. أفترض أنك ستقابلين الكثير منهم، لكنني لا أعتقد أنهم سيكونون ما أنت بحاجة إليه».

لم تقوَ جينا على جرجرة عينيها بعيداً عنه، فتوقفت تلك اللحظة بينهما كأنها سؤال لم يلقَ رداً، لكنه سؤال لن تطرحه هي أبداً. قالت لنفسها بهلع إن ذاك السؤال قد يفتح موضوعاً لن تتمكن من تحمله أبداً. كل ما هنالك أن هاري يتصرف على طبيعته. إنها هنا وهي متوفرة له، وهو على الأرجح يود أن يجرب تغييراً عن حميته المعتادة من النساء الشقراوات النحيلات الباردات.

قال لها ذلك الصوت الصغير في رأسها أنها لو كانت مستعدة للاستسلام لعلاقة كهذه، فهي لن تشفى أبداً من جراحها.

أجبرت جينا نفسها على التحديق نزولاً بطبقها مجدداً، ثم رفعت شوكتها آملة ألا يلحظ هاري الارتجاج في صوتها وهي تقول له: «أفترض أنني بكل بساطة سوف أعيش كل يوم بيومه».

سادت فترة صمت بينهما، وبدا كأنما هاري يوازن كلماته التالية. انتظرت جينا فيما ادّعت أنها تتلذذ بطعامها. أخيراً قال هاري: «أمن ضمنها هذا النهار؟».

تنفست مرتين قبل أن ترفع عينيها بهدوء وهي مندهشة لأدائها الذي بدا بارداً في حين أن جحيماً يتأجج في أعماقها، ثم قالت: «ماذا تعني بذلك؟».

- أنا بحاجة إلى مساعدتك.

أومأت جينا قائلة: «أتعني كي تأخذ الجراء إلى المأوى؟ قلت لك مسبقاً إنني سوف أرافقك».

انطفأ الجحيم المستعر إذ غمره الواقع الصريح الواضح. هاري رجل ثري ذكي ورائع جداً، لكنه بالطبع غير مهتم بها.

- ليس تماماً.

توقف هاري مرة ثانية وجيزة وتابع: «قررت أن أحتفظ بها».

- ماذا؟

اعتقدت جينا فعلاً أنها أساءت فهمه. فلا يعقل أن يقول هاري ما ظنت أنه قاله.

- الجراء... سوف أحتفظ بها.

تناول قطعة كبيرة من اللحم وقد بدت عليه كل ملامح السرور والاستمتاع. فقال: «اتصلت بالسيدة روثمان هذا الصباح لأخبرها أنها ليست بحاجة إلى المجيء هذا اليوم لأنني سأكون موجوداً في المنزل، وسألتها إذا كانت مستعدة لتمديد أيام عملها من الإثنين حتى الجمعة من الساعة العاشرة حتى الساعة الرابعة حتى تعتني بالجراء خلال الفترة التي أتغيب فيها عن المنزل».

- وهل وافقت؟

- على شرط أن يُسمح لها بإحضار كلابها معها حين يكون زوجها غير قادر على البقاء في المنزل.

- لكن...!

- ماذا؟

حدقت جينا بهاري وهي مصدومة تماماً. هذا ليس هاري الذي تعرفه. قالت: «حسناً! أكره صياغة هذه العبارة، لكن الكلاب يأويها المرء لمدى الحياة وليس فقط خلال فترة عيد الميلاد. أنت تحدثت عن المزيد من الأسفار والانتقال إلى الخارج. لا يمكنك أن تحتفظ بها لفترة من الزمن ثم ترميها في مأوى ما بعد سنة أو اثنتين. ذلك لن يكون منصفاً. إنها أربعة جراء!».

ارتفع صوت جينا مع تطور حديثها، أما الآن فأصبحت مدركة لهاري وهو يستند إلى الوراء في كرسيه ويراقبها من فوق حافة كوبه. تشدق بنعومة: «أنت لا تقدرينني كثيراً. أليس كذلك».

فكرت جينا للمرة الثانية ذاك الصباح، فقط لو أنه يعلم حقيقة مشاعرها تجاهه!

- أنا لا أنوي أن أرميها خلال سنة أو اثنتين كما صورت المسألة. أنا قررت الاحتفاظ بها وذلك يعني لمدى الحياة.

أحست جينا كما لو أن الأرض انزاحت عن محورها، فحاولت مجدداً: «هاري! إن السفر أو الانتقال إلى بلد ليس سهلاً وأنت تجرجر أربعة كلاب

وراءك».

- أنا أعرف ذلك في الواقع.

تجاهلت جينا حدة صوته فقالت: «لا أظنك تعرف».

- قررت البقاء هنا، جينا.

طرفت جينا بعينيها قائلة: «ماذا؟».

الدهشة التي ظهرت على وجهها جعلت غضب هاري يتلاشى كالدخان. ابتسم قائلاً بصوت ملؤه الرضى الكامل: «أنت لا تعرفينني جيداً كما ظننت. أليس كذلك؟ تبديل الرأي ليس امتيازاً خاصاً بالنساء. فكرت أنني لن أتمكن من إيجاد منزل كهذا قبل فترة طويلة. هذا المنزل يلائمني تماماً، كما أن إنكلترا تناسبني».

- لكنك قلت...

قاطعها هاري برفق: «اعذريني. لكن ألستِ أنت من قال إن هذا المنزل أشبه بالقوقعة الجميلة؟».

تلاقت عيناها بعيني هاري. إنه أمر مؤسف! فكرت جينا بمزيج من الانزعاج والامتنان. الانزعاج لأن هاري يجد دوماً الجواب على كل شيء، والامتنان لأن كلماتها تسجلت لديه كما اتضح لها. قالت: «لم أكن أنصحك بأن تملأ المنزل بمجموعة من الكلاب».

أقر هاري قائلاً: «وأنا على الأرجح لم أكن لأفكر بالأمر بنفسي في تلك اللحظة بالتحديد، لكن القدر تدخل. أراضي الملكية واسعة الامتداد، ويقال إن الكلاب هي أفضل رادع للصوص، وأنا أفضل بقاء الجراء الأربعة سوياً بعد كل ما حدث. سوف أدفع للسيدة روثمان علاوة كريمة على راتبها مقابل العمل الإضافي الذي ستتطلبه الجراء إلى أن تصير مدرّبة».

هذا سخيف! قالت ببطء: «احتفظ بأحد الجراء أو ربما باثنين منها إذا كان لا بد من ذلك».

عضت جينا على شفتها فهي ما زالت غير قادرة على التصديق أنه سيجري تغييراً جذرياً في ما يتعلق بالمستقبل ومشاريع السفر.

- لِمَ لا؟

لا يمكنها أن تقول له بالتحديد إنها لم تصدقه حين قال إنه سوف يبقى.

قالت مراوغة: «إن كمية الفوضى والمشاكل ستكون أربعة أضعاف».

- كذلك كمية المرح والاستمتاع.

عبست جينا وقالت: «إن مقدار الشجار والنباح سوف يكون أربعة أضعاف».

- المحبة الموجهة إلي من الكلاب ستكون أربعة أضعاف أيضاً.

انتظرها هاري لتتابع وقد رفع أحد حاجبيه. أقرت جينا ذهنياً بالهزيمة. صحيح أن الكلاب سوف تحظى بحياة رائعة هنا بصحبة بعضها البعض بوجود الحديقة الشاسعة. إنها جنة الكلاب لكن...

- يجب ألا تترك الكلاب بمفردها طيلة النهار.

ردّ هاري بصبر مستفيض: «أظنني فسرت لك أنها لن تكون وحدها، وخلال عطلة نهاية الأسبوع أنا موجود في المنزل. ربما سأرتب الأمور أيضاً لكي أعمل من المنزل خلال بعض فترات الصباح. أما السيدة روثمان فسوف تكون موجودة أثناء فترة تغيبي عن المنزل».

بدا هاري مستمتعاً وتابع: «ظننتك ستهنئينني على تحملي لبعض المسؤولية بعد الكلمات الجارحة التي وجهتها لي بالأمس».

- لم أوجه لك كلمات جارحة.

- أحقاً؟ أكره أن أكون في موقع المهاجم إذا كنت فعلاً لم تقصدي أن تكون كلماتك جارحة.

ما كان يجدر بها أبداً أن توافق على تمضية الليل لديه! قالت جينا ذلك لنفسها ببؤس فيما أحست أن كل عصب في جسدها مشدود كأوتار البيانو بسبب قرب هاري منها. قالت بهدوء بعد مرور عدة ثوان: «هاري، عليك أن تفعل ما تحبه. هذا الأمر لا علاقة لي به أبداً».

رد هاري بنبرة صوت عادية: «كل ما في الأمر هو أن لدي موعداً مع الطبيب البيطري المحلي بعد ظهر اليوم. أريده أن يفحص الجراء وأن يبدأ

بإعطائها اللقاحات اللازمة. وأنا أود لو أنك تبقين معي لفترة كافية حتى تساعديني في إنجاز بعض الأمور. ربما يمكنك أن تساعديني في اختيار بعض الأسرّة وكمامات الرصاص والأطواق وذاك النوع من الأشياء. وبالطبع أنا بحاجة إلى شراء بعض الطعام وما شابه».

يفترض بها أن تمضي هذا اليوم في إفراغ آخر حاجياتها من الشقة لتصبح جاهزة من أجل التنظيف العمومي الربيعي قبل أن يستلمها المستأجرون الجدد يوم السبت. كانت قد رتبت أن تغادر عملها مساء يوم الأربعاء لكي تحظى بيومين كاملين تنظم فيهما جميع أمورها. والآن بعد أن تم اختصار وقتها بشكل كبير ها هو هاري يطلب منها المزيد من الوقت. هذا الأمر بأكمله غير منطقي البتة.

تكلم هاري بصوت هادئ وثابت: «تناولي طعامك. سوف أعيدك إلى المنزل بعد الغداء. ما كان يجدر بي أن أطلب مساعدتك».

لا! ما كان يجدر به ذلك. ولا يجدر بها أن تأخذ طلبه بعين الاعتبار ولو للحظة. ابتلعت جينا ريقها فيما تلعثم لسانها بكلماتها وهي تقول: «هل أنت واثق تماماً من رغبتك في الاحتفاظ بها؟ هل فكرت حقاً بالمسؤولية التي ستترتب عليك؟ ذلك يعني اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة سنة من الارتباط والالتزام وربما أكثر. هل بدلت رأيك حقاً، هاري؟ أنا... أنا بحاجة لأن أعرف».

مد هاري يده عبر الطاولة وتناول يد جينا كما لو أنه يمتلك الحق الكامل ليلمسها، فاضطرت إلى تذكير نفسها بأن هذا التصرف ليس سوى تعبيراً عن الصداقة التي يشعر بها تجاهها.

قال هاري بنعومة: «يمكنني أن أفهم شكوكك، لكنني أعني كل كلمة قلتها جينا. أعتقد أن جزءاً مني يتوق إلى حياة أكثر استقراراً منذ بعض الوقت... لست واثقاً. لكن حديثنا يوم أمس وإيجادنا للجراء..».

هز كتفيه وتابع يقول: «شيء ما تغير في الساعات الأخيرة. سوف تكون الجراء رفيقة جيدة لي».

تساءلت جينا كيف تراها تقدر على استعادة يدها من دون أن يبدو الأمر ذا أهمية، وقررت أنها غير قادرة على ذلك. المشكلة هي أن حبها لهاري ورغبتها في البقاء بقربه يجعلان أي تلامس جسدي مؤلماً جداً لكن بطريقة مبهجة نابضة بالحياة في آن معاً. تعمدت أن تنظر إليه بشكل مستو بحيث خلا وجهها من التعابير قائلة: «هل غيرت رأيك أيضاً بخصوص تولي مهام الشركة عندما يحين الوقت؟ والدك سوف يحب ذلك».

ابتسم هاري واتكأ إلى الوراء في كرسيه مفلتاً يدها، فأحست بالخسارة في كل مسام جسدها. أجاب: «مهلاً! أنا لم أقل ذلك. ولأكون صادقاً مع نفسي، أنا لا أرى نفسي في مكان والدي. نحن شخصان مختلفان تماماً. أود أن أوجه اهتمامي نحو الاستشارات في مجال الأعمال. بهذه الطريقة، يمكنني أخذ استراحة لعدة أسابيع في أي وقت».

حدقت جينا بهاري مشككة: «هل أنت قادر على ذلك؟ وهل ستجد ما يكفي من الزبائن؟».

تحولت عينا هاري إلى بركتين عميقتين من الضحك، فقال: «لو واجهت أي مشكلة بحجم غروري، فأنت ستكونين العلاج المثالي لي. لكن، رداً على سؤالك، لدي ما يكفي من العلاقات المهنية حتى أحقق النجاح».

إنه مستقل حتى النهاية. لم يتغير أي شيء... ليس فعلياً. لعله قرر أن يرمي بعض القواعد في حياته، لكنه ما زال روحاً حرة ذات نزعة استقلالية. هو لا ينوي أن يكون مسؤولاً أمام أي كان حتى في حياته العملية. قالت بقدر ما استطاعت من عدم الاكتراث: «يا لك من رجل محظوظ! هذا يبدو لي السيناريو الأمثل».

ردّ هاري موافقاً: «أظن ذلك».

ثم تناول قضمة أخرى كبيرة من اللحم المقدد، فمضغها وابتلعها قبل أن يقول متابعاً: «ما رأيك بمهاراتي في الطهو، إذاً؟».

خمنت جينا أن هاري اكتفى من الحديث الجدي لهذا اليوم فحاولت أن تجاريه. أمالت رأسها كما لو أنها تفكر بالموضوع وقالت: «أتريد علامة

تقديرية... على عشرة؟ ثمانية، تسعة ربما».

سألها هاري بخيبة أمل ساخرة، قائلاً: "لم أنل العلامة الكاملة. أرى أنك امرأة يصعب جداً إرضاؤها.

- حتماً!

تسللت أشعة الشمس على شكل سهم لامس شعر هاري الأسود، ليقع بشكل مائل على وجهه الأسمر القاسي، ثم ينعكس بخفة على الأطباق. تساءلت جينا كيف يمكن للمرء أن يحب شخصاً إلى هذه الدرجة ومع ذلك لا يمكنه أن يظهر هذا الشعور علناً. قالت لهاري: «لكنك ربحت في ما يتعلق بالجراء. سأساعدك بعد ظهر اليوم لأجل الجراء فقط، وليس لأجلك».

أضافت جينا عبارتها الأخيرة بأسلوب عابر اعتبرت أنه يستحق الاعجاب. توقعت أن تسمع منه بضع كلمات شكر عادية أو ملاحظة ممازحة مغيظة تتعلق بشيء قالته له من قبل، لكن عوضاً عن ذلك قال هاري بنعومة فيما داعبت عيناه وجهها: «شكراً لك جينا. أنت امرأة مميزة جداً».

لا! لا تتصرف معي برقة. إنها قادرة على التأقلم مع أي شيء تقريباً سوى ذلك. أحست جينا أن الكتلة التي تسد حلقها تمنعها من الكلام، عوضاً عن ذلك أجابت بابتسامة مشرقة.

بدا أن ذلك أرضى هاري، هذا إذا كان للدفء البادي في عينيه أن يؤخذ بالحسبان. أحست جينا كما لو أنها تسبح بعكس التيار وأنها معرضة للغرق في أي لحظة، لذا انهمكت في تناول الطعام الموضوع في طبقها، وكل لقمة بدت لها كأنها من نشارة الخشب.

٧ - عويل الكروان

غادر هاري وجينا المنزل بعد حوالى الساعتين فاحتويا الجراء في مستوعب واسع ومتين مخصص لنقل الحيوانات الأليفة كانت السيدة روثمان قد أحضرته لهما عندما أوشكا على إنهاء غدائهما. بدت الجراء سعيدة تماماً وهي تحدق خارج الواجهة المصنوعة من الأسلاك وهي في طريقها نحو عيادة الطبيب البيطري.

بعد أن أجرى لها الطبيب البيطري فحصاً شاملاً أعلن أنها سليمة معافاة، لكنه أجّل عملية تلقيحها إلى ما بعد أسبوعين، كما أنه تمنى لهاري ساخراً أن يحظى بالحظ الجيد معها.

عاد هاري وجينا إلى المنزل وهما محملان بأكوام من المعدات المخصصة للجراء. حالما وصلا إلى منزل هاري صارت غرفة الغسيل أشبه بمتجر خاص للحيوانات الأليفة. وقفت جينا تحدق إلى كل الحاجيات والأغراض الموجودة في المكان. لم تدرك أن أفكارها مرئية على وجهها إلى أن قال هاري بنبرة جافة: «لا، أنا لم آخذ على عاتقي أكثر مما أنا قادر على تحمله».

- أنا لم أتفوه بكلمة.

ابتسم لها قائلاً: «لست مضطرة إلى ذلك. أنا صبي راشد جينا، أم أنك لم تلاحظي ذلك؟».

آه! لقد لاحظت تماماً. إن كان لأي شخص أن يلاحظ ذلك فهي أول من يفعل.

- أنا أكثر من قادر على الاهتمام بهذه المجموعة الصغيرة. سوف أقوم ببناء زريبة مؤقتة لها في الحديقة لكي تحتمي فيها عندما تكون في الخارج كما

اقترح علي الطبيب البيطري.

أشار هاري نحو الكتاب الذي نصحه به الطبيب البيطري، «كلبك منذ مرحلة الجرو حتى البلوغ» والذي اشتراه في طريق العودة، وقال: «سوف أقرأه من الغلاف إلى الغلاف هذه الليلة».

أحست جينا أنها تذوب لدى رؤية حماسته، فأومأت وهي تدرك أنه يجدر بها أن تحافظ على واجهتها الباردة. قالت: «جيد. يجدر بك أن تفعل».

ابتسم هاري وقال مبتهجاً: «والآن، ما الأسماء التي سنطلقها عليها؟ ألديك أي أفكار؟».

- نطلق عليها الأسماء؟!

- أنت شاركت في إنقاذها بقدر ما فعلت أنا. أود أن تختاري أنت أسماءها.

- لا أقدر... فهي جراؤك، هاري.

كيف يمكن لشيء بهذه البساطة أن يسبب هذا المقدار من الألم؟

- وأنا أود أن تسميها أنت. النساء أكثر براعة في هذا النوع من الأمور. أنا أكاد ألجأ إلى عادتي الذهنية بتلقيب الجراء: الأول، الثاني، الثالث والرابع، وذلك ليس مجدياً. لا تقلقي، لن آتيك فجأة إلى لندن وأنا أحملها بين ذراعيّ فأطالبك بأن تتحملي مسؤوليتها.

أضاف هاري وقد اتسعت ابتسامته: «أنت فقط ستطلقين الأسماء على هذه الجراء».

الأمر ليس مضحكاً! أحست جينا أنها تكرهه وتحبه بمقدارين متساويين. اتضح للتو أن هاري يمكنه أن يتحدث ببساطة عن ابتعادها عنه من دون أن يبدو عليه التأثر لذلك مطلقاً. حسناً! يمكنها أن تظهر له أنها لا تبالي به أيضاً. قالت ببطء: «حسناً! إنه فصل الربيع. ما رأيك بأسماء الأزهار؟ دايزي للجرو الصغير، روزي للأكبر حجماً، وربما فلورا وبانسيه للاثنين الآخرين».

رمقها هاري بنظرة مرتعبة وقال بفظاظة: «إذا كنت تعتقدين أنني سأقف

لم يتفوه هاري بالكثير خلال رحلة العودة بالسيارة، أما جينا فشعرت بالامتنان لذلك. إن اجراء محادثة لبقة من هاري هو أمر بالغ الصعوبة نظراً إلى كيفية شعورها الآن. ما إن وصلا قبالة منزلها حتى أوقف هاري السيارة. خرجت جينا من السيارة قبل أن تتسنى لهاري حتى مغادرة مقعده. قالت له عندما فتح باب السائق: «لا، أرجوك! لا تخرج. يجدر بك أن تعود إلى الجراء».

لكنه مشى حول مقدمة السيارة فناول جينا جهاز الملاحة المتصل بالأقمار الصناعية الخاص بسيارتها، والذي كان زملاؤها في العمل قد أهدوها إياه. قال: «دقيقة أو اثنتين لن تؤثرا كثيراً. سوف تحتاجين إلى هذا الجهاز. أليس كذلك؟».

أجبرت جينا نفسها على الابتسام، فتناولت العلبة قائلة: «حتماً. حسناً! يجدر بي أن أبدأ بتنظيف الشقة. وداعاً هاري».

ضاقت عينا هاري ثم قال: «ظننتك ستعطينني عنوانك الجديد».

كذبت بصوت هادئ قائلة: «بالطبع. سوف أعطيك إياه عبر الهاتف غداً، إذا كان الأمر يناسبك؟ لدي رقم هاتفك النقال».

تكلم هاري بصوت بالغ الرقة: «أشكرك على كل ما فعلته خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة. أنا أقدر لك ذلك».

بالطبع أنت تقدر لي ذلك. لقد وقعت أسيرة سحرك وقمت بما طلبته مني تماماً، فأنا أشبه الغبية الضعيفة عندما يتعلق الأمر بك.

- لم يكن بالشيء الكثير. تسرني مساعدتك.

أرجوك... ارحل! قبل أن أنهار تماماً أو أمسك بك فلا أدعك ترحل.

لازم هاري مكانه، ثم قال بصوت ملؤه التسلية: «سوف أعلمك كيف تتأقلم الجراء».

- شكراً لك.

- يجب أن تأتي لرؤيتها عندما تأتين في المرة المقبلة لزيارة والديك.

- نعم.

في وسط الحقل وأصرخ بانسيه، فلذلك سيستجلب أفكاراً أخرى إلى ذهني».

- حسناً! ربما ليس بانسيه. ما رأيك بـ... بتونيا؟

- لا أظن ذلك، للسبب الذي ذكرته نفسه.

- روزا؟

- لدينا اسم روزي.

- إيريس؟

- إنه اسم صديقة والدتي المفضلة. وهي قد تأخذ الأمر على محمل شخصي.

حملقت جينا به وقالت: «آه! لست أدري. أنا أخترت ثلاثة أسماء من أصل أربعة، أما الأخير فعليك أن تفكر به بنفسك».

- حسناً!

وقف هاري ثم استند إلى الحائط وهو يراقب جينا بعينين رماديتين لا يُسبر غورهما. بدا شعره مشعثاً قليلاً بسبب النسمة الربيعية التي تهب في الخارج، أما سترته الجلدية السوداء الطويلة فكانت متدلية فوق كتفيه.

قال بهدوء: «سوف أقلك إلى منزلك الآن إذا كنت مستعدة».

أحست جينا كما لو أن ما قاله هو كالصفعة على وجهها. لم تدرك من أين تمكنت من إيجاد القدرة لكي تومئ له بشكل عابر وتبتسم. ودعت الجراء التي كانت ملتفة على بعضها البعض وتغط في نوم عميق على شكل كومة في الزاوية، ثم أحضرت سترتها وحقيبة يدها.

أحست وهما يسيران متجهين نحو السيارة كما لو أنها نهاية العالم. ثم ابتسمت له شاكرة عندما فتح لها الباب المجاور للسائق، وانزلقت بأناقة داخل السيارة.

كانت أشعة ما بعد الظهر مشرقة والأجواء منعشة وباردة فيما تُسمع زقزقة العصافير بوضوح. فكرت جينا وهي تراقب هاري أنها لن تتمكن من إنجاز أي عمل اليوم. وكأن ذلك مهم حقاً! لا شيء يهم... هذه هي المرة الأخيرة التي سترى فيها هاري، وهذا النذل لا يأبه البتة بها.

- إلى ذلك الحين سأكون قد وجدت اسماً للجرو الرابع يتلاءم مع أسماء شقيقاته.

أومأت جينا برأسها. درس ملامح وجهها للحظة مطولة بينما وقفت هي جامدة تماماً ومتوترة مشدودة الأعصاب.

- لابد أن أدعك ترحلين. أخرتك بما فيه الكفاية.

يمكنك أن تؤخرني إلى الأبد لو أنني أعتقد أن لدي فرصة ضئيلة بأن أعني شيئاً بالنسبة إليك! علمت جينا أنه يجدر بها أن تقول شيئاً ولو عابراً، شيئاً ما يعني أنهما سوف يفترقان بسهولة على أساس الصداقة. لكنها أحست أنها تخطت القدرة على الكلام، فقد غمرها الألم الذي يختلج في داخلها وسيطر عليها. أرادت أن تستدير مبتعدة عنه... لكن في تلك اللحظة اقترب منها واحتضنها في عناق مفاجئ فتجمدت في مكانها. بدت يداه دافئتين وحازمتين، ولم يكن ذلك عناقاً خفيفاً بل عناقاً ملؤه الحماس والشغف اللذان أخذا يزدادان عمقاً لحظة بلحظة. أسرها عناقه هذا إلى أقصى حد، فلم تعد قادرة على الابتعاد عنه حتى لو كانت حياتها وقف على ذلك. لكنها قاومت رغبتها بأن تبادله العناق بالمثل بكل ذرة من كيانها، فهي تعلم أنها حالما تستسلم لمشاعرها ستضيع.

هاري يظنها مغرمة بشخص آخر، لكنها لو بادلته العناق بالأسلوب الذي ترغب فيه فعلاً، فذلك سوف يطلق العنان لذهنه الذكي فيصل إلى لب المشكلة. قالت لنفسها مراراً وتكراراً إنه يجدر بها أن تبقى لا مبالية، لكن ذلك لم يجدِ نفعاً. إنه هاري، وهو يعانقها بحرارة. ما إن سرت تلك الحرارة في أوصالها حتى تحركت مشاعرها. قالت لنفسها إنها لا تريد أن تفكر بالمنطق، بل تريد أن تستسلم لأحاسيسها. خلال ست وثلاثين ساعة سوف ترحل إلى الأبد، وسوف يلازمها هذا الشعور مدى الحياة.

الصندوق الذي تحمله بين يديها أنقذها من رغبتها برمي ذراعيها حول عنق هاري والاستسلام لعناقه كما ودت فعلاً. أحست بوجود الصندوق إذ ضغط على صدرها كما أدرك هاري وجوده أيضاً، فاستقام وابتسم ابتسامة

واهنة ضعيفة ثم قال: «آسف».

راحت دماء جينا تحدث صوتاً مدوياً في أذنيها، فلم تقوَ على استيعاب اعتذاره البارد. أملت ألا يبدو الارتعاش في داخلها مرئياً لتينك العينين الرماديتين المركزتين عليها، فأخفضت وجهها المحمر خجلاً وقالت بصوت يشبه التمتمة: «يجب أن أذهب، هاري».

- أعلم.

مرت لحظة، ثم أخرى. بعدئذ قال: «إلى اللقاء، جينا».

- إلى اللقاء!

هذه المرة استدارت جينا مبتعدة ومشت نحو الباب الأمامي لمنزلها بفضل غريزتها لا بفضل قدرتها على الرؤية، فعيناها بدتا معميتين عن الرؤية. لزمها قدر هائل من قوة الإرادة حتى تستدير نحو هاري بعد أن فتحت الباب الأمامي للمنزل لتلوح له مودعة، لكنها فعلت ذلك بشكل ما. أدركت أن هاري رفع ذراعه رداً عليها، ثم أوشكت على الوقوع داخل البهو، فأغلقت الباب الأمامي واستندت إليه فيما راح قلبها يدق بعنف جنوني.

لم تعلم كم من الوقت بقيت واقفة هناك بعد أن سمعت هاري يقود سيارته مبتعداً. لقد رحل! لا شيء مما اختبرته جينا في حياتها حتى الآن هيأها لهذا اللحظة، لهذا الخراب والحزن الشديدين اللذين تكاد تستشعر بطعمهما. شقت طريقها إلى شقتها وهي مثقلة القدمين بينما رأسها يخبط بقوة. فتحت باب شقتها ومشت إلى الداخل، فوضعت العلبة بحذر على الطاولة الصغيرة الموجودة في البهو المربع الضيق، ثم تابعت سيرها نحو غرفة الجلوس. بدت الأمور بالضبط على النحو الذي تركتها عليه صباح يوم أمس، فقد وضعت على الأرض عدة صناديق كرتونية مبعثرة هنا وهناك. الزوجان الشابان اللذان استأجرا الشقة قدما لها عرضاً مغرياً مقابل مفروشاتها، وسرها قبول ذلك لأن شقتها في لندن مفروشة أصلاً.

مشت جينا وهي تشعر بالخدر نحو النافذة العريضة الإطار ونظرت نحو النهر والحقول الممتدة وراءه. هذا المنظر أثار الحماسة في روحها حين

وجدت هذه الشقة وهوما يزال يؤثر بها. لكنها هذا المساء أحست بأن لا شيء سوف يؤثر بها مطلقاً، في ذاك المكان الخفي حيث يكمن الفرح والسعادة. تآمرت الطبيعة مجتمعة حتى ترسم عرضاً يخطف الأبصار، إذ حوّل وهج اللون القرمزي الغامق والذهبي، ظلال المساء إلى لون بنفسجي حيوي وبرتقالي داكن. لكن جل ما استطاعت جينا أن تفكر به هو هاري. تصورته وهو يعود إلى منزله في هدوء المساء الذي يعبق بالعبير. تخيلت سكينة ذلك المنزل القديم الطراز المسقوف بالقش، وتصورت منظر الجراء الأربعة تتدافع لملاقاته وهو يدخل غرفة الغسيل.

أصبح الحال أسوأ الآن بعد أن رأت مكان إقامته، كيف تراها ستقدر على أن تعيش بقية حياتها وحمل الفراغ الثقيل هذا يضغط عليها؟ لماذا تراها لا تقدر على البكاء؟

أخيراً غطى الظلام الشمس الغاربة، أحست جينا أن رجليها تصلبتا لوقوفها في الوضعية نفسها لفترة طويلة. نهضت ومشت نحو المطبخ حيث أعدت لنفسها كوباً من القهوة قبل أن تتفقد آلة تسجيل المكالمات الهاتفية. سمعت رسالتين صوتيتين كئيبتين نوعاً ما، إحداهما تذكرها أنه يفترض بها أن تتناول العشاء مع والديها في الأمسية التالية، أما الرسالة الأخرى فهي من مارغريت التي تتفقد حالها وهي تغادر مكان عملها. وهناك رسالة أخرى من جانيس التي تساءلت أين تراها ذهبت هذا الصباح. لكن جينا لم ترد على الرسالتين، لأنه صعب عليها أن تشرح أنها ذهبت مع هاري منذ رحيلها وبقيت عنده خلال الليل.

حركت كتفيها بقصد إزالة التوتر الذي يقبض على عنقها. إنها لا تشعر بالارهاق تحديداً على الرغم من أنها لم تحظَ سوى ببضع ساعات من النوم خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية. كما أن الليالي السابقة لم تكن جيدة أيضاً.

أخذت حماماً طويلاً دافئاً ثم تناولت حبتين من الأسبرين لتخفيف الصداع الذي أخذ يطن في دماغها. جلست مرتدية ثياب نومها تحدق

ببرنامج تلفزيوني لم يثر اهتمامها مطلقاً فيما ارتشفت كوباً آخر من القهوة.

رنّ جرس الهاتف عند الساعة الحادية عشرة، لكنها لم تبدِ أي محاولة للرد عليه، فهي لا ترغب بالتحدث إلى أي كان. سُمِعَ صوت هاري وهو يقول بهدوء: «أنت على الأرجح نائمة الآن، لكنني فقط أردتك أن تعلمي أنني فكرت باسم مناسب للجرو الرابع، وهو اسم أقدر أن أصيح به في وسط الحقل. إنه زينيا. ما رأيك؟ كتابي الخاص بالبستنة يقول إنها نبتة من فصيلة الأقحوان ذات زهور مشرقة زاهية باللونين الأحمر الغامق والذهبي كما هو لون شعرك. اعتقدتُ أنه اسم ملائم».

سادت على هاري لحظة من السكون فأدركت جينا أنها منقطعة الأنفاس، ثم أنهى كلامه بنعومة بالغة قائلاً: «آه! الكتاب يقول أيضاً إن الاسم يعني بلغة الأزهار العبارة التالية: «التفكير بالأصدقاء الغائبين». عمت مساءً، جينا. نوماً هنيئاً».

نوماً هنيئاً؟! دمرتني ذهنياً وعاطفياً، ثم تقول لي بهدوء «نوماً هنيئاً؟».

هاري يتكلم عن لون شعرها ويسمي الجرو تيمناً بالأصدقاء الغائبين! تلك مجرد ثرثرة لطيفة لكنه لا يأبه البتة بها. الغضب الذي راح يتآكل جينا صار قوياً جداً. إنه رجل عديم القلب. هذا ما هو عليه هاري. بدأت جينا تذرع الغرفة جيئة وذهاباً وهي ساخطة حانقة. إنه يبقي الجميع على مسافة منه، ويدفعهم بعيداً عنه، ولا يأبه لعدد القلوب التي يفطرها في طريقه.

لا، ذلك ليس صحيحاً تماماً. توقفت جينا للحظة ثم بدأت تذرع الغرفة مجدداً. أقام هاري علاقات غرامية مع نساء عرفن النتيجة مسبقاً، ليس ذنبه أنها وقعت بحبه بشكل تام. لكن هناك أمر مؤكد: لو أن لدى هاري أدنى فكرة عن كيفية شعورها نحوه، فهو سيهرب بعيداً. هي لم تحصل على الدعوة إلى منزله إلّا لأنه يعتقد بأنها تعتبره صديقاً فقط. ابتسمت جينا بمرارة. صديق!!

بعد مرور عدة لحظات سيطرت على نفسها وأعادت بث الرسالة الصوتية مجدداً. هذه المرة لم يعد هنالك غضب، لكن صوت هاري أزاح السدّ الذي

يحبس الدموع التي تجمعت طيلة النهار. بكت جينا إلى أن جفت دموعها، فأصبح وجهها في حال يرثى لها، وعلى أثر ذلك مشت نحو المطبخ فأعدت لنفسها كوباً آخر من القهوة. وقفت تحدق بالكوب، ثم مشت نحو المجلى بكل عزم وأفرغته فيه. قالت لنفسها بحزم إنها بحاجة إلى الحليب بالكاكاو ليساعدها على الاسترخاء والنوم، وربما تحتاج إلى بضع شرحات من التوست المدهون بالزبدة أيضاً. لن تسمح لنفسها بأن تنهار.

ساعدها مشروب الكاكاو بالحليب مع التوست المحمص. أحست جينا وهي تأكل أنها أخذت تعود إلى طبيعتها مجدداً. بدأت جزئياً تحس أنها لم تعد ذاك المخلوق المرتبك العقل الذي دخل عبر الباب قبل فترة من الوقت. غسلت الكوب والصحن بعد أن أنهت عشاءها ووضعتهما جانباً. غداً سوف توضبهما مع بقية أغراضها فتكون جاهزة لتنتقل إلى حياتها الجديدة في لندن.

إنها لا تريد الرحيل! عضت بقوة على شفتها عندما أحست بالدموع تهددها مجدداً. لكنها سوف ترحل. أدركت الآن أنها لن ترحل إلى الأبد. ربما لمدة سنة أو اثنتين، أي لفترة كافية حتى تتقبل حقيقة أن هاري لن يكون لها أبداً. هي ببساطة غير قادرة على فعل ذلك هنا في يوركشاير، فطيلة الوقت سوف تأمل وتأمل. ذلك الأمل استنزف قوتها خلال الأشهر الأخيرة الماضية، وحولها إلى شخص لا تريد أن تكون عليه.

لكنها سوف تعود إلى ديارها. ليس إلى هذه الشقة ولا إلى شركة «بريدون وابنه» ولا حتى إلى هذه البلدة حيث ولدت وتربت، لكن إلى مكان قريب ما. إنها ليست فتاة مدينة ولن تكون أبداً. الريف يجري في دمائها... في شرايينها وعظامها. كذلك المستنقعات الجافة الفارغة حيث يسمع بكاء وعويل طائر الكروان: وذاك الطائر هو جينا.

قومت جينا كتفيها ومشت خارج المطبخ نحو حمامها الذهبي والأبيض الجميل. هناك نظفت أسنانها وهي ترفض التمعن في عينيها المنتفختين المحاطتين بإطارين زهريين، هاتين العينين اللتين تحملان تعبيراً ألمها.

حالما دخلت إلى سريرها استلقت بهدوء في الظلام وشبكت ذراعيها خلف رأسها. إنها تقوم بفعل الصواب. إنها تقوم بما يجدر بها أن تفعله. الأمر بهذه البساطة. خلال عدة دقائق غطت جينا في نوم عميق.

* * *

جلس هاري يراقب الجمرات المتوهجة في الموقد، حيث النار تشتعل خافتة بطيئة فترسل ظلالاً متقطعة مرتعشة عبر الغرفة. أما الجراء فتجاهلت أسرّتها المنفردة وتكورت سوياً في سرير واحد. ابتسم هاري قبل أن يرتسم على وجهه تعبير التفكر الذي بدا عليه خلال الساعتين الأخيرتين المنصرمتين.

من هو هذا الرجل الذي أسر قلب جينا؟ لا يمكن أن يكون شخصاً موجوداً في الشركة وإلّا لاحظ الأمر، كما أن جينا كانت ستتعرض إلى شائعات يصعب محوها وذلك خلال فترة لا تزيد عن الدقيقتين. لا شيء يفوت الموظفين. لا، إنه ليس شخصاً يعمل في شركة «بريدون وابنه». لا بد أنها تعرفت عليه في مكان آخر. أهو جارها؟ أتراها تربت برفقته ثم لاحظت وجوده عندما عادت من الجامعة إلى بلدتها؟ تجري الأمور على هذا النحو أحياناً.

مدّد هاري رجليه الطويلتين وهو ينظر إلى ساعة يده، ثم مد يده ليتناول كوب الشاي عن الطاولة إلى جانبه. تناول رشفة منه سامحاً للمشروب الساخن أن يدفئ دربه نزولاً من حلقه إلى معدته قبل أن يعيد الكوب إلى الطاولة الموضوعة إلى جانب كرسيه. جينا لا تقيم مع ذاك الرجل. عندما فكّر بالموضوع، استنتج أن جينا أطلعته على القليل القليل. أخبرته فقط الحقائق المجردة من دون أقل تنميق، وهو أمر ليس من طبعها. أم أنه كذلك؟ أطلق هاري تنهيدة، ثم فرك وجهه بيديه. لطالما ظن أنه يعرفها بشكل جيد، لكنه كان مخطئاً جداً.

قالت له جينا إنها لا تظنه يحب النساء كثيراً وهو أقر لها بأنه قول تهكمي. الحقيقة هي أنه خلال العقد الأخير كان يشعر بالخوف، بالرغم من أن الأمر

لم يكن واضحاً بالنسبة إليه. لكن الخوف هو الذي سيطر عليه. اعتقد هاري أن الوقوع بالحب مجدداً سوف يجرده من قدرته على السيطرة والتحكم بحياته، ولا شيء يستحق تلك التضحية. في الماضي حظي بحصته من الحب وغرق فيه حتى مرحلة ما، لكن لكل شيء ثمن. لم يدرك هاري أي نوع من الرجال صار عليه إلى أن أشارت جينا إلى ذلك بصوتها الدافئ الناعم. وحينها وقع السحر بفعل جنّي ساحر ولا مجال للعودة إلى الوراء. لابد له أن يواجه المشاعر التي أخذت تنمو بثبات والتي نضجت خلال الاثني عشر شهراً الماضية. جينا... آه، جينا!

أحس بأبر الغيرة تخزه وتخرق أعماقه، فوجد نفسه يقاوم ضد حساسيته وضعفه العاطفي. ما زال الأمر كما عرفه دوماً، فالحب لا يلعب لعبة عادلة. أخيراً رفع رأسه وأنهى ما تبقى من الشاي ثم نهض واقفاً على قدميه. حسناً! إذاً لقد فاته مركب الحب في ما يخص جينا. يجدر به أن يتعامل مع هذا الوضع فيتابع حياته. لكن جينا معجبة به، وهو ما يزال يؤمن بوجود شرارة ما بينهما. لو لم يكن قلبها منشغلاً بحب شخص آخر، من يدري كيف كانت ستتطور الأمور بينهما؟ لكن منذ أن أخبرته بخصوص هذا الرجل أوضحت له تماماً أنها لن تخوض معه أي شيء يتخطى الصداقة. طلب منها عنوانها الجديد في لندن أكثر من مرة. إن أرادت أن تعطيه له فسوف تفعل. إذا ما أرادت...

آنّا سخرت منه بأكثر من أسلوب. فهي خدعته حتى يتزوجها، كذبت عليه، سخرت منه وهددته باستمرار أنها ستقتل نفسها. وكل ذلك باسم الحب. إنه حب جرّده من كل قرش يمتلكه خلال تسوية الطلاق. ثم تزوجت ولم يمضِ سنة على طلاقهما. يا له من حب!

لكن إذا أراد أن يكون صادقاً مع نفسه، فإن الاذلال هو أكثرما آلمه بعد أن تراجع الاستنزاف والألم من أعماقه، لأنه خُدِعَ تماماً إلى درجة أن الناس سخروا منه لغبائه. الإهانة والخزي أثرا به حتى الأعماق، وهو لم يدرك كيف يتعامل مع ذلك سوى بالفرار. التوى فم هاري وهو يفكر أنه كان

مرتبكاً، خجولاً، خائفاً... وتلك الصفات لا يفترض بالرجل أن يكون عليها.

ما الذي ستستنتجه جينا من رسالته الهاتفية عندما تسمعها هذا الصباح؟ سوف تدرك ما يقوله لها فعلاً بالطبع، لكنه بهذه الطريقة سوف يوفر عليهما سوياً إحراج اضطرار جينا لأن تردد كلامها نفسه بخصوص حبها لذلك الرجل. لكن ذلك سوف يبقي الباب مفتوحاً لها حتى تتصل به في المستقبل إذا ما وصلت إلى مرحلة تمكنت فيها من وضع هذا الرجل خلف ظهرها.

مشى بهدوء نحو غرفة الغسيل ليتفقد الجراء قبل صعوده إلى الطابق العلوي. أتراه قرر الاحتفاظ بالجراء فقط حتى يبرهن لجينا أنه مستعد لتحمل المسؤولية والارتباط؟ أتراها خدعة ليصطاد السمكة؟ لا! شكّل هذا الجواب ارتياحاً لهاري إذ أدرك أن السؤال كان يقبع في خلفية ذهنه طيلة النهار. إقناع جينا بأنه يأخذ كومة من الجراء تحت رعايته شكّل في البداية جزءاً من اللعبة حتماً، لكنه يريد الجراء... بل يحتاجها... إنها بداية لمرحلة جديدة من حياته، سواء لعبت جينا دوراً فيها أم لا. لقد سئم من خطة حياته السطحية المقاومة للحب. سئم هاري من العودة إلى منزله ليجد الصمت المطبق والوحدة. لعل الدفع الأولي لهذا الشعور كان إصابة والده بالجلطة القلبية. يومها أدرك -كأنما للمرة الأولى- أن والديه بشريان فانيان وأنهما سوف يرحلان يوماً ما. ثم تعرّف إلى جينا...

لعله كان رجلاً مستهتراً خلال العقد الأخير من الزمن، هزّ هاري كتفيه. ذلك الوقت مضى، وهو رجل لا يؤمن بالبكاء على ماض هو غير قادر على تغييره. الآن بالذات أدرك أن ما بدا يوماً ما خانقاً ومرعباً بالنسبة إليه صار مرضياً له. بدأ التغير لديه خلال السنة الأخيرة المنصرمة ببطء ومن دون أن يدري. مع أن إدراكه هذا جاء بمثابة صدمة كبيرة له، لكن بعد أن فكر بالأمر الآن أدرك أن تلك لم تكن عملية مفاجئة. حبه لجينا لم يكن عملية مفاجئة بل هو نمو لشعور ثابت رائع لأنها امرأة رائعة. لكنها سوف تغادر

حياته بعد مرور أربع وعشرين ساعة فقط، وليس هنالك أي شيء يقدر على فعله بهذا الخصوص.

٨ - عذاب جديد

عندما استفاقت جينا يوم السبت من نومها المكدر المتململ شعرت أن الغمامة السوداء التي حامت فوق رأسها يوم أمس ما تزال في مكانها لا تتزحزح.

طيلة يوم الجمعة قامت بالتنظيف والفرك والتصنيف، فلم تتوقف عن عملها إلا للرد على الهاتف. أخذت استراحة لتعد لنفسها الغداء، وكانت قد أعدت الفطور لجانيس، وبالتالي أتمت التزامها عن اليوم السابق، أما بعد ذلك فقصدت والديها لتناول العشاء برفقتهما كما وعدتهما مسبقاً. أثناء العشاء بدت جينا مشرقة ومبتهجة، فكاد الأمر يقتلها.

انقلبت على ظهرها وهي ماتزال في السرير. هذا هو اليوم الموعود... يوم الرحيل. وضبت كل أغراضها، وجل ما هي بحاجة لأن تفعله هو إزالة أغطية الفراش وشراشفه ثم تنظيف الحمام تنظيفاً أخيراً سريعاً بعد أن تستحم وتغسل شعرها. سيارتها المركونة في الخارج أصبحت محملة تماماً بالأغراض حتى بالكاد تتسع لها في مقعد السائق. يفترض بالزوجين الشابين اللذين سيأخذان شقتها أن يصلا عند الساعة الحادية عشرة برفقة وكيل المبنى. إذاً، كل شيء يسير على ما يرام.

جلست جينا مستقيمة في سريرها فأبعدت خصلة من الشعر عن عينيها. لم يتصل هاري مجدداً يوم أمس. لكن لماذا تراه يتصل؟ أرجحت رجليها خارج السرير، فحدقت بائسة نحو السجادة. لم تشك للحظة واحدة بأن هاري سوف ينسى أمرها ما إن تبتعد عنه. من الغباء أن تتوهم أو تأمل بأنه سيتصل بها. لكن هذا هو حالها مع هاري، فهي لا تقوى على منع نفسها.

www.elromancia.com

وهذا هو بالتحديد السبب الذي يدفعها إلى الرحيل. هي لن تتصل به بعد الآن مطلقاً.

مدت يدها بشكل تلقائي لترد على الهاتف عندما رن. إن الشخص الوحيد الذي قد يتصل في هذا الوقت من الصباح هو والدتها، فقد بدت في حالة يرثى لها مساء أمس، إذ لم تستطع التوقف عن البكاء. قالت في سماعة الهاتف: «مرحباً أمي!».

سادت لحظة سكون، ثم سمع صوت رجل يقول: «آسف، هذه ليست أمك».

شعرت جينا بالامتنان لأنها جالسة في السرير وليست واقفة، مع ذلك لم تقو على التفوه بأي كلمة.

- جينا؟ أنا هاري. أدرك أن الوقت مازال مبكراً، لكنني لم أعرف متى تنوين المغادرة.

أجبني! قولي شيئاً ما! أصدري صريراً ما... أي شيء!

- أنا... ليس بعد. أعني...

أحست أن حلقها بدأ ينقبض، لكنها دفعت نفسها لتجاوز ذلك وتابعت قائلة: «أنا مازلت في السرير».

- هل أيقظتك؟ أنا آسف.

لم تصحح جينا اعتقاده، فسمحت له أن يظن أن تلعثمها وفأفأتها يعودان أن إلى كونها استيقظت حديثاً. تدبرت بعدئذٍ أن تتكلم بشكل مترابط فيما راح قلبها يدق بقوة إلى درجة مؤلمة، فقالت: «لا بأس بذلك. هل من خطب؟».

- بأي شأن؟

لعل كلامها بدا غريباً، لكن كلام هاري لم يبدُ أفضل. في الواقع هي لم تستفق من الصدمة بعد، لكنها قالت: «الجراء... هل من خطب بها؟».

سمعته جينا وهو يسعل لينقي حلقه، ثم يقول: «ماذا؟ آه! لا. إنها بخير. اسمعي! أنا لم أشكرك بشكل ملائم على كل ما فعلته لأجلي ليلة وجدناها،

وعلى مساعدتك لي في اليوم التالي».

- بالطبع شكرتني.

نظرت جينا إلى معصمها حيث التمعت ساعة يدها الذهبية في الضوء الخافت. كانت قد نامت وهي تضعها في معصمها فقد أحست أنها بحاجة إلى الشعور بشيء يربطها بهاري.

- لا أظن ذلك. على أي حال، فكرت أن من الجميل أن نتناول الفطور سوياً خلال آخر صباح لك في يوركشاير. هذا إذا لم تكن لديك مشاريع أخرى؟

بدا كلامه غريباً. أغمضت جينا عينيها سامحة للهواء بالعبور من خلال حلقها المنقبض. أليس جنوناً أن تراه هذاالصباح؟ أليس جنوناً أن تستدعي لنفسها المزيد من الألم؟ إن الشيء العقلاني الوحيد الذي يمكنها أن تفعله هو اختلاق عذر ما. بدا كأن الصمت يمتد إلى ما لا نهاية بينهما. ثم قال هاري: «جينا! هل مازلت على الخط؟».

- نعم. ذلك يبدو أمراً لطيفاً.

تكلمت جينا بصوت هادئ، لكن جزءاً من أعماقها كان يصرخ عالياً. إنها غبية عندما يتعلق الأمر بهذا الرجل.

- جيد. أنا أعرف مقهى رائعاً لا يبعد كثيراً عن مكان إقامتك.

بدا هاري مسروراً فعلاً. تمنت لو أن بمقدورها أن ترى وجهه. استجمعت قواها فقالت: «متى ستأتي؟».

سادت لحظة سكون أخرى، ثم قال هاري: «في الواقع أنا جالس في سيارتي المتوقفة أمام منزلك. راقبت شروق الشمس من هنا».

أحست جينا أن حبل أفكارها انقطع، فسألته بغباء: «لماذا؟».

- لم أقوَ على النوم.

إن هاري هنا... في الخارج. سقطت جينا إلى الوراء في سريرها وقد انتشر شعرها حولها كما لو أنه لهب النيران. وغمغمت باستسلام: «أنا بحاجة للاستحمام».

- حسناً! خذي وقتك. ما من داعٍ للعجلة.

- يجدر بي أن أسلم مفاتيح الشقة للمالك عند الساعة الحادية عشرة.

- سوف تعودين قبل الموعد المحدد ويبقى لديك وقت كاف لذلك. لا تقلقي!

سألته جينا مترددة: «هل ترغب بالصعود لتنتظرني هنا؟».

فيما تساءلت إذا كان مقدراً لهاري أن يراها دائماً بهذا الشكل الفوضوي الذي تبدو عليه صباحاً.

لابد أن هاري استشعر عدم رغبتها بصعوده، فقال: «لا! أنا بخير هنا، إنني أصغي إلى الراديو. أتعلمين؟ سيكون هذا نهاراً جميلاً آخر حالما يتلاشى الضباب الصباحي. توقعات أحوال الطقس تقول إنه سيكون نهاراً بارداً لكنه مشمس».

بالطبع سوف يكون أجمل نهار على الإطلاق، لأنها سوف ترى هاري مجدداً للمرة الأخيرة. لكن من جهة أخرى سوف يكون أسوأ يوم أيضاً لأنها مضطرة إلى توديعه من جديد. لابد أنه فكر بها بما فيه الكفاية ما دفعه للحضور إلى هنا.

- كم لديك من الوقت قبل أن تضطر للعودة إلى المنزل حتى تتفقد الجراء؟

- السيدة روتمان تعتني بها. أنا بقيت مع الجراء خلال الثماني والأربعين ساعة الأخيرة، لذا وافقت السيدة روتمان على رعايتها خلال عطلة نهاية الأسبوع. استريحي جينا.

تابع هاري كلامه وقد حمل صوته لمحة من التسلية: «أنا لم أجرد نفسي من كل المسؤوليات بهذه السرعة».

آلمها أن يعتقد أنها لا تثق بقدرته على تحمل المسؤولية، فردت قائلة: «لم أعتقد أنك فعلت هذا. سوف أنزل خلال وقت قصير».

بعد قليل أخذت جينا حماماً سريعاً، وربطت شعرها عند قمة رأسها على شكل ذيل الحصان، ثم ارتدت سروال الجينز مع قميص كانت قد وضعتهما

جانباً الليلة الماضية. هي تفضل أن تترك هاري مع صورة لها وهي ترتدي شيئاً أكثر أناقة، لكن هذه الملابس حتماً ملائمة لتناول الفطور في مقهى.

توقفت فجأة فيما كانت تهم بارتداء سترتها، إذ شعرت أن جسدها يفيض حيوية بينما يضخ قلبها الدم بسرعة كما لو أنه محرك ذو قوة عالية. تنهدت بنعومة. ففي جميع نواحي حياتها الأخرى هي تتصرف كامرأة ناضجة تتحكم تماماً بمشاعرها، لكن هاري هو نقطة ضعفها. استيقظت هذا الصباح وهي تشعر كما لو أن العالم وصل إلى نهايته، والآن هي... ماذا؟ تمهلت جينا لتفكر. سخيفة... غبية... مجنونة تماماً! مهما يكن، ما من شخص كامل على وجه الأرض.

لم يكن هاري جالساً في سيارته عندما خرجت جينا من المنزل، بل كان يقف مستنداً إليها وهو يحدق نحو النهر فيما يدير ظهره لها. غمرها شعور من الحب القوي إلى درجة أعمت بصرها للحظة ثم توضحت رؤيتها. كان هاري مايزال واقفاً مكانه بشعره الأسود الذي يلتمع تحت نور الشمس، أما جاذبيته فبرزت أكثر في هذا الصباح الربيعي المنعش.

استدار هاري عندما مشت جينا نحوه، وارتسمت ابتسامة على وجهه الوسيم أدفأت قلبها المتأوه. داعب صوته الأبح خلايا أعصابها عندما قال لها: «مرحباً! أتيت في وقت أسرع مما توقعت».

- جيد، فأنا لا أحب أن يتم توقع تحركاتي.

هز هاري رأسه وقال: «توقع تحركاتك؟ ليس أنت».

تعليقه جعلها تشعر أنها أكثر سيطرة على الأمور. بالطبع، هي تدرك أن ذلك غير صحيح لكن الأمر ليس بذي أهمية. سألته عندما وصلت بالقرب منه: «إلى أين نحن ذاهبان بالتحديد؟».

أمال هاري رأسه وقال محاولاً إغاظتها: «بالتحديد، إلى مكان يقع على مسافة بضعة أميال من هنا. إنه مقهى غير معروف نوعاً ما يقصده سائقو الشاحنات، اكتشفته بالصدفة صباح أحد الأيام منذ أشهر. إنه يبعد قليلاً عن الدرب المألوف، لكنه دوماً مكتظ بالزبائن».

سألته جينا مشككة: «ماذا تعني بقولك «غير معروف»؟».

- حسناً! إن الذين يترددون إليه يبدون كأنهم ينتمون إلى طائفة غريبة ما، لكن الطعام رائع هناك كما أنه نظيف.

اتسعت ابتسامة هاري وتابع: «لا تقلقي جينا! سوف تكونين بخير تماماً معي. أنا لن أسمح بأن يصيبك مكروه».

حام فوق شفتي جينا رد خفيف ما لكنها لم تنطق به أبداً، والسبب هو أسلوب نظر هاري إليها. لم تفهم تماماً ما رأته في عينيه، لكن ذلك ضاعف الألم في قلبها.

ما إن فتح هاري باب السيارة لها حتى أحست أن الأرض بدأت تدور حولها مجدداً، وعندما انضم إليها داخل السيارة استشعرت برائحة عطر ما بعد الحلاقة الخفيفة على بشرته فارتعدت مفاصلها. لاحظ هاري ارتعادها على الفور، فأدار المحرك وشغل جهاز التدفئة قائلاً: «أتشعرين بالبرد؟ سوف تدفئين قريباً».

ردت جينا بشكل عابر فيما شعرت بفخر كبير لقدرتها على التحكم بنبرتها: «هذا لطيف. فطور ارتجالي».

- يسرني أنك تظنين ذلك.

فيما قاد هاري سيارته خارج موقف السيارات الموجود أمام منزل جينا لاحظ سيارتها الصغيرة المركونة هناك. سألها بلطف: «أواثقة أنت أن هذه السيارة ماتزال تتسع لك؟ لست واثقاً إذا كانت قيادة السيارة وهي مكدسة بالأغراض على هذا الشكل مسألة آمنة».

ردت جينا على الفور: «بالطبع هي كذلك».

- يفترض أن تكوني قادرة على الرؤية من خلال النافذة الخلفية للسيارة.

- أنا بحاجة إلى نقل أغراضي إلى لندن. أليس كذلك؟

اقترح هاري بنبرة عادية: «ما رأيك لو أخذت لك أنا بعض الأغراض إلى لندن؟».

حدقت جينا به وهي تشعر بالصدمة كلياً. قالت: «أنت؟ لا! لا، أنا

على ما يرام».

إن آخر شيء ترغب به هو أن تبدأ حياتها الجديدة وهاري يسير على بعد خطوة أو اثنين وراءها. تابعت: «عرض علي الكثيرون المساعدة، لكنني أفضل أن أقوم بالأمر بنفسي».

بدت النبرة الغريبة في خلفية صوت هاري وهو يقول: «الكثيرون؟».

- والدي، شقيقاتي...

- صحيح.

بعد برهة من الصمت سألها ببطء: «هل تمانعين لو طرحت عليك سؤالاً ذا طابع شخصي؟».

أحست جينا برفرفة في معدتها، فقالت بحذر: «لا. ما هو سؤالك؟».

- هذا الرجل الذي كنت تواعدينه... هل انتقالك إلى لندن هو نهاية حتمية لعلاقتك به؟ ما أعنيه هو...

توقف هاري مجدداً، فتفقد جانبي الطريق قبل أن يخرج إلى الشارع الرئيسي، ثم تابع: «... هل هنالك احتمال أن يتمكن من التسلل عائداً إلى حياتك، إذا ما جاء إليك متوسلاً؟».

قالت جينا بصوت خافت: «لن يفعل ذلك».

ألح هاري متابعاً: «لنفترض أنه فعل. اسمعي! ما أسألك إياه هو هل تردين فعلاً السير قدماً بحياتك، فتبدأين بالمواعدة من جديد؟».

أدركت جينا أن عينيها اتسعتا، لذلك رطبت شفتيها وهي تشعر بالتوتر لأن كل خلية عصبية في جسدها راحت تنبض متحمسة. لماذا تراه دوماً يترك هذا التأثير الجسدي عليها؟ ذلك أمر لا يساعدها. ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تجيب: «لست أدري».

أدركت ما معنى أن يقفز قلبها نحو حلقها عندما انحرف هاري بالسيارة عن الطريق العام نحو طريق فرعي حيث توقف على الفسحة المكسوة بالعشب الأخضر. بدت عيناه غامقتين جداً حتى كاد لونهما يقارب الأسود عندما استدار نحو جينا ليقول لها بصوت عميق: «لا يفترض بذاك الرجل أن يبقى

مسيطراً على حياتك جينا. بغض النظر عما تظنينه الآن. يمكنني أن أبرهن لك ذلك».

سيطر الذهول على جينا عندما أحنى هاري رأسه ومرر إحدى ذراعيه حول كتفيها وعانقها. بدا عناقه عميقاً دافئاً، أرسل الحرارة في أوصالها فأحست أنها عديمة الحيلة. ألقت يديها على صدره فغمرها دفء رائحته العطرة، بينما أحست بضربات قلبه النابضة بقوة تحت أناملها. عانقها بشغف إلى أن اختفى الماضي والحاضر، ولم يعد هناك غيرهما.

عندما أفلتها هاري وانسحب إلى الوراء لم تقوَ جينا على التحرك أو التكلم للحظة، بينما راحت كل ذرة من جسدها تقاوم لاسترداد السيطرة على رباطة جأشها. راقبته وهو يمرر يده في شعره قبل أن يقول: «أود أن نبدأ بمواعدة بعضنا جينا. يمكننا أن نأخذ الأمور بروية قدر ما تريدين، لكن لا تستطيعين أن تنكري أن هنالك شيئاً ما يدور بيننا».

استنشقت جينا نفساً متقطعاً. هاري لا يلمسها الآن، لذا يجدر بها أن تستعيد تركيزها. حدقت به محاولة استيعاب ما حصل للتو، والأهم من ذلك ما قاله للتو. شيء ما يدور بيننا؟! ما الذي يعنيه بذلك؟ أيعني الانجذاب الحسي الذي يفوق كل ما حلمت به يوماً؟ لو أن هذه المقاربة حصلت عندما جاء هاري إلى الشركة لربما تمكنت جينا حينها أن تقنع نفسها بأنه سيتعلم أن يحبها مع مرور الوقت. لكن هذا ليس فيلماً سينمائياً رومنسياً حيث يدرك الشاب فجأة أن ما رغب به طيلة حياته موجود أمامه مباشرة ومع الفتاة التي تسكن بالقرب منه. إنها الحياة الواقعية، وهذا هاري. لعله قرر أن يسمح لأربعة جراء صغيرة بالدخول إلى حياته، لكن ذلك لا يشمل النهايات السعيدة والحب الأبدي، فهو رجل يتجنب الارتباطات كما لو أنها مرض الطاعون.

قالت جينا ببطء: «أنا ذاهبة إلى لندن هاري. لا أظن أن خروجنا سوياً أمر ممكن».

كان هاري ما يزال يلقي إحدى ذراعيه على ظهر مقعد جينا، وعندما

تحرك بخفة سجل كل جزء من جسدها هذا التحرك: «لست أرى مانعاً في ذلك. إنها ليست نهاية العالم».

أدركت جينا أن خديها يشتعلان بالنيران، لكنها مع ذلك اندفعت تسأله: «لكن... لماذا الآن؟ أعني نحن نعرف بعضنا منذ مدة تزيد عن الإثني عشر شهراً، وأنت لم...».

توقفت عن الكلام ثم أنهت كلامها بغرابة: «... لم تدعني أبداً للخروج في موعد معك».

راقبها هاري من تحت أهدابه شبه المغمضتين، ثم قال: «لعلني لا أؤمن بالدمج بين العمل والمتعة».

المتعة! حذرت جينا نفسها كي لا تضطرب وتتلعثم، فقالت بهدوء: «أنا آسفة، لكنني لا أصدق ذلك. كن صادقاً معي. أنت لم تلحظ وجودي من قبل. لذا أسألك مجدداً، لماذا الآن؟».

درست جينا ملامح وجه هاري محاولة إيجاد دليل في وجهه المنحوت بدقة عن حقيقة شعوره.

ابتسم هاري، لكن هذه المرة لم تصل ابتسامته إلى عينيه، وقال: «أنت مخطئة جينا. أنا لاحظتك منذ أول لحظة في أول صباح التقينا فيه».

لم تقوَ جينا على التفوه بأي شيء، فقد صعقها اعترافه هذا. فكرت بأيام وليالي الأرق والعذاب التي تحملتها وهي تفكر بأن هاري لا يمكن أبداً أن يراها كامرأة جذابة ومرغوبة. لكن هاري عاد وتكلم مجدداً، إذ قال بغموض: «أما السبب الذي منعني من دعوتك للخروج برفقتي فهو ذلك العناق».

حدقت جينا به مرتبكة وقالت: «لست أفهم».

أصبحت عينا هاري الحادتي النظرات مشدودتين ومركزتين على وجه جينا وهو يقول لها: «علمت أننا لو خرجنا سوياً فذلك سوف يعني شيئاً ما».

قامت جينا بمجهود كبير حتى تصفي ذهنها الذي راح يدور في دوامة.

هذا هو على الأرجح الحديث الأكثر أهمية الذي تجريه في حياتها، لذا يجدر بها أن تحافظ على هدوئها وتركيزها. فقالت: «وذلك ليس أمراً جيداً بنظرك. أليس كذلك؟».

ردّ هاري وهو يلوي شفتيه بطريقة تهكمية: «آه! نعم... في ذلك الحين لم أكن مستعداً بعد. كنت بحاجة إلى تسوية بعض الأمور في رأسي. لكن تغيرت الظروف الآن... أنا تغيرت. وعندما قلت إن علاقتك الغرامية مع رجل آخر انتهت...».

فجأة، فهمت جينا قصده بقوة صاعقة بدا وقعها كالضربة على صدرها. هاري يظن أنها مغرمة بشخص آخر وهي مضطرة إلى مغادرة يوركشاير حتى تنساه. ستنتقل للإقامة في لندن لبعض الوقت حيث ستعود وتنهض على قدميها. هاري معجب بها من جهته، لكنه لا يرغب بأي تورط أو تعقيدات في العلاقة، لذلك لم يقم بأي خطوة باتجاهها. أما الآن فالأمر برمته صار مختلفاً. لذا هو يرغب في علاقة غرامية عن بعد، وهو يشعر بالأمان لمعرفته أنها مغرمة بشخص سواه، فبهذا الشكل يمكنه أن يمر بها في لندن ساعة يشاء لأجل الحصول على بعض التسلية. ربما يقنع نفسه أنه بذلك يسديها خدمة، فهي مجرد فتاة ريفية مسكينة تشعر بالوحدة في تلك المدينة الكبيرة.

استنشقت جينا نفساً عميقاً وتكلمت برباطة جأش انبعثت من غضبها الشديد الصامت. قالت: «دعني أفهم الأمر بوضوح. أنت تقترح أن نبدأ بمواعدة بعضنا بالرغم من أنني ساكون في لندن وأنت هنا. أهذا صحيح؟».

أومأ هاري برأسه وقال: «الطرقات السريعة ساهمت في اختصار المسافات هذه الأيام».

قالت جينا: «ما مدى تكرار هذه... المواعيد الغرامية؟».

رد هاري بهدوء: «ذلك مناط بك أنت. بما أنك ترغبين في الابتعاد من هنا، فأنا مستعد للقدوم إليك».

يا للشهامة وكرم النفس! بهذا الشكل ستكون الكرة دائماً في ملعبه. ما إن يجد أنها أصبحت متعلقة به بصورة زائدة في وقت ما حتى يقوم باختصار عدد

زياراته لها. في الماضي تساءلت جينا إذا ما كان الحب والكراهية شعورين متساويين، أما الآن فهي تعرف أنهما كذلك. فكرت أن تصرخ في وجهه فتقول له إنه أكثر الرجال أنانية وافتقاراً إلى الاحساس والمشاعر منذ بدء الخلق، وإنها تفضل الموت على أن تصير أداة تسلية له خلال عطلات نهاية الأسبوع. لكنها تمكنت طيلة الفترة الماضية من إخفاء مشاعرها من دون أن تفقد عزة نفسها، ومن دون أن يحزر هاري حقيقة حبها له، والآن لم يبق أمامها إلا القليل. استدارت جينا ونظرت عبر نافذتها الجانبية في السيارة فيما قاومت بجهد للتحكم بنفسها. بعد قليل استدارت نحوه وهي تقوس أحد حاجبيها فيما أبقت نبرة صوتها محببة وهي تقول: «أنا آسفة هاري، لكن الأمر لن ينجح».

- أنا لا أوافقك الرأي.

أراهن على أنك لا توافق! حاولت جينا أن تتجاهل عرض كتفي هاري، وشكل تقلص فكه الرجولي الصلب، فتلك إشارة يستخدمها دوماً للدلالة على أنه غير مستعد لتقبل الرفض. أجبرت نفسها على الابتسام مع أن الأمر كاد يقتلها، فقالت له مجدداً: «أنا آسفة، لكن الأمر لن ينجح بالنسبة إلي».

- أبسبب ذلك الرجل؟

استشعرت جينا الكثير من المشاعر الشنيعة التي تدور خلف وجهه الخالي من التعابير بالرغم من أن وجهه بدا غامضاً ولا يعبر عما يجول في خاطره. أتراه الشعور بالمقت لأنها لم تركع على قدميها لتشكره على عرضه السخي الكريم؟ أتراه شعر بالإهانة واستاء من حبيبها الخيالي الذي تغلب عليه؟ أتراه يشعر بالانزعاج لأنها لا ترى المنطق في هذا الترتيب العقلاني؟ أمالت جينا رأسها وقالت: «جزئياً بسبب ذاك الرجل نعم. أخشى أنني لست من ذلك الصنف من الفتيات اللواتي يقمن علاقة مع رجل فيما ذهنهن منشغل برجل آخر».

في الواقع فكرت جينا بأن الإهانة التي أوحت له بها ستكون كافية لجعله

يتراجع، لكن عناد هاري بدا أقوى من ذلك إذ قال: «لم أتخيل أبداً أنك كذلك. إن مدى وسرعة تطور علاقتنا سوف يكون مناطاً بك بالكامل. على العكس مما يبدو أنك تعتقدينه، أنا قادر على دعوة امرأة ما إلى العشاء وتمضية أمسية مسلية برفقتها من دون أن ألح على انتهاء الأمسية بيننا في السرير».

فكرت جينا أنها لن تكون قادرة على مقاومته منذ الموعد الأول، دعك من الموعد الثاني وما بعده. تساءلت إلى أين سيؤدي بها الأمر لو وافقت. أتراها ستبدأ بعدّ الساعات حتى يتصل مرة ثانية أويأتي لرؤيتها مجدداً؟ أتراها ستدفع بنفسها إلى الجنون وهي تتخيله برفقة امرأة غيرها عندما يكون بعيداً عنها؟ خلال السنة الماضية أدركت أنها تواجه خطر أن تتحول إلى شخص لا تحب أن تكون عليه بسبب شعورها تجاهه. هزت كتفيها بحذر وقالت: «أظن أن الفكرة الأساسية هي أنني لا أرغب بأي علاقات تربطني بيوركشاير، هاري. الأمر بهذه البساطة فقط. أنا أريد... بل أنا بحاجة لأن يكون رحيلي خالياً من أي ارتباطات».

شعرت بالرعب عندما سمعت نشيجاً علق بآخر كلمات قالتها، وأملت ألا يكون قد هاري سمعه أيضاً. لكن يبدو أن ذلك ما حصل إذ قال لها بصوت أبح: «أنا لم أرغب بإزعاجك جينا».

إزعاجي؟! لقد سلبت مني قلبي ولا يمكنني أن أسترده لأحب أي شخص سواك! هزت جينا رأسها وهي مغمضة العينين وقالت: «لم تزعجني. أنا بخير».

- يمكنني أن ألوي له عنقه.

رفع هاري إحدى يديه فتتبع حدود فكها بينما عصفت عيناه بأحاسيس لم تقدر جينا على تسميتها. للحظة لم تفهم ما قصده، ثم تنهدت وقد أحست أن بشرتها تحرقها حيث لمسها. كيف تراهما وصلا إلى هنا؟ في مثل هذا الوقت من الأسبوع الماضي كانت جينا لتظن أن أحداث الثماني والأربعين ساعة الأخيرة هي غير معقولة، بالرغم من ذلك فهي حصلت. زارت منزل

هاري، ونامت فيه. حتى إن الفرصة تسنت لها للتعرف إليه بشكل أفضل، والآن هذا... هذا العرض المرعب الخاطف للأنفاس.

حدقت بهاري وبدأت شفتاها بتكوين الكلمات التي سوف تأخذها إلى درب أقسمت منذ دقائق فقط إنها لن تقصده. في تلك اللحظة تكلم هاري فقطع حبل أفكارها حين قال: «أنت بحاجة لأن تأكلي. اللعنة! أنا بحاجة لأن آكل أيضاً».

ثم أدار وجهه بعيداً عنها وشغل محرك السيارة في اللحظة نفسها.

أحست جينا بالهلع التام الصافي لأنها ضيعت اللحظة. أحست كما لو أن دقات قلبها وصلت إلى حلقها. شعرت بالغضب وقلة الحيلة فضلاً عن مئة شعور آخر اعتراها. في ذاك الوقت التفت هاري بالسيارة ليعود إلى الطريق الرئيسي مجدداً. بعد مرور لحظات نظرت إليه بطرف عينها، فلاحظت خطوط التوتر المشدودة واضحة من فمه العابس، أما ملامح وجهه الصارم فبدت كأنها منحوتة بالصخر. أطبقت يديها سوياً في حضنها وقالت بصوت ضعيف: «أنا آسفة هاري».

- إن تقديم الاعتذار ثلاث مرات في فترة لا تزيد عن عدة دقائق هو شيء زائد عن الحد بين الأصدقاء.

نظر هاري نحوها للحظة سريعة خاطفة لكن ملامح وجهه القاسية كانت قد لانت. قال متابعاً: «فضلاً عن ذلك، ليس هنالك ما تأسفين بخصوصه. الوقت مازال مبكراً جداً، كان يجدر بي أن أدرك ذلك. اللعنة! حتى إنك لم تغادري بعد».

اسألني مجدداً وسوف أبقى! لا تكن متفهماً ومقدراً لمشاعري...

- سوف نتناول الفطور، ثم أعيدك إلى المنزل حتى تهتمي بتفاصيل الدقائق الأخيرة قبل مغادرتك، اتفقنا؟

أومأت جينا برأسها وهي غارقة في البؤس. ما هي إلا لحظة حتى فاجأها هاري حين مد يده وتناول إحدى يديها فأمسكها بإحكام شديد وقال: «لا تبدي بهذا المظهر المأساوي. ذلك لم يكن هدفي من السؤال،

صدقي ذلك أم لا . قد يكون قولي هذا غير شهم نوعاً ما لكنني عادة لا أترك هذا التأثير القوي في النساء» .

لاشك أن هاري أراد التخفيف من حدة هذه اللحظة، لكن ذلك ضاعف ألم جينا، بالإضافة إلى إحساسها بلمسة بشرته الدافئة الممسكة بيدها .

حسناً! غالبية النساء قد يعتبرنها مجنونة، لكن لابد أن هنالك من يفهم أسبابها . إنها تحبه بشدة لا تسمح لها بالمساومة والتنازل . الأمر فعلاً بهذه البساطة، وذلك شيء مقيت إذ سوف ينتهي بها الأمر من دون أن تحصل على أي شيء . أحست جينا أن ذهنها يشبه رقاص الساعة، إذ راح يتأرجح من الجانب إلى الآخر . لم يمسك هاري بيدها إلّا للحظة أو اثنتين، لكن الاحساس به بقي لفترة أطول بكثير . كان جسد جينا مازال يحرقها عندما أوقف هاري السيارة خارج مبنى قديم محاط بالأشجار . نظرت جينا نحو المبنى ذي الطابق الواحد المصنوع أغلبه من الخشب، فيما توزعت بعض الكراسي والطاولات بشكل عشوائي خارجه .

- أخبرتك أن هذا المكان ليس أنيقاً .

قال هاري ذلك وهو يبتسم، وقد أمال فمه في التواء جذاب أرسل الرعشة في داخلها .

- أظنك استخدمت عبارة مطعم غير مشهور .

- آه! نعم . حسناً! تعالي لنرى . ما رأيك؟ بالمناسبة لسنا مضطرين إلى تناول الطعام في الخارج، فهنالك متسع من المكان في الداخل .

أحست جينا ببعض القلق وهما يسيران متجهين نحو المقهى . وعلى الفور لاحظت أن كل شيء في المكان يكاد يتداعى بسبب قدمه وبلائه، بالرغم من أنه بدا نظيفاً جداً وخالياً من أي بقع . على الفور رحب بهاري رجل قصير القامة ذو وجه تغطيه التجاعيد بكثافة، وذو شعر رمادي يثير الفزع . فقال: «هاري! يا لك من محظوظ! وصلتني هذا الصباح طلبية جيدة من حلوى البودينغ الأسود» .

قادها هاري نحو طاولة لشخصين في زاوية المطعم، نادى الرجل قائلاً : «عظيم ميك! هلّا أحضرت لنا كوبين من الشاي ريثما ننظر إلى قائمة الطعام؟» .

- اعتبر الأمر منتهياً .

جلست جينا على كرسيها وحاولت ألا تنظر إلى الزبائن المتنوعين الذين يعج بهم المكان، إذ بدت معظم الطاولات مشغولة . وبالرغم من وجود الكثير من الرواد العاديين إلّا أن المكان حفل بآخرين لا يقعون مطلقاً ضمن هذا التصنيف . رأت رجلاً تغطيه الأوشام من رأسه حتى أخمص قدميه، بحيث رسم على أنفه المشبوك بحلقة صورة صقر امتد جناحاه على خديه، لاحظ هاري إلى أين تنظر، فغمغم قائلاً : «أحياناً يحظى ميك ببعض الزبائن الغريبي الأطوار» .

كان ميك قد وصل إلى جانب جينا وهاري قبل أن تتمكن جينا من الرد، وقد انشق وجهه الممتلئ الخدين عن ابتسامة عريضة . وضع كوبين ضخمين من الشاي الساخن على الطاولة فيما راح ينظر إلى جينا طيلة الوقت .

- ألن تعرفنا إلى بعضنا، هاري؟

- ميك، جينا . جينا، ميك!

أومأ ميك برأسه فقال: «يسرني لقاؤك جينا» .

ابتسمت جينا وبدا لها هذا الرجل الصغير المضحك محبباً جداً، فقالت: «وأنا أيضاً ميك» .

سأل ميك بنبرة مرحة : «إذاً هاري سوف يدعوك إلى تناول أحد أطباق الفطور الجالبة للحظ التي أقوم بإعدادها؛ البيض، اللحم المقدد، النقانق، البودينغ الأسود والفطر، بالإضافة إلى بعض قطع الخبز المحمص» .

تمهل ميك وهو يبدي فخره بنفسه فيما راقب جينا بعينيه السوداوين المشرقتين . أحست جينا كما لو أنه يتفحصها جيداً، فقالت: «يبدو ذلك رائعاً» .

استدار ميك نحو هاري موافقاً : «أنا معجب بها . يسرني أنك أخيراً

وجدت لنفسك امرأة جيدة».

ركز ميك على جينا مجدداً وأضاف قائلاً: «أنا ألح عليه باستمرار، منذ أول مرة وطئت قدمه عتبة هذا المكان، بأن يجد لنفسه حبيبة صغيرة لطيفة تلائمه».

رمشت جينا بعينيها، لكن الوميض الذي بدا في عيني ميك الشبيهتين بحبات الخرز جردها من دفاعاتها. مع ذلك ردت مبتسمة: «كيف لك أن تعلم أنني حبيبة صغيرة لطيفة؟ لعل هاري يفضل الصنف الآخر من النساء».

هز ميك رأسه: «لا! إنه ليس بهذا السخف الذي يبدو عليه. إنه يعلم ما يفضله».

بدا صوت هاري جافاً وهو يقول: «عندما تنتهيان أنتما الاثنان من حديثكما...».

مشى ميك بسرعة مبتعداً وهو يبدو مسروراً.

أخذت جينا رشفة من الشاي، ثم رفعت نظرها لترى هاري يراقبها متفكراً، وقد بدات عيناه السوداوان جديتين، فقالت بتوتر: «ماذا؟».

غمغم هاري بصوت دافئ يدل على موافقته قائلاً: «هل هنالك أي شخص أو أي شيء لا يمكنك التعامل معه بذكاء؟».

تساءلت ما تكون عليه ردة فعل هاري لو أنها أقرت له بأن الجواب عن سؤاله يجلس أمامها مباشرة. قالت به بخفة: «أنا امرأة عصرية. ألم تكن تعلم ذلك؟ بمقدورنا نحن النساء أن نتولى أمر أي مشكلة تعترض دربنا، بعكس الصنف الذكوري».

قررت منذ دقائق قليلة أن الأسلوب الوحيد الذي سيمكنها من التعاطي مع هاري، هو عن طريق إبقاء الأمور على مستوى المرح والمزاح.

ابتسم لها هاري، فأحست أن قلبها يذوب في صدرها. سألها بتكاسل: «أتعنين ذاك القول القديم بأن الرجال غير قادرين على القيام بعملين في الوقت نفسه في حين أن النساء العاملات تحدثن المعجزات؟».

- حتماً.

لم تقو على منع ضربات قلبها من التسارع قليلاً أو أنفاسها من أن تعلق في حلقها. بدا هاري شديد الجاذبية وهو جالس هناك، لم تقو جينا على مقاومة رغبتها في طرح السؤال، بالرغم من معرفتها أنه لا يجدر بها أن تفعل ذلك، فقالت: «ما الذي قصده ميك بخصوص إيجادك امرأة ملائمة أخيراً؟ لطالما كانت لديك صديقات حميمات منذ عودتك إلى إنكلترا».

هز هاري كتفيه وقال: «لسن صديقات حميمات قد أختار أن أتناول الفطور معهن».

توقف قليلاً عن الكلام ثم أضاف: «أو آخذ أياً منهن إلى منزلي أيضاً».

حذرت نفسها بأن ما قاله لا يعني شيئاً، فغمغمت قائلة: «أبسبب مشكلتك في الارتباط والتورط؟».

راح هاري يحدق بجينا وقد بدت أحاسيسه بوضوح في نظراته. ابتلعت جينا ريقها، فيما أشاحت بنظرها بعيداً عنه. إنها غارقة في حبه حتى أذنيها ومن السهل جداً أن تتصور أن أحلامها تتحقق في ما تراه وتسمعه. لكن عندما كانا في السيارة منذ قليل، لم يذكر هاري أي شيء يتعلق بالارتباط، ولم يلمح حتى بأنه ينظر إليها على نحو مختلف عن الأخريات جميعاً، تكلمت جينا وهي تركز نظرها إلى كوب الشاي، فقالت: «أنت اصطحبتني أنا إلى منزلك».

- نعم، فعلت ذلك.

سمعت جينا ذاك الصوت الصغير في أعماقها يحثها على المتابعة، فقالت: «ألأننا صديقان؟».

- إذا كنت تسألينني عما إذا كنا فقط صديقين فأظن أن كلينا يعلم أن ذلك ليس صحيحاً. أنا أقدر صداقتك جينا ولطالما فعلت ذلك، لكنني دوماً شعرت بالمزيد. شعرت بانجذاب نحوك منذ اللحظة الأولى التي وقعت فيها عيناي عليك.

نظرت جينا إلى هاري بشكل مباشر آملة أن يبدو وجهها خالياً من

التعابير كما تحتاجه أن يكون فقالت: «أتعني انجذاباً جسدياً؟».

- شعرت بانجذاب جسدي فوري، نعم. أنا رجل ولا يمكنني منع نفسي عن ذلك. ثم...

تمهل هاري قليلاً ثم تابع يقول: «... تعرفت عليك أكثر».

رفعت جينا كوبها بحركة بطيئة مدروسة، وأخذت عدة رشفات من الشاي الساخن الحارق. حذرت نفسها بأن تبقى هادئة فقالت: «أنا مرتبكة هاري. إذا كان الأمر كذلك، فلِمَ الآن؟».

فكرت جينا بعد أن دق قلبها مجدداً أتراه علم أن جسدها بأكمله قد تجمد فيما انتظرت جوابه؟

اقترح هاري برقة: «ربما لأن الوقت حان لذلك».

ذلك ليس جواباً. أيقول إنه في المستقبل ينوي أن يسمح لصديقاته الحميمات بالتدخل أكثر في حياته؟ سألته بخفة: «إذاً هل بدأت بتبني أربعة جراء صغيرة لكنك تأمل بالتقدم نحو أمور أكثر أهمية؟ شيء من هذا النوع؟».

رد هاري بالابتسام. انحنى إلى الأمام في كرسيه وقد بدت ملامح وجهه فجأة جادة، فقال: «لا أرى الأمر بهذا الشكل تماماً. الأمر هو، جينا...».

- هذان طبقان جالبان للحظ السعيد، والخبز المحمص سيصل قريباً.

لم يلاحظ أي منهما دنو ميك منهما، فكان بمقدور جينا في تلك اللحظة بالذات أن تركل ذلك الرجل الصغير البشوش. عوضاً عن ذلك أجبرت نفسها على الابتسام بلباقة، فيما وضع الرجل أمامها طبقاً مملوءاً بالطعام، ووضع الطبق الآخر أمام هاري. كيف تراها ستأكل أي لقمة من الطعام فيما تقوم معدتها بتقلبات جنونية، وقلبها ينبض بشكل يهدد بالخطر؟

حالما انطلق ميك مسرعاً، قالت جينا: «ماذا كنت تقول؟».

حدق هاري بجينا للحظة، فقال: «لا يهم».

فتحت جينا فمها لتسأله عما يعنيه وفي اللحظة نفسها قال ميك: «ها هو

الخبز المحمص. مزيد من الشاي لأي منكما؟».

ارحل من هنا! لكن جينا قالت بنبرة مشرقة: «لا، شكراً».

أما هاري فهز رأسه نفياً.

من الواضح أن ميك ليس أكثر الناس حساسية لأنه في اللحظة التالية تناول لنفسه كرسياً من طاولة أخرى فجلس بالقرب من هاري وقال بصوت منخفض: «أتذكر مشروع العمل الذي نصحتني أن آخذه بعين الاعتبار؟ قررت أن أطبقه».

أمال هاري رأسه وقال: «جيد».

- أعني... كما قلت لي، أنا لست بالضرورة ملزماً بأي شيء. ألست كذلك؟ ونظراً إلى تكدس الأرباح، أظنه الوقت المناسب للبدء. كيف عساي أنطلق بالمشروع؟

تنهدت جينا داخلياً. هذه هي نهاية الحديث الحميم. الآن يجدر بها أن تقوم بمحاولة لتأكل هذا الفطور الهائل، في حين أن جل ما ترغب بفعله هو أن تبدأ بالبكاء: في ذلك الحين راجعت رأيها السابق فقررت أنها غير معجبة بميك على الإطلاق!

٩ - الوداع الأخير

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة والنصف عندما أوقف هاري السيارة أمام شقة جينا، في وقت لاحق من ذاك الصباح. عندما غادر ميك طاولتهما بعد بضع دقائق أصبح الحديث بينهما خفيفاً. بدا لها كأن هاري حرص على ذلك، فيما أقر أن مقاطعة ميك لهما كانت مزعجة.

ما الذي يفعله هناك؟ سأل هاري نفسه ذلك فيما نظر إلى وجه جينا المنكسر. ذلك هو الشيء الوحيد الذي وعد نفسه بألا يفعله. عندما اقترح عليها تناول الفطور في وقت سابق، تلك كانت فكرة سيئة أيضاً. اللعنة! هذا الأمر بأسره فكرة سيئة. كان يجدر به أن يختصر مقدار خسارته عندما اكتشف وجود ذاك الرجل الآخر. تعذيب النفس ليس من شيمه على الإطلاق. أما معانقة جينا... أنّ هاري في سره. إنها أكثر الأخطاء على الإطلاق. أحس بسهم خارق من الإذلال يخترقه بسبب حساسيته وضعفه تجاه جينا. إنها تستطيع أسره بنظرة واحدة من عينيها الزرقاوين، وذلك ليس أمراً جيداً.

أطفأ هاري المحرك ومدّد رجليه على قدر ما استطاع في فيما قال: «أنا أشعر بالامتلاء. الفطور الذي يعدّه ميك يجعلني أشعر أنني بحاجة إلى زيارة النادي الرياضي حتى أخلص جسمي من هذه الدهون».

ثم أردف مستفسراً: «هل قلت إن تسليم شقتك سيتم عند الساعة الحادية عشرة؟».

أومأت جينا برأسها إيجاباً، فلامست خدها خصلة من الشعر أفلتت من شعرها المربوط على شكل ذيل الحصان في قمة رأسها. تساءل هاري كيف

يمكن لشيء بهذه البساطة أن يسبب له الارتعاش في جسده. بالرغم من ذلك فالأمر ليس بسيطاً. جينا ليست شخصاً يسهل الوصول إليه فهي ناعمة ورقيقة لكنها تملك قدرة على الدفاع عن النفس وهي محصنة خلف درع من الصلب يحميها عندما يتعلق الأمر بالجنس الآخر. ذلك كله بسبب ذلك الوغد الذي خذلها. تصوّر أنه يعرفها حق المعرفة، نظراً إلى أنه عمل إلى جانبها خلال كل أيام الأسبوع طيلة اثني عشر شهراً.

- هل تحتاجين إلى مساعدة بأي شيء؟

سمع هاري نفسه يقدم عرضه بالمساعدة فساوره إحساس بالصدمة لما قاله. فهو كان ينوي أن يودع جينا بسرعة وسلاسة ثم ينسحب.

هزت جينا رأسها نفياً وقالت: «لا. أنا بخير».

- لا أظنك بخير، جينا. وأنا آسف لأن الأمور سارت على هذا النحو.

انحنى هاري إلى الأمام رغماً عنه فقربها منه ليضمها في عناق لطيف سريع، وقد استجمع كل ذرة من قوة إرادته لينسحب إلى الوراء في اللحظة التالية.

- على هذا النحو... ماذا تعني؟

شعر بالصدمة للحظة بسبب النظرة المرتسمة على وجهها، فقال: «اضطرارك إلى المغادرة بسبب هذا الرجل».

حسناً! لن يطلب منها عنوانها مجدداً. أما إن أعطته إياه بنفسها فربما سيحظى بفرصة معها. خرجت جينا من السيارة. وسرعان ما انضمّ إليها هاري وبدت ابتسامته أفضل فيما قال لها: «أظن أنه الوداع، إذاً. أمر مؤسف، فدايزي وفريق الجراء تحب رؤيتك».

همست من دون أن ترفع بصرها قائلة: «لا بد أنها كذلك».

بدت جينا صغيرة وضعيفة جداً وتفتقر إلى الحماية، فأحس هاري أن أحشاءه تتقلص بشدة بسبب المجهود الذي بذله كي لا يضمها بين ذراعيه. تساءل كيف يمكن لامرأة ذات جسم صغير أن تكون رائعة مذهلة إلى هذا الحد، وكيف تمكن أن يكون بمثل هذا الغباء طيلة الفترة الماضية. منذ أن

التقى بجينا أخذ شعور غير مستقر ينمو ببطء في داخله، وكلما حاول أن يتجاهل ذاك الشعور، كلما ألح عليه أكثر، لكنه بالرغم من ذلك بقي عنيداً لعيناً متجاهلاً ما يجري في داخله. هل سيسمح لجينا أن تخرج من حياته لأنه فخور جداً بنفسه وذلك لا يسمح له بالاصرار والالحاح حيث لا يُرغب به؟ أم هل تراه سيجعلها ترغب به؟

ردَّ هاري موافقاً بنعومة فيما حافظ على نبرة صوت ثابتة: «نعم. أنا أستطيع الاهتمام بدايزي وبقية الجراء لكنني رجل قديم الطراز، وكما تعلمين: الرجل يؤدي دور التأديب وفرض النظام، أما المرأة فتخرب ذلك بتدليل الأطفال حتى تفسدهم».

رفعت جينا بصرها نحوه وقد ارتسمت ابتسامة صغيرة على وجهها، مع ذلك لاحظ هاري أن شفتيها ترتعشان. قالت: «كل النساء اللواتي أعرفهنَّ قد يطلقن عليك لقب الرجل الوغد المغالي في الصفات الرجولية بسبب هذه الملاحظة».

هز هاري كتفيه مبتسماً وقال: «أنا لم أقل أبداً إنني كامل. لكن... أنت تعرفين ذلك».

- نعم. أنا أعرف ذلك.

- ولأنني رجل أناني جداً، فأنا لا أرغب بقطع تواصلي مع المرأة الوحيدة التي يمكنني أن أتحدث معها. أنا أعني ذلك، جينا.

مدّ هاري يده فأمسك ذقنها بيده مستمتعاً بملمس بشرتها الناعمة. لاحظ نظرة غريبة في عينيها، فتساءل للحظة إن كانت تجد لمسته منفرة. لكنه تذكر على الفور أنها تجاوبت مع عناقه.

- أعلم أنك ترغبين بقطع العلاقات التي تربطك بحياتك القديمة، لكن واجهي الوقائع. والداك يعيشان هنا وكذلك شقيقاتك وأصدقاؤك. الأمر ليس بهذه البساطة. سوف يمرّون جميعاً لزيارتك من حين إلى آخر، وسوف تزورينهم أنت بدورك. أنا أصر على أن تضيفيني إلى قائمتك. اتفقنا؟

تراجعت جينا خطوة إلى الوراء، فأسقط هاري يده. قالت له: «لا

أظنها فكرة جيدة، هاري».

رفع هاري يديه قائلاً: «أنا لا أوافقك الرأي. حسناً! ربما خرجت عن طوري قليلاً باقتراحي قبل قليل، لكن ليس هنالك ما يمنعنا من أن نبقى صديقين».

بدت تنهيدة جينا أشبه بالارتعادة. أبعدت خصلة من شعرها الأحمر الحريري إلى خلف أذنها وأطلقت ما يشبه الضحكة المتوترة، ثم قالت وهي تهز رأسها: «أنت بكل بساطة لا تتقبل الرفض. أليس كذلك؟».

ردّ هاري موافقاً: «أنا مريع في تقبل الرفض. ذلك طبعي منذ الطفولة».

حاول أن يبقي ملامح وجهه منفتحة ودودة. سألته بهدوء: «هل خطر لك يوماً أنه يمكنني أن أكون بنفس القدر من التصميم على رأيي؟».

- آه! نعم.

نظر هاري نزولاً نحو هاتين العينين الزرقاوين الجميلتين اللتين بدتا موشحتين بشكل غريب هذا الصباح. تزايد الضغط في مكان ما داخل صدره ما جعل من الصعب عليه أن يتنفس للحظة من الزمن. قال بمقدار ما استطاع من الخفة: «لكنني أظن أنك امرأة عقلانية جداً. ما من سوء لو تناولنا العشاء سوياً أو قمنا بزيارة إلى المسرح أو السينما، أو رافقتني في أخذ الكلاب بنزهة عندما تتواجدين في البلدة. ما السوء في ذلك؟».

علت ملامح جينا ابتسامة مصطنعة، وقالت بصوت مرتعش: «امرأة عقلانية جداً! النساء العقلانيات لا يسمحن لأنفسهن أن يُجرحنَ من قِبل رجال أنانيين متمحورين حول أنفسهم. أليس كذلك؟».

ذاك الوغد من جديد! استنشق نفساً عميقاً، وهز كتفيه قائلاً: «هذا يدعم ما أقوله لك. حاولتِ ولم ينجح الأمر. ذاك الرجل لم يقدّر ما لديه، وها أنت مغادرة. ذاك يبدو منطقياً بالنسبة إلي».

ساد السكون على جينا للحظة طويلة. لاحظها هاري وهي تبتلع ريقها، وما لبثت أن قالت: «هاري، أرى أنه ينبغي أن أطلعك على أمر».

ضاقت عينا هاري. مهما كان الشيء الذي تنوي قوله فلن يعجبه. عرف

ذلك من لغة جسدها، إذ ارتسم على وجهها تعبير يمكنه أن يصفه بالمهلك. أدخل يديه في جيبي سروال الجينز. شعر أن عليه أن يفعل ذلك كي يمنع نفسه من أخذها بين ذراعيه ليجبرها على الاقرار بذلك الانجذاب الموجود بينهما. حسناً! إذا لم يكن شعورها نحوه موازياً لذلك الحب الذي تشعر به تجاه ذاك المخبول فإن الانجذاب الجسدي كاف كبداية. قال بصوت هادئ: «هيا، تكلمي! أنا مصغ تماماً».

- ما أخبرتك به عن ذهابي إلى لندن صحيح...

بدأت جينا كلامها بنبرة مرتعشة لكنها توقفت لتنظر من فوق كتفي هاري قبل لحظة من سماع أحدهم ينادي اسمها. رفعت يدها رداً على الرجل، وقالت بسرعة: «إنه وكيل المبنى ومعه المالكان الجديدان. يجدر بي أن أذهب».

قبض هاري على ذراعها وقال: «ليس بعد. ما الذي كنت تنوين قوله؟».

- لا يهم.

انسحبت جينا بسرعة، أما هاري فحدق بها محبطاً. مهما كان ما أرادت قوله قاسياً لكنه علم أنه شيء مهم. قال برقة: «اللعنة! أخبريني به مهما يكن هذا الأمر، فوكيل المبنى يمكنه الانتظار».

سرعان ما اتضح أن ذاك الرجل غير قادر على الانتظار إذ وصل في اللحظة التالية إلى جانب جينا بينما ظل الزوجان الشابان واقفين على بعد بضعة ياردات. ابتسم ابتسامة بدت لهاري غير صادقة، ثم قال: «موعدنا عند الساعة الحادية عشرة، جينا. أظن أنه ليست هنالك مشكلة».

نظر هاري نحو ساعته عن قصد، ثم قال ببرود وقد تصلبت عيناه كالجليد: «ما زال أمامك عشر دقائق، وليست هنالك مشكلة سوى أنك تقاطع حديثاً مهماً جداً».

رمش الرجل بعينيه وقال: «أحقاً؟».

- ادخل أنت روبيرت. سأوافيك خلال لحظات.

أصبح وجه جينا أحمر اللون كشعرها، ما جعله يشعر بغضب أكبر تجاه وكيل المبنى. استدارت نحوه في اللحظة التي اختفى فيها الأشخاص الآخرون قائلة له: «لا يمكنني أن أصدق أنك فظ إلى هذه الدرجة».

- أشك بذلك، نظراً إلى أنك تعرفينني منذ اثني عشر شهراً.

- هذا ليس مضحكاً، هاري.

- من الذي يضحك؟

وجد هاري نفسه يحملق بها، وهو آخر شيء يود فعله. حذر نفسه بأن يتصرف بعقلانية أكبر، فقال: «بصراحة هذا الرجل تصرف بغباء تام جينا، وأنت تعلمين ذلك. إن موقفه بأسره...».

توقف فجأة عن الكلام ثم قال: «اللعنة! لماذا نهدر وقتنا بالتكلم عنه؟ ما الذي كنت ستقولينه؟».

هزت جينا رأسها باستسلام وقالت بصوت بالكاد مسموع: «أنت غير معقول! سوف يستغرق ذلك وقتاً طويلاً جداً. ربما في مرة أخرى».

استغرق هاري عدة ثوان حتى يضبط صوته ليبدو عادياً، ثم قال: «حسناً! سأنتظر ريثما تنتهين من قضية الشقة».

هزت جينا رأسها مجدداً: «لا، ليس الآن. أنا... سأتصل بك هاتفياً. اتفقنا؟».

سألها: «أهذا مشابه لوعدك أنك ستعطيني عنوانك؟ إن كان هذا هو الحال، فلدي الانطباع بأنني سأنتظر وقتاً طويلاً».

بحثت جينا في ملامح وجهه للحظة طويلة، أما هو فحاول الابقاء على ملامحه خالية من التعابير. قالت له ببطء: «لا أريد إطالة هذا الحديث أكثر، فأمامي نهار طويل مرهق وأنت لست تساعدني. أرجوك! ارحل».

أشاحت بنظرها بعيداً كما لو أنها لم تعد تتحمل النظر إليه.

- حسناً! إلى اللقاء جينا.

اكتسح هاري غضب ساخط أقوى من أي شعور أحس به من قبل حتى

خلال أسوأ حالاته مع آنا.

- إلى اللقاء.

تغير صوتها، فاختفت النبرة الباردة واستُبدلت بصوت أبح. أحس هاري بطعنة قوية من الألم في صدره. أدرك بأسى أنه غير قادر على الوصول إليها، كما أنه لم يعد قادراً على تحمل المزيد من الألم من دون أن يقول شيئاً قد يندم عليه لاحقاً. ما إن قرر أن يستدير ويسير مبتعداً حتى رفعت جينا بصرها فنظرت إليه. ساد ثقل الفراغ والهجر الصارم بينهما، فما كان بمقدور أي شيء على الأرض أن يوقف ما جرى في اللحظة التالية.

قاومت جينا في بادئ الأمر وجودها بين ذراعي هاري، لكنها لاحقاً بدأت ترتعش عندما تابع هاري عناقه الشغوف فاستشعر هو بذلك.

عانقها هاري كما رغب أن يفعل منذ بداية الصباح، فتحركت يداه صعوداً ونزولاً على ظهرها فيما قربها بقوة من جسده الصلب الطويل. أحس برقتها ونعومتها الفطرية، أحس بدفء عطرها اللطيف على بشرتها الحريرية، وبارتعاش جسمها تحت لمسات يديه. تدافع الشغف في داخله كاللهب الذي يمتد بسرعة فيجرف كل شيء معلناً عن لهفة حامية جداً لا يقدر على مقاومتها. بدت جينا حلوة رقيقة ومتجاوبة معه. وأدرك أنها تتجاوب معه بكل حواسها. ما دام الانجذاب الحسي موجوداً بينهما بقوة، فهو سيستخدمه بقدر ما يستطيع من دون رحمة.

استخدم هاري كل خبرته في هذا المجال، فضمها إليه بمهارة. أرجعت رأسها إلى الوراء وأغمضت عينيها، بينما بقي عنقها مكشوفاً، ضعيفاً، حساساً بين يديه.

- جينا! جينا!

تنهد هاري باسمها سعيداً بالدنو منها. أحس بالذهول لأنها قادرة على التأثير به إلى هذه الدرجة. لابد أن جينا تدرك هذا الانجذاب القوي الذي يتبادله جسداهما، وتدرك أن كل عصب وكل خلية فيهما مشحونة بالشغف نحو الآخر.

في اللحظة التالية تشتت هدوء الشارع ما إن سُمِعَ هدير دراجة نارية كسرت جدار الصمت. حاول هاري التمسك بجينا على الرغم من أنه سجل الصوت في اللحظة التي قطعت بها جينا عناقهما. دفعته بعيداً عنها قائلة: «لا، هاري. أرجوك! دعني أرحل».

- جينا...!

- أنا أعني ما أقوله... أنا لا أريد هذا. لا!

أفلتها هاري عندما دفعته مجدداً، وجاء صوته أبح وهو يقول: «أترين؟ أترين كيف يمكن أن تجري الأمور بيننا؟ لا يمكنك أن تنكري أن هنالك شيئاً مميزاً بيننا، جينا. أنا أتوق إليك وأعلم أنك كذلك أيضاً. جسدك يقول لي هذا».

حدقت جينا بهاري وبدت عيناها الزرقاوان الكبيرتان واسعتين بسبب الصدمة مما حدث بينهما. قالت: «لا بد أن يكون هنالك شيء أكثر من مجرد الانجذاب الحسي بالنسبة إلي، هاري. هذا ليس كافياً، بغض النظر عن تلاؤم جسدينا سوياً».

مرر هاري يده من خلال شعره، قائلاً: «هل كان الأمر جيداً هكذا مع ذاك الرجل الآخر؟ هل استطاع أن يؤثر بك بمجرد عناق واحد؟».

تابعت جينا النظر إلى هاري وقد بدا وجهها أبيض شاحباً تحت رذاذ النمش. تراجع صوت الدراجة النارية ببطء، فسيطرت مجدداً أجواء الصباح العطرة الهادئة. أخيراً قالت: «نعم».

- هل كان الأمر أفضل فقط لأنك تظنين نفسك مغرمة به؟ صدقاً؟

مجدداً حدقت جينا به للحظات مطولة من دون أن تحرك أي عضلة. تمنى هاري لو أنه يعلم ما يدور خلف عينيها الزرقاوين. بالكاد راح يتنفس وهو ينتظر جوابها وقد تصلب صدره. قالت جينا بنعومة بالغة إلى درجة أنه بالكاد استطاع أن يسمعها: «أنا لا أظن أنني مغرمة به بل أنا أعرف أنني كذلك، وسوف أبقى كذلك دوماً. لا يمكنني أن أغير ذلك هاري ولا أرغب بتغييره. أنا لا أرغب بأن يلمسني أو يعانقني أي رجل آخر».

أحس هاري بالغثيان في داخله والتوت أحشاؤه لدى سماعه رنين الصدق في صوتها. قال لنفسه إنه تمادى في الأمر وهذا هو الجواب الذي يستحقه. لا يمكنه أن يلوم إلّا نفسه. تحول وجهه إلى قناع فارغ، وما لبث أن قال: «فهمت!».

أومأ برأسه بحركة جافة بينما بقيت عيناه مطبقتين على عينيها: «أنا آسف لأجلك، لأنه لن يتغير. الرجال أمثاله لا يتغيرون أبداً».

حملت ابتسامة جينا حزناً جماً وهي تقول: «أعلم ذلك. الوداع، هاري. آمل أن تجد ما تبحث عنه يوماً ما».

لقد فعلت! وجدت من أبحث عنه! لكن كل ما تمكن من قوله: «الوداع جينا. حظاً موفقاً».

استدارت جينا مبتعدة، فمشت نحو المنزل من دون أن تتفوه بكلمة أخرى. وقف هاري يحدق بها متسائلاً عما إذا كانت ستلتفت إلى الوراء فتلوح له مودعة عندما تفتح الباب، لكنها لم تفعل. أغلقت الباب خلفها وساد السكون.

ظل هاري واقفاً مكانه لدقيقة كاملة، وقد أحس كأن قدميه التصقتا بالأرض. قال لنفسه ببؤس إن ما عليه فعله هو نسيانها لأنه لن يراها مجدداً، فجينا تقصد ما قالته فعلاً. ارتفع صدره وهبط فيما استنشق أنفاساً عميقة محاولاً أن يجمع أفكاره المشتتة وأن ينفض عنه الندم المرير لأنه دفع الأمور إلى نهايتها الحتمية. واسى نفسه بكآبة أن هذا ما كان سيحصل في جميع الأحوال. الأمر سينتهي غداً أو في اليوم الذي يليه أو الأسبوع أو الشهر القادم، أو في أي وقت يراها فيه مجدداً، لو تسنت له فرصة رؤيتها مجدداً وهو أمر يشك به. لطالما بدت جينا مصممة على إبقاء مكان تواجدها مخفياً، أما هو فبكل بساطة لم يتقبل ما كان واضحاً أمامه منذ البداية.

حسناً! ماذا الآن؟ شغل هاري محرك السيارة، إنه غير قادر على الرجوع إلى الوراء، إلى ما كان عليه قبل أن يتعرف إليها، لاسيما بعد أن أدرك ما تعنيه له جينا بالضبط. حياة التجوال لم تعد تبدو مشوقة بالنسبة إليه، كما أنه

وعد والده بأن يعمل على تطوير الشركة فيدفع بها إلى موقع جيد لكي يتم بيعها قبل أن ينسحب هو من هذا العمل. ذلك يعني فترة من الزمن تمتد إلى سنتين أو ثلاث على الأكثر. بعدئذٍ سوف يغادر نحو أراض جديدة.

اللعنة! ضرب هاري قبضته على مقود السيارة مطلقاً شتيمة بصوت مرتفع، لكن ذلك لم يساعده. لماذا على جينا أن تكون امرأة لا تحب سوى رجلٍ واحدٍ؟ أمضى العقد الأخير من حياته مع نساء يتبنين موقفاً فلسفياً تجاه الحياة والحب، نساء يختصرن خسارتهن عندما تنتهي علاقاتهن الغرامية فينتقلن بهدوء إلى الرجل التالي. لماذا لا تستطيع جينا أن تكون واحدة منهن؟

لأنها لو فعلت لن تكون جينا، وما كان هو ليقع بحبها.

١٠ ـ لقاء على الطريق

– جينا، أكره أن أكون مملة جداً فأخبرك ما هو جلي، لكنه مساء يوم الجمعة وأنت تعيشين في مدينة كبرى. فضلاً عن ذلك، هذه هي المرة المليون التي ترفضين فيها الخروج معنا نحن الفتيات. ما الذي عليّ أن أفعله حتى أجعلك ترغبين بالاحتفال؟

ابتسمت جينا للفتاة الطويلة النحيلة الجالسة على السرير. كاندي فتاة سمراء جذابة نحيلة القوام يخفي ظاهرها الحالم المبهم حقيقة أنها في الواقع سيدة أعمال ذكية وناجحة تشغل منصباً عالياً في أحد المصارف التجارية. إنها أيضاً لطيفة غير مزيفة، وهو أمر أدركته جينا خلال أول أربع وعشرين ساعة من وجودها في لندن. وحين انفطر قلبها وانهارت تماماً فلم تعد قادرة على إخفاء بؤسها العاطفي، وجدت نفسها تطلع كاندي على كل شيء خلال عطلة نهاية الأسبوع الأولى لوجودها في لندن. أبقت أمر حبها لهاري سراً عن كل الناس في بلدتها حتى والدتها، أما كاندي فتجاوبت معها بشكل رائع. قدمت لها صديقتها الجديدة الاهتمام والتعاطف اللامحدودين، فيما أطلقت على هاري كل اسم قبيح موجود تحت الشمس. منذ ذلك الحين أخذت كاندي على عاتقها أمر إعادة جينا إلى الحياة الاجتماعية، وهي ما انفكت تحاول اصطحابها معها إلى الحفلات.

انحنت كاندي إلى الأمام، وبدت عيناها البنيتان الكبيرتان صادقتين وهي تقول: «اسمعي! مرّ على وجودك في لندن ما يزيد عن الشهرين وها هي أمسية رائعة من شهر حزيران، فالأجواء لطيفة وجميلة جداً كأنها تدعو المرء إلى الخروج من المنزل، لا تقولي لي إنك سوف تخرجين في إحدى رحلاتك

اللامتناهية سيراً على القدمين في الهواء الطلق، لأن ذلك ليس ما أعنيه».

اتسعت ابتسامة جينا وقالت: «هل أستنتج أنك لا تعنين الخروج إلى الهواء الطلق بل إلى الهواء الفاسد في النوادي الليلية؟».

حركت كاندي عينيها وقالت: «إنه نادٍ ليلي يغص بالرجال الوسيمين».

لم تقوَ جيناعلى منع نفسها من الضحك فقالت: «صحيح! أنا لا أظن ذلك، كاندي».

– لن تعرفي أبداً إذا رفضت الذهاب. يمكنك أن تشعري بالأمان برفقة عدد من الفتيات اللواتي سيخرجن معنا. فكاشي ولينداوفيكي قادمات أيضاً وكذلك لوسي وسامانثا. ليس من الجيد بالنسبة إليك أن تبقي في البيت وأنت غارقة في الكآبة طيلة الوقت.

قررت جينا أن تستخدم بعض الحزم في كلامها فقالت: «أنا لا أفعل هذا، وأنت تعلمين ذلك. لكن أجواء النادي الليلي لا تناسبني».

سألتها كاندي بنبرة تشبه النواح: «كيف تعرفين ذلك إذا لم تجربي الأمر؟».

– لا أرغب بالتعرف إلى أي شخص في الوقت الراهن.

قالت كاندي بحزم: «إذاً تعالي ببساطة وامضي وقتاً جيداً مع الفتيات. سوف نتناول الطعام أولاً، ثم نقصد ملهى. سبق أن تعرفت إليهنّ جميعاً وأحببتهن وهن أحببنك. فقط اتركي شعرك منسدلاً ولو لمرة واحدة. ارقصي وتصرفي بسخافة. أنت تعرفين كيف تقومين بذلك».

في الواقع جينا لا تعرف مطلقاً، لكن ابتسامة كاندي بدت معدية، فقالت باستسلام: «أنت لن تشعري بالرضى حتى ترينني مغشية العينين وأعاني من آثار الارهاق والسهر كما تكونين أنت صباح يوم السبت. أليس كذلك؟».

هتفت كاندي مبتهجة فقالت: «أهذا يعني نعم؟ رائع! يمكننا أن نقوم بذلك الشيء الذي تفعله الفتيات فنقرر ما سنرتديه خلال دقيقة. افتقدت إلى ذلك منذ أن تزوجت جيني».

ظلت جيني رفيقة كاندي في السكن لعدة سنوات، لكنها أخيراً قررت الزواج، وذلك أثار مقت كاندي كثيراً. فكاندي تربت مع والدتها بعد أن رحل والدها الذي هجر أمها مع طفلين وهي في الخامسة من عمرها، لذلك فهي عازمة على ألّا تتزوج أبداً.

بدأت جينا تجرب بعضاً من الملابس الموجودة في خزانتها وسرعان ما أدركت كم فقدت من الوزن خلال الأسابيع القليلة الماضية. بدا الأمر كما لو أنها اتبعت حمية غذائية ما، فالباوندات الزائدة ذابت بفضل أيام العمل المحمومة والأمسيات التي لم تعرف فيها الراحة، والتي أمضتها وهي تسير مشياً على القدمين حول المنطقة السكنية التي تقيم فيها. دأبت على القيام بهذا التمرين إلى أن تصبح متعبة بما فيه الكفاية حتى تسقط في سريرها فتخلد إلى النوم مباشرة.

لطالما تاقت إلى أن تصبح أكثر نحافة، والآن بعد أن حدث الأمر فعلاً لم تعد واثقة أن كان شكلها الجديد يعجبها أم لا. لعل السبب هو خطوط البؤس التي استقرت بين حاجبيها، بالاضافة إلى الظلال الباهتة تحت عينيها. مهما يكن، فهي اكتشفت أن الفساتين المفضلة لديها لم تعد تناسبها.

لاحظت جينا أن كاندي تنظر إليها وهي واقفة أمام المرآة في غرفة نومها. بدا فستانها المصنوع من الحرير الرقيق ملائماً لأمسية كهذه، لكنه فجأة بدا لجينا أشبه بكيس قماشي واسع بشع. اختفت كاندي وهي تقول بسرعة: «انتظري لحظة». ثم عادت بعد لحظة وهي تحمل حزاماً جلدياً عريضاً كانت قد اشترته خلال عطلة نهاية الأسبوع الماضي بسعر مرتفع جداً.

دفعت كاندي بالحزام إلى جينا وقالت: «هاك! أظن أنه سيبدو رائعاً على هذا الفستان. لابد أنني كنت أفكر بك عندما اشتريته».

بدا ذلك الحزام ذو اللون العاجي جميلاً جداً على فستانها الرمادي الغامق الأنيق، كما أنه أبرز شكل جسدها الجذاب الشبيه بالساعة الرملية بشكل واضح، ما جعل كاندي تئن حسداً.

- أنا أهب أي شيء للحصول على قوام كقوامك.

كشرت كاندي وهي تعدّل قميصها ذات القماش اللماع وتتنهد بعمق. ثم تابعت: «أعرف أن الرجال يفضلون قواماً كقوامك أنت».

تلاقت عيونهما في المرآة، وعلى الفور رسمت كاندي تعبيراً ما على وجهها وقالت لجينا: «لا! لا تفعلي! أنا أمنعك من ذلك. لن تفكري به الليلة. هذه الليلة هي منطقة خالية من هاري. اتفقنا؟».

- حسناً!

تساءلت جينا كيف كانت ستجتاز الأسابيع التسعة الماضية لولا رفيقتها في السكن. وقفت كاندي إلى جانبها طيلة هذه المدة وخلال نوبات الحزن التي أحست بها بالاضافة إلى الضغط الذي نتج عن توليها وظيفة جديدة وترافق مع تغييرها التام للبيئة التي كانت تعيش فيها. تلك الأمور مجتمعة لم تكن لتمر بسهولة لولا وجود كاندي.

ابتسمت جينا لصديقتها وهي تقول لها: «أنت في الواقع قد تعجبين بهاري لو تعرفت إليه، فهو يمتلك الشيء الذي يعجبك أكثر من أي شيء آخر: «الصدق المطلق في تعامله مع الجنس الآخر».

شخرت كاندي، وقالت: «إذاً فهو رجل واحد في المليون».

- حسناً! أوافقك في ذلك بالطبع، لكنكِ أيضاً تعرفين ذلك. فلنتكلم جدياً...

ترددت جينا قليلاً ثم تابعت برفق: «ليس الرجال جميعهم كوالدك، كاندي».

- أعرف ذلك. هنالك دوماً استثناء للقاعدة. لكن صدقيني جينا، معظمهم لا يهتمون إلا للشكل الخارجي والعلاقات العابرة؛ خذ ما ترغب به ساعة تريد لكن لا تورط قلبك.

- كلامك يشبه كلام هاري أكثر من هاري نفسه.

ابتسمت كاندي وقالت: «لعلنا نتفق إذاً. لكنك طيبة جداً ولا تلائمين رجلاً كهذا. والآن، أي حذاء ستنتعلين مع ذلك الفستان؟ أظن أنه يجب أن تنتعلي حذاء ذا كعبين عاليين جداً. ماذا لدينا؟».

انحنت جينا فبحثت في أسفل خزانة ملابسها قبل أن تستقيم وتلوح لكاندي بزوج من الأحذية. قالت: «هل سيفي هذا بالغرض؟».

- آه! إنه مناسب تماماً.

نظرت كاندي باستحسان إلى الحذاء الأنيق. لم تخبرها جينا أنها اشترت كلاً من الفستان والحذاء خلال رحلة تسوق قامت بها برفقة بايروني. يومها أصرّت شقيقتها عليها أن تشتري شيئاً مذهلاً من أجل حضور زفاف أحد الأصدقاء.

قالت لكاندي بأناقة: «ليس سيئاً بالنسبة إلى فتاة ريفية صغيرة. أليس كذلك؟».

نظرت إليها كاندي وهي تحرك عينيها صعوداً ونزولاً، فقالت: «ليس سيئاً البتة. أراهن أنك ما إن تصلي إلى ذاك النادي الليلة سوف تديرين رؤوس الرجال وتدخلين عالماً جديداً من المرح».

بهتت ابتسامة جينا، فهي لا ترغب بعالم من المرح ما لم يتضمن هاري!

لوحت كاندي بإحدى أصابعها موبخة وهي تقول: «توقفي عن ذلك في هذه اللحظة! قلت لك إنها ليلة خالية من هاري. سوف نقوم بتصفيف شعرنا في تسريحتين رائعتين. ولدي أيضاً بعض الرذاذ اللماع المخصص للشعر باللون الزهري الرائع الذي يزول عندما تستحمين».

حدقت جينا بها مرتعبة: «اللون الزهري... مع شعري أنا؟ لا أظن ذلك، كاندي».

- حسناً! لن نستخدم رذاذ الشعر لكنني سأضع لك بعض الريش. سوف يبدو عصرياً.

أومأت جينا باستسلام فقالت: «كما تشائين».

- فتاة مطيعة. أنت تعلمين أن هذا منطقي.

كان لابد لجينا أن تقرّ بالرغم من شكوكها أن مظهرها بدا جيداً حين أوشكتا أن تغادرا، وذلك بفضل كاندي. من جهتها، كاندي بدت مختلفة

تماماً عن سيدة الأعمال التي هي عليها نهاراً خلال ساعات العمل، خصوصاً وهي ترتدي فستانها الزهري وتضع مشحات لون زهرية واضحة في شعرها.

تكلمت كاندي بسرور قائلة: «أنا بكل بساطة أحب التأنق في الملابس. لا أظنني نضجت أبداً. ولأكون صادقة، ذلك هو السبب الذي يجعل مني أسوأ شخص في العالم لإنجاب الأولاد».

قالت جينا بعقلانية: «ليس بالضرورة. أن تتصرفي كالأطفال في بعض النواحي قد يعني أنك تتواصلين بشكل أفضل معهم».

هذه المرة عبرت شخرة كاندي عن الازدراء، فقالت بحزم: «أنا لا أحب الأطفال، فهم شديدو التطلب ويستهلكون الكثير من الوقت، كما أنهم يثيرون الفوضى. لا يمكنك أن تفعلي ما تريدينه ساعة تريدين إن كان لديك طفل».

- هذا ليس حال الجميع كاندي.

نظرت كاندي إلى جينا فيما مدت يدها لتتناول كنزتها القطنية الخفيفة القصيرة. ثم قالت: «هل تختارين التخلي عن حريتك لمدة ثمانية عشر أو عشرين عاماً حتى تقومي بتربية أطفال رجل ما؟».

- ليس «رجل ما»، لا.

- آه... لا! لقد عاد إلى ذهنك. أليس كذلك؟

احمرت وجنتا جينا وقالت: «أنا لا أستطيع التفكير بأي شيء أكثر روعة من وجودي مع ذلك الرجل وإنجابي لأطفاله. آسفة، لكنني كذلك».

راقبتها كاندي للحظة طويلة ثم قالت بنعومة: «أتعلمين ماذا؟ إنه مغفل، هاري هذا مغفل كبير».

بدا هذا الحديث موضوعاً ثقيلاً قبل أن تمضيا ليلة من المرح، فأجبرت جينا نفسها على الابتسام وقالت بخفة: «في هذه النقطة أوافقك الرأي».

أردفت وهي تشبك ذراعها بذراع كاندي: «هيا بنا! دعينا نذهب. أنا أتضور جوعاً».

طقطقت كاندي وجينا بحذاءيهما وهما تنزلان الدرج من شقتهما الواقعة في الطابق الثاني بينما راحتا تقهقهان وتتحدثان. فتحت كاندي الباب المؤدي إلى الشارع، وما لبثت أن تراجعت إلى الوراء في اللحظة التالية لتدوس على قدم جينا. تداخلت شهقة كاندي بفعل الدهشة مع صرخة الألم التي أطلقتها جينا، قبل أن يقول صوت رجولي عميق: «آسف! لم أقصد أن أفزعك. كنت على وشك أن أقرع الجرس».

كوّنت شفتا جينا اسم هاري، لكن حلقها المسدود لم ينطق بأي صوت. نظرت كاندي إليها ثم عادت ونظرت إلى الرجل الأسمر الطويل القامة الواقف على العتبة، فقالت ببرود: «هل أستنتج أنك هاري بريدون؟».

كانت عينا هاري مركزتين على جينا. والآن بدت فيهما ومضة مفاجأة واضحة عندما نظر إلى كاندي للحظة وقال: «نعم. كيف عرفت؟».

- هل تمزح؟

تجعّد جبين هاري، لكن نظراته عادت إلى جينا فقال بنعومة: «كيف حالك؟».

فقالت كاندي للرجل: «إنها بخير. السؤال التالي».

أدركت جينا أنه يجدر بها أن تقول شيئاً ما لتوقف الكارثة المحتملة بما أن كاندي في هذا المزاج السيء، لكنها أحست بفقدان القدرة على الكلام. في الواقع لولا وجود الحائط الذي كانت تستند إليه لوقعت على الأرض عند قدمي هاري لأن رجليها تحولتا إلى هلام. خشيت أن تتفوه كاندي بشيء غير مناسب نظراً لمعرفتها التامة بقصتها مع هاري.

عادت نظرات هاري إلى كاندي فحدق بها ولم يظهر سوى التصلب في عينيه الرماديتين كلون الدخان، أما عضلات وجهه فانقبضت بشكل منذر بالسوء. قال بصوت حريري فيه تهديد مبطن: «اعذريني! لكنني لا أظنتا تعارفنا؟».

وجدت جينا القدرة في مكان ما حتى تنعق قائلة: «أرجوك كاندي... دعي الأمر لي».

ثم استدارت نحو هاري وقالت له: «ما الذي تفعله هنا؟».

ضاقت عينا هاري لكنه استنشق نفساً عميقاً قبل أن يقول: «كنت في الجوار وفكرت أن أمرّ بك حتى أرى كيف حالك؟».

نفخت كاندي صدرها حتى باتت تشبه عارضات الأزياء المتألقات، وسألته بازدراء: «هل تقصد «لأرى كيف حالك» بمعنى علاقة غرامية سريعة، أم تقصد «لأرى كيف حالك» بمعنى أنا آسف لأنني أفسدت حياتك؟».

أغمضت جينا عينيها ليسود صمت عميق على الجميع، ثم دوّى صوت متفجر إذ قال هاري: «ماذا؟».

عندما فتحت عينيها كان وجه هاري يشتعل من فرط الغضب الشديد وهو يقول لكاندي: «لست واثقاً من أي منطلق تتكلمين يا آنسة. لكنك تجاوزت الحدود كثيراً».

وضعت كاندي يديها على وركيها، فيما انحنى جسدها قليلاً إلى الأمام. لكن قبل أن تتمكن من أن تقول أي شيء تدخلت جينا وقالت يائسة: «ذلك صحيح. كاندي فهمت الأمر كله بشكل خاطئ. لكننا مضطرتان للذهاب الآن... لقد تأخرنا أصلاً...».

شعرت بالرعب فعلاً عندما سد هاري عليهما الدرب فعلياً وهو يقول: «لا مجال! ليس قبل أن أكتشف ما الذي يدور هنا بحق الجحيم. أنتِ...».

قطعت نظرات هاري الحادة كالشفرة وجه كاندي الساخط فتابع: «... لست أدري ما الذي تفكرين به هنا، لكنني أنا وجينا صديقان، حسناً... ! من الديار».

استدارت كاندي نحو جينا، وسرعان ما انكمشت بعد أن استوعبت النظرة المرتسمة على وجه صديقتها، فقالت: «أنا آسفة، لم أقصد أن... لكن يجدر بك أن تقولي شيئاً ما. لا يمكنك أن تتابعي قدماً ما لم تفعلي».

توسلتها جينا وهي تتعذب: «كاندي، أرجوك!».

قال هاري بصوت جليدي: «اعذراني! لكن هل يفوتني شيء ما هنا؟».

فيما وقفت كلتا المرأتين تراقبانه مخدرتين، نقل هاري نظره من إحداهما إلى الأخرى ثم قال: «حسناً! كي لا نخاطر بتأخيركما سوف نجري كلنا حديثاً صغيراً لطيفاً في الشارع... في سيارة الأجرة... أينما أردتما، لكنني لن أتزحزح حتى أحصل على جواب يترافق مع اعتذار».

أضاف كلماته الأخيرة بعبوس وهو يقذف نظرة باتجاه كاندي.

عادت كاندي إلى أسلوب المشاكسة فقالت: «اعتذار؟ فوق جثتي الهامدة».

ردّ هاري باقتضاب: «هذه ليست فكرة شيقة».

- اسمع أيها النذل...!

- توقفا!

ظهر في صوت جينا نبرة أدت إلى توقف العدائية. إذ قالت بنبرة لينة: «سوف نتكلم في الطابق العلوي في الشقة، هاري. اذهبي أنت كاندي. قولي للأخريات إنني لن آتي».

- لن أتركك بمفردك معه.

بدا هاري كأنه مستعد للانفجار فقال: «من تظنينني بحق الجحيم؟».

- ساكون بخير.

- لن أذهب.

قاومت جينا الانزعاج التام الذي ملأ صدرها. قالت بصوت حاد وجاف: «من الأفضل أن نصعد إلى الطابق العلوي نحن الثلاثة».

استدارت قبل أن يتمكن أي منهما من إبداء ردة فعل ما. مشت أمامهما فيما تمنّت لو أنها انتعلت حذاء آخر لا يجبرها أن تترنح لكي توازن نفسها. لم تفتها النظرة المرتسمة في عيني هاري عندما لاحظ مظهرها لأول مرة. أتراه اعتقد أنها ارتدت هذه الملابس لكي تخرج مع أحدهم هذه الليلة؟

فتحت جينا الباب الأمامي للشقة بيد مرتعشة، فمشت إلى الداخل نحو غرفة الجلوس الصغيرة، ثم استدارت لتواجه هاري. كانت كاندي قد مشت

جانبياً فجلست على الأريكة، لكن هاري ظل واقفاً في مدخل الباب.

- هل أحضر لك أي مشروب؟

حاولت تمالك نفسها مع أنها تعلم أنها على وشك أن تسبب الاذلال التام لنفسها خلال الدقائق القليلة التالية، لأن كاندي على حق في ما قالته. عليها فعلاً أن تطلع هاري على حقيقة شعورها نحوه، فلو فعلت ذلك ربما سيدعها وشأنها. نعم، سوف يفعل ذلك. سوف يهرب مسافة ميل لو علم أنها تهتم لأمره. أهذا هو السبب الذي دفعها إلى عدم إطلاعه على أي شيء من قبل؟ تكلمت كاندي عن وجوب سيرها قدماً في حياتها، لكنها لم ترغب بالسير قدماً في عالم لا يلعب هاري أي دور فيه. لكن من جهة أخرى لا يمكن لموقف مماثل لما حصل هذه الليلة أن يحصل مجدداً.

تكلم هاري بسيطرة باردة على نفسه، قائلاً: «أنا لا أريد أي مشروب جينا، لكن تفسيراً ما قد يكون أمراً جيداً. منذ متى أصبح اسمي مرادفاً لاسم الماركيز السادي؟».

استنشقت جينا نفساً عميقاً، وقالت بارتعاش: «ردة فعل كاندي مبنية على ما أخبرتها به».

تحركت عضلة في خد هاري، ثم زم فمه الأنيق وقال: «وما هو؟».

ترددت جينا فيما صاح بها صوت في داخلها: جبانة! قوليها! أخبريه!.

خطا هاري إلى داخل الغرفة خطوة واحدة ثم توقف. لاحظت جينا ن شفتيه قد ابيضّتا من فرط غضبه. كزّ هاري على أسنانه قائلاً: «اللعنة أيتها المرأة! ما الذي تريدينه؟ أنا تراجعت عندما أوضحتِ لي حقيقة شعورك. أهي جريمة أن آتي إليك هذه الليلة؟».

- لا... لا! إنها ليست جريمة.

- إذاً ما السوء الذي ارتكبته حتى حصلت على ردة الفعل تلك من صديقتك الليلة؟ حسناً! لو لم يكن ذاك الغبي قد أفسد حياتك...

توقف هاري عن الكلام ولم تدرك جينا إن كان السبب حركة كاندي خلفه أم النظرة التي ارتسمت على وجهها. فجأة رأت الذهول على وجه

هاري الوسيم القاسي. تمنت لو أن الأرض تنشق فتبتلعها في هذه اللحظة. أجبرت نفسها على الوقوف باستقامة، فمن المهم جداً أن تواجهه ورأسها مرفوع لأنه عرف سرها. قالت بكآبة: «لم أكن أريدك أن تعلم. كان من الأفضل ألّا تعرف».

أدركت أن ذهن هاري الذكي يحاول استيعاب تلك المعلومة التي قذفت نحوه وتحليلها. بدت عيناه خاليتين من التعابير وهو يستوعب حقيقة أنه هو الرجل الذي دفعها إلى الهروب.

- لا أصدق ذلك!

هز هاري رأسه بحركات سريعة موحياً باعتذار صامت على عدم تصديقه، وتابع: «لماذا...؟ لماذا لم تخبريني؟ أتقولين لي إنني...؟».

توقف عن الكلام، فمن الواضح أنه ما يزال غير قادر على تصديق ما عرفه للتو.

كانت جينا تفضل الموت مئة مرة قبل أن تعترف له بذلك، لكنها قالت: «أنت هو الرجل الذي أحبه، هاري. ما من رجل آخر في حياتي، ولم يكن هنالك أي رجل أبداً. أفترض أنني كما يقال امرأة الرجل الواحد. ذلك يعني بالنسبة إلي إما كل شيء أو لا شيء».

حدق هاري بها للحظة لامتناهية فيما راقبت جينا غير مصدقة أجمل ابتسامة وهي تضيء وجهه الوسيم. قطع هاري المسافة التي تفصل بينهما بلحظة من دون أن يسمع أي منهما اعتراض كاندي وهي تقول: «مهلاً!».

- لماذا لم تخبريني؟ لماذا جعلتنا نعاني هذا العذاب؟

جذبها إلى ذراعيه بقوة كبرى جعلت الريش الذي يزين شعرها المعقود عند قمة رأسها يتقلقل. أبعدت نفسها إلى الوراء وحدقت إلى وجهه، ثم قالت متلعثمة: «أنت لا تريد أن... تقع أي امرأة في غرامك».

- ليس أي امرأة... أنا أريدك أنت.

- لكنك قلت إنك غير قادر على تحمل الارتباط والعلاقة الدائمة. أنت قلت ذلك. أما ما أشعر به أنا...

هزّت جينا رأسها محاولة إيجاد الكلمات المناسبة لجعله يفهم، فتابعت: «... فهو حب يربطك إلى الأبد هاري. وأنت قلت...».

- أنا تفوهت بالكثير من الكلام اللعين، وكله هراء تافه.

أصبحت جينا بين ذراعي هاري وهو ينظر إليها كما حلمت أن يفعل تماماً، مع ذلك فهي لم تجرؤ على أن تصدق ما تراه وتسمعه. قالت مجدداً: «طالما كانت لديك صديقات حميمات، أما أنا فلم تنظر إلي بذاك الشكل إلى أن علمت أنني مغادرة وأنه لن يكون بيننا أي ارتباط أو التزام جدي، لكنني لا أقدر على أن أكون ما تريدني أن أكون عليه».

أطلق هاري تنهيدة رقيقة تردد صداها في جسدها وقال: «أنت فعلاً ما أريدك أن تكوني عليه. كدت أصاب بالجنون من دونك. يوم غادرتِ وعدت نفسي بألّا أحاول تحريك أي ساكن لأجلك مجدداً، لاسيما بعد أن أخبرتني أن لا مجال أبداً للعلاقة بيننا، وأن ذاك الرجل سوف يكون دائماً موجوداً في قلبك. لكن الأمر لم يجدِ نفعاً. لم أقوَ على الأكل أو النوم».

استنشق هاري نفساً عميقاً وأكمل: «أنا أحبك، جينا. ولأكون صادقاً معك، فالأمر يكاد يميتني خوفاً. لكنني أخشى أكثر من فكرة أن أعيش يوماً آخر... دقيقة أخرى من دونك».

لم يدرك أيّ منهما أن كاندي غادرت الغرفة حتى سمعا قرقعة الباب وهي تغلقه خلفها. قالت جينا بحماقة وهي تحدق إلى وجه هاري: «كاندي... لقد رحلت! يُفترض بي أن أخرج معها».

- لن تذهبي إلى أي مكان ما لم أكن معك.

بدا صوتها كئيباً شاكياً حين قالت: «لكنك لم تقل لي إنك تحبني بل تركتني أرحل».

- ظننتك مجنونة بحب شخص آخر، فكيف عساي أخبرك بحقيقة مشاعري؟ ما كان ذلك إلّا ليزيد تصميمك على الرحيل، أو على الأقل هكذا رأيت الأمور يومها. لكنني حاولت أن أجعلك تفهمين بأنك مختلفة...

لم تجرؤ جينا على تصديق ما تسمعه، فقالت: «لا... أنت لست من

ذلك النوع من الرجال».

سألها هاري بنعومة: «أي نوع من الرجال يا حبي؟».

- يا حبي؟!

علقت أنفاس جينا لدى سماعها الكلمات التي ظنت بأنها لن تسمعها قط من شفتيه، لكنها رغم ذلك لم تقدر على السماح لنفسها بأن تأمل فقالت: «ذلك النوع الذي يريد علاقة تدوم إلى الأبد».

أطلق هاري ضحكة مخنوقة، ثم قال بصوت أجش: «أريد حباً إلى الأبد عندما يتعلق الأمر بك أنتِ...».

فيما قرب جينا منه ممسكاً بها كما لو أنه لن يفلتها أبداً، وتابع: «... حتى يفرقنا الموت. أدركت ذلك عندما رحلت عني، فأنا أعيش حياتي بمفردي لولا رفقة أربعة جراء صغيرة سريعة النمو».

لفت جينا ذراعيها حول عنق هاري بحزم وإحكام. ما الذي يتكلم عنه؟ همست مذهولة: «كيف... كيف حال الجراء؟».

- إنها تفتقدك.

أخفض هاري رأسه ليضمها إليه في عناق شغوف مليء بالشوق واللهفة. حين رفع رأسه شعرت جينا أن روحها اندمجت مع روحه. تمتم بصوت أبح: «أتتزوجينني بسرعة؟ أعني سريعاً جداً؟».

حاولت جينا أن تتجاهل الأثر الذي تركته يد هاري وهي تنزلق صعوداً ونزولاً على ظهرها. قالت: «هاري، هل أنت واثق؟».

- أنه يجب أن يكون زواجاً سريعاً؟ واثق تماماً.

- أنـ... أنك تريد الزواج مني. بعد ما مررت به...

استنشقت جينا نفساً عميقاً وهي تتساءل إن كان يجدر بها أن تتابع فقالت: «أعني، بعد علاقتك بآنا وكل ما حصل حينها».

أجابها هاري من دون أن يرف له جفن: «لم أكن واثقاً من أي شيء آخر في حياتي أكثر من هذا».

وسرعان ما عانقها من جديد عناقاً جعلها تدور في دوامة، ثم قال:

«أريدك أنت أن تكوني زوجتي. أريدك والدة لأطفالي. وأكثر من أي شيء آخر أنا أرغب بأن أستيقظ كل صباح وأنت إلى جانبي لبقية حياتنا معاً».

مشّط خصلة شعر عن جبينها برفق لا متناهٍ، وتابع: «أريدك بقربي طيلة النهار وطيلة الليل».

ابتسمت جينا وقد اجتاحتها موجة من الشوق والحب اللامتناهيين فقالت متنهدة: «لم أظن أنني سأراك مجدداً. ظننتك تعرض علي علاقة غرامية عابرة كجميع الأخريات».

رفع رأسه فنظر بعمق داخل عينيها قائلاً: «الأخريات لم يعنين لي أي شيء... لا شيء. وسوف أحرص بأن تعلمي في كل لحظة من كل يوم من الآن فصاعداً، أنك المرأة الوحيدة فقط بالنسبة إلي. أنا علمت ذلك في أعماقي منذ البداية، لكنني لم أجرؤ على الاقرار بذلك حتى لنفسي».

فكرت جينا بالليالي التي أمضتها وهي تبكي بشدة حتى تغفو، وبألم القلب والوحدة واليأس الشديد. فجأة ما عاد كل ذلك يهم. فما حصلت عليه أخيراً يستحق العناء فعلاً.

همس هاري: «أنا أحبك جينا، بكل كياني، بكل جزء مني، وأرغب أن تكون ليلة زفافنا مميزة، هل تفهمين ذلك؟».

أومأت جينا برأسها، وهي تشعر بالحب يغمر كيانها. استنشق نفساً عميقاً قبل أن يقول: «كم من الوقت تحتاجينه حتى نتزوج؟».

مدت إحدى يديها لتداعب فكه الرجولي الصلب وقالت: «شقيقتاي حظيتا بزفافين كبيرين مع الإشبينات وكل الزركشات اللازمة، أما أنا فكرهت كل دقيقة منهما. أود لو ننسل إلى مكان بعيد، فلا نصطحب معنا إلا أهلنا».

ابتسمت جينا حالمة وتابعت: «فستان أبيض لي، وبذلة رسمية لك. من دون جلبة ولا ضوضاء. فقط نحن الاثنان نتبادل عهودنا أمام الله ونفسينا».

حدق هاري بها وقال: «أنت امرأة مذهلة».

- استغرقت وقتاً طويلاً حتى تكتشف ذلك.

أطلق كلاهما ضحكة صغيرة، قبل أن يلتقطها هاري فيحملها إلى الأريكة الصغيرة. جلس إلى جانبها وعانقها مجدداً فبادلته جينا العناق من أعماق قلبها. مررت أناملها في شعره الأسود المتموج بأسلوب كانت تتوق لأن تفعله منذ ما يزيد عن الاثني عشر شهراً. سألته وهي منقطعة الأنفاس مسحورة: «كيف اكتشفت عنواني الجديد هنا؟».

- كذبت على والدتك.

- ماذا؟

حدقت جينا بهاري وهي تجذب نفسها إلى الوراء قليلاً حتى تنظر إلى وجهه لترى إذا ما كان يتكلم بجدية.

- اتصلت بها من موقعي كرئيسك السابق، وقلت لها إننا بحاجة إلى إرسال بعض الأوراق لك من دائرة المحاسبة. لحسن الحظ هي لم تسأل ما هي تلك الأوراق.

توقف هاري قليلاً ثم تابع: «أستنتج أنك لم تطلعيها على حقيقة شعورك تجاهي، لأنها بدت ودودة جداً. أظنها لو علمت بأنني السبب الذي جعلك تغادرين لما تصرفت معي بمثل هذه اللباقة».

أقرت جينا بخجل: «لم أخبر أحداً بالأمر حتى وصلت إلى هنا. كنت في حالة يرثى لها، لذلك حصلت كاندي على القصة بأكملها. إنها لطيفة جداً، حقاً».

رفع هاري حاجبه لكنه لم يعلق على كلامها، بل قال: «هل أنت متفرغة يوم غد لكي نذهب للبحث عن خاتم الخطوبة؟ سوف نشتري خاتمي الزفاف أيضاً».

بالرغم مما قاله هاري فإن السنة الأخيرة أو ما يقاربها تركت أثرها العميق على جينا، وما يحصل الآن حصل بسرعة فائقة إلى درجة أن رأسها ما يزال يدور. تكلمت ببطء بينما لعبت أناملها بإحدى أزرار قميصه: «لست مجبراً على القيام بذلك. لعل من الأفضل أن تنتظر لتتأكد من مشاعرك خلال شهر أو اثنين».

قال هاري بنعومة كبرى وهو يلامس شعر جينا: «خلال شهر أو اثنين آمل أنك ستحملين بطفلي».

شعرت جينا بالصدمة فرفعت بصرها نحو عينيه فرأت كل الأمان الذي تحتاج إليه يلتمع داخلهما.

- أنا أحبك، جينا. سوف أحبك إلى الأبد. أود أن أملأ منزلنا بالحب إلى درجة تجعله يفور وينسكب على أطفالنا وأحفادنا وأولادهم. أنا أريد الأمر برمته: الهررة، الكلاب، الورود من خلف الباب، وأنت بين ذراعي كل ليلة.

أومأت جينا، بينما غمرها السرور كالعسل الدافئ مبعداً من قلبها كل أثر للألم والجراح.